

مكتبة

GWENDA BOND

STRANGER THINGS



جويندا بوند

عقول مُرْتَابَة

مكتبة
861

ترجمة: تتيرين هنائي



مكتبة | 861
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

**STRANGER
THINGS**
عقول مرتابة

بوند، جویندا
عقول مُرتابة: رواية / جویندا بوند.

ترجمة: شیرین هنائی.

القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2022.

390 صفحة، 20 سم.

تدمك: 978-977-820-099-7

أ- القصص الأمريكية

أ- هنائی، شیرین (مترجم)

ب- العنوان: 823

مكتبة

t.me/t_pdf

29 6 2022

رقم الإيداع: 2021 / 14373

الطبعة الأولى: يناير 2022.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

This translation published by arrangement with Del Rey,
an imprint of Random House, a division of Penguin

Random House LLC

© Netflix 2022. Used with permission

ع ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290

بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

STRANGER THINGS

عقولٌ مُرتابةٌ

جويندا بوند

ترجمة: شيرين هنائي

رواية

مكتبة | 861

سُرَّ مَنْ قَرَأَ

مكتبة

t.me/t_pdf

يوليو 1969

مُختبر هوكينز الوطني.

هوكينز، إنديانا.

قاد الرجلُ سيارةً بَراقةً على طريقٍ من طُرُقِ إنديانا المُمتدة، وأبطأ من سرعته حين بَلَغَ بوابةً من الأسلاك المعدنية، معلقًا عليها لافتة تحمل عبارة: مِنطقة مَحظورة.

أطل الحارس هناك مُحدِّقًا للحظات خلف زجاج نافذة السيارة، وتأكد من لوحة أرقامها، ثم أشار للسائق بالدخول.

من الواضح أن مَنْ بالمكان توقعوا حضوره، ربما لأنهم كانوا يتبعون التعليمات والمواصفات التي حددها وأرسلها لهم مُسبقًا بشأن إعداد نطاق عمله الجديد.

حين وصل إلى مقصورة الحارس الثاني، أنزل زُجاج نافذته ليُبرز هُويته للجندي الواقف في نوبة الحِراسة. فحصها الجندي مُتَحاشيًا النظر المُباشر إلى عينيه.

لطالما تحاشى الجميع ذلك.

لم يكن الجندي يُركز انتباهه إلا على المُستجدين، على الأقل عند أول مقابلة. كان يتفحصهم سريعًا ويُصنِّفهم من ناحية الجنس والوزن والطول والعرق، ومن خلال ما سبق يُخَمِّن كذلك مُستوى ذكائهم ومستوى أهميتهم.

كان اهتمام الجندي بمن يلتقي يتناقص تدريجيًا، لكنه أبدًا لم يتوقف عن ممارسة طبيعته الثانية: يتفحص، يُصنِّف، يُخَمِّن. أغلب من يُقابل لم يكونوا ليثيروا انتباهه، لكن ثمة أشخاصًا يستأهلون الانتباه، وهو موجود هنا من أجلهم هم بالذات.

من السهل وصف الجندي نفسه، فطوله حوالي خمسة أقدام وثمانية بوصات، ووزنه مائة وثمانون رطلاً، مُتوسِّط الذكاء، راضٍ بالمكوث داخل مقصورة يتفحص الهُويات، يُعلِّق عند خصره سلاحًا لم يستخدمه من قبل غالبًا.

قال الجندي أخيراً وهو ينقل عينيه بين بطاقة الهوية ووجه الرجل:

- مرحبًا، سيد مارتِن بريتر.

غريبٌ ما تحويه بطاقة هُويته من معلومات كأنها هي مرآة لبريتر؛ طوله ستة أقدام وبوصة واحدة، وزنه مائة وخمس وتسعون رطلاً، أبيض. وبياناتٍ أخرى عن مستوى ذكائه وقدراته... إلخ.

أضاف الجندي:

- أبلغونا بقدمك، سيد بريتر.

صحَّح الرجل قول الجندي برفق:

- دكتور بريتر.. لا سيد بريتر.

لم تكن عينا الجندي الضيقتان تنظران إلى بريتر، بل إلى الطفلة ذات الخمسة أعوام المُدعوة «ثمانية» والمُتكوِّرة على المقعد الخلفي للسيارة، نائمةً وقبضتها مُكورتان تحت ذقنها. كان دكتور بريتر يُفضِّل أن يُشرف على نقلها إلى المنشأة الجديدة بنفسه.

قال الحارس:

- أجل، دكتور بريتر. من الفتاة؟ ابنتك؟

ظهرت نبرة مُتهكِّمة على كلمات الجندي؛ فقد كانت الفتاة سمراء البشرة، على عكس بشرة بريتر التي كانت في شحوب الحليب. لم يكن هذا عمومًا من شأن الجندي، لكنه لم يكن مُخطئًا على أية حال، فرغم أن بريتر لم يكن أبًا لأحد، لكنه كان بمثابة نموذجٍ للأب كما كان يعتبر نفسه.

نظر بريتر للحارس مُتفحِّصًا وقال:

- واثقٌ أنهم ينتظرونني بالداخل.

بالنسبة لبريتر، كان الحارس جنديًا مُقاتلاً عائدًا من حربٍ قريبة،

حربٍ انتصروا فيها، حربٍ لا كحرب فايتنام، ولا كالتصعيد الهادئ ضد السوفييت. كانت حربًا مع المُستقبل. لكن الجندي لم يكن يُدرُك ذلك. حافظ برينر على هدوء نبرته وهو يُضيف:

- لو كنت مكانك، ما كنت سأسأل عن الحالات المُستجدة حين تصل، هذه شئونٌ سرّية.

تضايق الجندي لكنه لم يُعلّق. نقل نظره إلى المبنى مُترامي الأطراف، مُتعدد الطوابق خلفهم وقال:

- أجل، هم ينتظرونك بالداخل. أوقف سيارتك في أي مكانٍ شئت. وهذا أمرٌ آخر لم يكن برينر في حاجة للإذن بخصوصه. قاد سيارته عبر الساحة الجرداء التي دفعت البيروقراطية الاتحادية ثمنها كي تُبنى عليها تلك المنشأة ومرافقها. لكن جيوشًا حكومية سرّية دفعت أكثر مقابل التجهيزات التي طلبها برينر.

لم يكن من المُفترض أن يُعلن عن تلك الأبحاث السريّة، والوكالة الاستخباراتية المركزية لم تكن قادرة دومًا على الالتزام بإجراءات التشغيل المُوحدة.

في مقدور السوفييت إقامة معامل مماثلة تحت أعين وموافقة حكوماتهم، وهم قادرون كذلك على إخراس كل الأصوات التي قد تُناهضها. في مكان ما، وعلى الأرجح الآن، يُجري علماء الشيوعيين تجارب مُشابهة لما يجري في ذلك المبنى ذي الخمس طوابق بسرديبيه.

على موظفي برينر أن يُذكّروا بنود السريّة حين ينسون، أو تتدافع الأسئلة على ألسنتهم، كي تظل الأبحاث على سريتها وأهميتها.

ظلت الفتاة المدعوّة ثمانية غافية حتى نزل من السيارة وسار نحو بابها وفتحها سانداً جسدها كي لا تسقط على أسفلت ساحة الانتظار، وكان قد خدّرها لضمان السلامة أثناء السفر. كانت ثروة لن يتركها لعناية الآخرين، خاصّةً بعد أن خاب أمله في نتيجة الحالات موضوع التجارب السابقة.

ركع جوار المقعد وهز كتفها برفق هامسًا:

- ثمانية!

هزت الفتاة رأسها مُغمضة العينين وغمغمت:

- كالي.

كان هذا اسمها الأصلي الذي كانت مُصممة على استخدامه. لم يكن يجاريتها عادةً، لكن اليوم يومٌ مختلف.

- كالي، استيقظي. لقد وصلنا المنزل.

رَمَسَتْ، فأضاءت عيناها بومضة. لم تكن تفهم ماذا يعني، فأضاف:

- بيتك الجديد.

فانطفت الومضة وخبا الضوء.

ساعدها على الاعتدال في جلستها وقال:

- سيعجبك المكان هنا.

مد يده نحوها وأردف:

- بابا يُريد منك أن تدخلي بيتك كفتاة ناضجة، ثم بعدها يمكنك النوم كما شئت.

مدت يدها ووضعت كفها الصغير في كفه، فرسم ألطف ابتسامة في جُعبته على شفثيه.

ظن أن مُديري المنشأة الحاليين سيكونون في استقباله، لكن عوضاً عنهم رأى صفاً طويلاً من الرجال ذوي معاطف المعامل البيضاء يقفون في انتظاره، وبصحبتهم امرأة واحدة. افترض أنها قائدة هذه المجموعة التي كانت تُشع بالعصبية والتوتر.

خطا رجلٌ أسمر البشرة -بفعل الشمس- خارج الصف، ومد يده إليه مُصافحاً، ثم نظر نحو ثمانية ثم إلى الدكتور مرة أخرى من خلف نظارته المُلطخة.

- دكتور برينز، أنا دكتور ريتشارد موزس، نائبُ التحقيقات. سعداء لقدم شخص بقامتك.. نودك أن تقابل الفريق على الفور، ويجب أن...

قاطعته الفتاة بصوتٍ ناعس:

- أنا كالي.

تهرّب بريتر من مُصافحة الرجل قائلاً:

- الآنسة الصغيرة الناعسة تود أن ترى غرفتها. لقد طلبت لها غرفة مُنفصلة. بعدها أريد أن أقابل الحالات الموجودة معنا.

نظر بريتر حوله حتى وجد أكثر أبواب المكان تأمينًا، فسار نحوها بصحبة ثمانية، ثم اختفت من على وجهه ابتسامته التي كادت أن تكون صادقة.

تعثر الدكتور موزس ذو النظارة المُلطخة، ثم لحق بهما، واندفع الآخرون خلفهم. سارع موزس كي يضغط زر جهاز اتصال داخلي جوار الباب، ويفصح عن هويته خلال سمّاعته.

سرت مهممات مناقشة قلقة بين باقي أفراد الطاقم الواقفين خلفهم. قال دكتور موزس والباب أمامهم يفتح:
- للأسف، لم نُهيئ الحالات للعرض.

ظل يرمق كالي التي قد زاد انتباهها الآن وهي تنظر لما حولها مُتفحصةً. لم تحتج لوقتٍ طويل حتى تتعرف على المكان. على الناحية الأخرى من الباب، وقف حارسان مُنتصبان كعودي ثقاب، وكانت تلك إشارة إلى كون نظام الحراسة ذا مستوى جيد. فحص الحارسان شارة هوية دكتور موزس، ومنعهما من إجراءٍ مماثل مع الدكتور بريتر قائلاً:

- لم يحصل على بطاقة هوية بعد.
لكن الحارسين لم يتحركا وكأُهما يتحديان دكتور موزس، ورفع هذا من أسهُمهما لدى دكتور بريتر. أضاف دكتور موزس:

- ستكون جاهزة في المرة التالية، وسنُحضر لكما نسخةً عن ملف الحالة الجديدة المُرافقة.

ونظر نحو ثمانية بحذر. أوما الحارس برأسه، وسمح للمجموعة كلها بالعبور. قال دكتور بريتر لموزس:

- طلبتُ مُسبقًا أن أقابل الحالات الجديدة عند وصولي، فلمَ تفاجأتم؟
قال موزس:

- ظننا أنك ستتمر فقط، ولم يكن ثمة داعٍ لتحضير الحالات وتعطيل العمل الذي كنا نقوم به. الأدوية المخدرة قد تتسبب لهم في الهلاوس وتجعلهم مُرتابين.

رفع دكتور بريتر يده هاتفاً:

- لا أظن أن هذه الأعراض ممكنة الحدوث. إلى أين نحن ذاهبون؟ كانت وحدات الإضاءة مُدلّة من السقف بطول الممرات، تُضيء المكان بضوءٍ مشؤومٍ يُميز أجواء الأبحاث العلمية السريعة. في هذا الصباح، شعر دكتور بريتر للمرة الأولى أن في مقدوره تحويل هذا المكان إلى بيتٍ.

قال دكتور موزس:

- من هنا.

ثم خاطب المرأة الوحيدة وسط أفراد الطاقم قائلاً:
- دكتورة باركس، هلا أمرتِ أحد الممرضين بجلب بعض الطعام للفتاة؟

زمت شفيتها ضيقاً من طلبه أمراً نسويًا كهذا منها، لكنها أومات، وانصرفت تفعل ما أمرت به.

ارتاح دكتور بريتر كون ثمانية ظلت هادئة حتى وصلوا إلى حُجيرة، تحوي فراشاً صغيراً ذا طابقين، ومنضدة للرسم. كان الدكتور قد طلب فراشاً كهذا ليُطمئن الطفلة إلى مراعاته لوجود رفيق مُناسب لها.

لاحظت الفتاة على الفور الفراش المُزدوج وقالت:

- الفراش الآخر من أجل صديق؟

- عاجلاً أو آجلاً سيكون ثمة صديق. الآن سيحضرون لك طعاماً. هل تقدرين على البقاء هنا وحدك؟

أومات برأسها، وقد بدأ الحماس الذي تملكها لدى وصولها في الزوال؛ المُخدر الذي أعطاه لها كان قوياً، فغاصت في الفراش.

استدار دكتور بريتر ليغادر الحجرة، فالتقى بالمرأة الوحيدة ضمن الطاقم وأحد العاملين. رفع دكتور موزس حاجبيه قائلاً:

- ستكون بخير وحدها؟

- مؤقتًا.

ثم أردف مُحدثًا المُمرض:

- أعرف أنها تبدو كطفلة عادية، لكن عليك اتّباع تعليمات الأمن المعتادة، فقد تُفاجئك.

رمقه المُمرض في ريبة، لكنه ظل صامتًا. أردف الدكتور مُحدثًا دكتور موزس:

- خُذني إلى الحجرة الأولى، يمكن للجميع أن يعودوا لمرافقة حالاتهم، ولا داعي لإعداد الحالات بشكلٍ خاص من أجلي.

انتظر أفراد الطاقم أوامر دكتور موزس، فهز الأخير كتفيه غير مُقتنع وقال:

- كما أمر دكتور بريتر.

فاختفوا من أمامه فورًا، كانوا يتعلمون سريعًا.

في الحجرة الأولى سكنت إحدى الحالات غير المؤهلة للمشروع نظرًا لعرج في الساق. كانت في عينيه نظرة منفصلة عن العالم وكأنها تعاطى الماريجوانا، وكان شخصًا عاديًا من جميع النواحي.

سأل دكتور موزس:

- هل تريدنا أن نُخدر الحالة التالية؟

لم يكن يفهم ماذا يريد دكتور بريتر أو ما هي طريقة إنجازه للعمل.

- سأخبرك حين أحتاج شيئًا.

أومأ دكتور موزس، وانتقل إلى خمس حُجراتٍ تالية. كان الوضع كما توقع دكتور بريتر؛ امرأتان لا يُميزهما أيُّ شيء، وثلاثة رجال آخرون باهتو الخِلقة.

قال دكتور بريتر أخيرًا:

- اجمع الطاقم لتتحدّث.

تركوه وحيدًا في حُجرة الاجتماع بعد أن نظر له دكتور موزس نظرة عصبية. بعد وهلة، دخل الطاقم وجلسوا على المقاعد حول الطاولة.

حاول اثنان منهم أن يتبادلاً حديثًا مُتظاهرين أن زيارة بريئر لم تكن مثيرة للتوتر، لكن دكتور موزيس أسكتهما، ثم سأل:
- أجميعنا هنا؟

تفحص دكتور بريئر الموجودين، كانوا في حاجة إلى عمل ما يشغلهم، لكن تشتت انتباههم كان ملحوظًا؛ الخوف والسلطة يعملان جنبًا إلى جنب.

- يمكنكم تسريح كل الحالات التي التقيتها صباحًا.
ثم أشاح بيده مُردفًا:

- ادفعوا لهم ما اتفقتم عليه معهم، وتأكدوا أنهم سيتذكرون اتفاقية عدم الإفصاح التي وقَّعوا عليها.

تفهم الحضور أوامره، ثم رفع أحدهم ذراعه قائلاً:
- دكتور؟

- أجل؟

- اسمي تشاد، وأنا مُستجدٌ هنا. لكن.. لماذا؟ وكيف سنُجري تجاربنا؟

- السؤال عن السبب يدفع العلم دومًا للأمام.

أوما تشاد المُستجد، فأضاف بريئر:

- لكن على المرء أن يحذر عند سؤاله رؤساءه، ومع ذلك سأجيبك من المهم أن نُدرك جميعًا السبب وراء وجودنا هنا، هل لدى أحدكم جواب عن سؤاله؟

ردّه على تشاد أخرسهم، وظنّ بريئر للحظة أن المرأة رُبما تُبادر بالحديث، لكنها ببساطة عقدت كفيها أمامها وصمتت.

- ممتاز. لا أحبّ الإجابات العشوائية والتخمينات. نحن هنا لدراسة حدود القُدُرات البشريّة. لا أحبّ أن ننظر للبشر على أنهم فئران تجارب بالطبع، وعلينا ألا نتوقع أن يمنحونا نتائج إعجازيّة.

دار بعينيه في الوجوه مُتأكدًا أن الحضور مُنتبه، وأردف:

- واثقٌ أنكم سمعتم بالنواقص والتقصير في كل مكان، وأنا هنا كي أعرف سبب قِلّة نتائجكم. أعرف بشأن الإحباطات وعدم ملاءمة

الحالات للأبحاث. أيًا كان من زعم أن السُجناء والمجانين يستطيعون إخبارنا بأيِّ مما نريد فهو يخدع نفسه. فاقدو الأهلية والمُحتالون لن ينفَعونا في شيء. ما زال معي عدد من الحالات ذات الصلة ببرنامجنا، وجرّ نقلهم، لكنني بحاجة إلى حالاتٍ من أعمارٍ مُختلفة. الصلة بين المُخدِّر الكيماويِّ والمُحفزات الصحيحة ستُسبِّرُ غور اللغز الذي يحيرنا. فكروا في الامتيازات الاستخباراتية التي سنحصلُ عليها إن استطعنا إقناع أعدائنا بالحديث، إذا جعلناهم أكثر عُرضة للتأثر والتحكُّم. لكن لن يمكننا الحصول على النتائج التي نريدها دون حالاتٍ مناسبة تُجري تجاربنا عليها، ووقت كافٍ بالطبع. لن يُجدي التلاعب بعقلٍ ضعيف، نريد أولئك الناس ذوي القُدرات.

سأل تشاد:

- لكن.. من أين نحصل عليهم؟

انتوى بريتر عزل الرجل في نهاية اليوم، وأبقى على تلك الفكرة في عقله مؤقتًا. مال أمامًا وهو يقول:

- سأضعُ نظامًا جديدًا لفرز الحالات الواردة، وسأختار منها بنفسني. وقریبًا، سنبدأ العمل الجاد.

لم يعترض أحد؛ فقد كانوا يتعلمون سريعًا.

مكتبة

t.me/t_pdf

الفصل الأول مُجرّدُ اختبار

يوليو 1969

بلومينجتون، إنديانا.

-١-

دفعت تيري الباب الشبكي، وأجلفت عند شمّها رائحة الدخان المُعلق في هواء الشقة. ستتحول رائحة ردائها الزهري ذي المريلة البيضاء من عبق رذاذ دهون الأطعمة والقهوة المنسكبة عليه إلى رائحة دخان الماريجوانا في لحظات. أضافت الغسيل إلى قائمة مهام غديها. على الأقل الإجازات الصيفية تضمن لها كمًّا أقل من الأعمال المنزلية.

- ها قد جنّت أخيراً يا صغيرتي!

لوّح لها آندرو وهو يناول لفافة الماريجوانا لشخص يُجاوره. ابتسمت لحماسه في الترحيب بها. وأن شعره البني الطويل المُسدل على جانبي فكّيه كقوسين يُعجبها، وكان يُضفي عليه سمّاً خَطِراً.

سألته وهي تعبر إليه متقافزةً:

- هل فاتني شيء؟

حياها الجمعُ، وأختها بيكي التي كانت تجلسُ على الكرسي مُحدّقة إلى شاشة التلفاز الأبيض والأسود الذي أخذه ديف صديق آندرو من والده، بعد شراء الأخير لتلفازٍ جديد مُلون.

المركبة أبولو 11 قد رست على سطح القمر.

صاح ديف:

- أتمرحون؟

كانت أغنية فريق سي سي آر «شروق قمرٍ حزين» تصدح في الخلفية من جهاز تشغيل الموسيقى، وتتداخل مع صوت المُذيع في التلفاز.

- رجالنا كانوا على القمر منذ ساعات! فأين كنتم؟!

قال أندرو:

- كُنَّا في العمل!

وجذب تيري ليجلسها على فخذيته، ومَسَّد على شعرها الأشقر، ثم طَبَعَ قُبلة على خدها مُضيقًا:

- هي دومًا تعمل.

قالت:

- ليس لبعضنا آباء يرسلون لهم المال لدفع الإيجار.

وكان والداه ووالدا ديف من هذه النوعية من الآباء، واستطاعا بمساعدتهم الحصول على بيتٍ كهذا بدلاً عن غرفة في سكنٍ مُشترك. تلاقى عيناها وعينا بيكي، وتبادلتا نظرة مُتفهِّمة، قبل أن تُعيد الأخيرة انتباهها إلى التلفاز.

قَبَلت تيري عُنُق أندرو برقَّة، فغمغم في استحسان.

كانت زميلة سكنها، ستايسي، مُتكوِّمة، شعرها الأسود مُلبَّد في عُقسته، وملابسها غير مُهندمة، وإبطاها غارقان في العرق. كل هذا كان يشي بتناولها عدة زجاجات من البيرة مع لفافات الماريجوانا حتى فقدت عقلها. كانت قد أخذت اليوم إجازة، ويبدو أنها استمتعت بعطلتها.

قالت ستايسي وهي توَكِّز تيري بأصبعها:

- علينا أن نُفقدك المزيد من عقلك.

قال ديف:

- المرأة لديها حق.

وحاول تمرير لفافة الماريجوانا إلى تيري، لكن ستايسي أخذتها منه وسحبت الدخان منها في نهم ثم قالت:

- أحضِر لها بيرة، تيري لا تُدخِّن.

قبل أن يُجادل ديف، قال أندرو:

- الماريجوانا تجعلها مُرتابة مُتشككة.

وكان قوله حقيقةً، فقد كانت تجربة تيري الأولى مع المخدرات هي

المعنى المُجسّد للبطاعة. كل من مَرّوا بتجارب مماثلة قالوا أن ما رأوه كان محض هلوسة، إلهي، فقد أصرت على أن ما رأيته كان شبحًا.. أو شيئًا بدا كشبح. ولم تكن ممن يقتنعون بأراء الآخرين مهما حاولوا إقناعها.

قالت وهي تتناول اللفافة من ستايسي:

- اليوم مميز، خاصة مع موضوع الهبوط على القمر هذا.

امتصت الدخان من اللفافة، فسعلت، ثم أعادتها مرة أخرى قائلة:

- سأحضر لنفسي البيرة.

وقامت تتوالب وصولاً إلى المطبخ حيث يقبع في منتصف أرضيته صندوق مليء بالثلج وزجاجات البيرة. اختارت زجاجة من بيرة شيلتز وراحت تُدلك خدها بها وهي تعود إلى حجرة المعيشة. تزايد حر الصيف بتكدس الأجساد في الشقة، ولم يكف مُكيف هواء واحد لتبديد الحرارة.

حين وصلت إلى الأريكة، كانت ستايسي في منتصف حكايتها، فجلست تيري على فخذي أندرو تتابع ما يُحكى.

- إداً، فقد أعطاني هذا الرجل من مُختبر التجارب خمسة عشر دولارًا.

استرعى المبلغ انتباه تيري فهتفت:

- خمسة عشر دولارًا؟! لأي غرض؟

- من أجل التجارب النفسية التي سجلت اسمي فيها.

ثم جلست أرضاً أمام تيري وأردفت:

- بدا الأمر مُثيرًا، ثم...

مالت تيري أمامًا وهي تفتح بيرتها وتساءل:

- ثم ماذا؟

جرعت تيري جرعة من شرايها، ولف أندرو ذراعه حول خصرها كي لا تسقط.

مدت ستايسي يدها مُمسدة عُقصة شعرها، وانتهى بها الأمر إلى فكها

تمامًا.

- ثم بدأ في اتخاذٍ منحى غريب.

بدأ انعكاس وجهها على شاشة التلفاز مهمومًا وسط ثورة شعرها المٌجعد. قالت:

- قادي الرجل إلى حجرة مُظلمة، وأرقدني على مَحْفَةٍ.
قال ديف:

- أظنني عرفت لأي غرضٍ دَفَع لك المال.

رمقتاه ستايسي وتيري بنظرة نارية، لكن أندرو انفجر ضاحكًا. قالت تيري في ضيقٍ منهما:

- أكملني، وماذا حدث؟

- أخذ قياساتي الحيوية: سرعة نبضي، وكفاءة قلبي. وراح يكتب كل هذا في دفترٍ كبير. ثم...

وهزت رأسها وهي تُضيف:

- ما سأقوله قد يبدو جنونًا. حقنني بشيء، ثم وضع قُرصًا من دواءٍ ما تحت لساني. ثم بعد فترة بدأ يسألني أسئلة غريبة.

- أي نوعٍ من الأسئلة؟

تساءلت تيري عن السبب الذي يجعل شخصًا يدفع خمسة عشر دولارًا من أجل أسئلة في مُختبر!

- لا أذكر الأسئلة بالضبط، كل ما أذكره كان ضبابيًا بسبب ما أعطانيه من دواء، لم أشعر بعدها أنني بخير.

سألت تيري:

- أكان هذا في يوم الجمعة؟ ولم لم تخبرينا منذ وقتها؟!

أدارت ستايسي رأسها لتتنظر نحو المذيع في التلفاز، ثم عادت تُواجه تيري قائلةً:

- احتجت إلى يومٍ أو اثنين كي أستوعب ما حدث.

ثم ضحكت مُضيفَةً:

- عمومًا لن أعود إليهم.

أسند أندرو رأسه إلى كتف تيري التي سألت:

- لحظة، أكانوا يريدون منكِ العودة إليهم مرة أخرى؟

- خمسة عشر دولارًا للجلسة الواحدة، لكن الأمر لا يستأهل العناء.

- وماذا قالوا لك عن سبب الجلسات؟

- لم يقولوا شيئًا، والآن لن أعرف أبدًا.

تحمّس أندرو وهتف:

- أنا مُستعدُّ لتناول هذا المُخدر من أجل المال. المبلغ سيُغطي إيجارنا

لمدة شهر. الموضوع سهل!

عبست ستايسي في وجهه وقالت:

- والداك يغطيان نفقات الإيجار، بالإضافة إلى أنهم يحتاجون النساء

فقط لتلك التجارب.

قال ديف:

- أنا أخبرتكم لأي غرضٍ كان المال!

طوّحت ستايسي بوسادة نحوه، فمال مُتفاديًا إياها وهو يضحك.

قالت تيري:

- أنا سأطوع.

قال أندرو:

- الفتاة التي ستنقذ العالم تُلبي نداء الواجب!

- فقط انتابني الفضول، والأمر ليس كما تظن.

كان عقلها دومًا منشغلًا بمليون سؤال عن كل شيء، وعلمها أبوها أن

تنتبه لكل ما يدور حولها. لم تكن تريد تضييع فرصة لخوض تجربة

جديدة هامة. يثير غضبها أنها تعيش بعيدًا عن الانتفاضات الثقافية

التي تجري في سان فرانسيسكو أو بيركلي، حيث تحدي قرارات الحكومة

بشأن الحرب أمرٌ يومي عادي، لا أمر يرمقك الناس باستغراب إن أعربت

عن اتفاقك معه.

ماذا سيكون الوضع لو أنها لم تحصل على إجاباتٍ لأيٍّ من أسئلتها؟

ربما يكون الأمرُ مُختلفًا هذه المرة، وستحصل على خمسة عشر دولارًا

بالإضافة إلى إجاباتٍ كذلك. مع مبلغٍ كهذا، لن يسع بيكي الاعتراض على

تطوعها. طرفت عينا ستايسي وتساءلت:

- هه؟

علقت تيري:

- سأذهب بدلاً عنك، وأخضع للتجربة.. إن كنتِ لا تشائين حقاً العودة.

ضحكت ستايسي قائلة:

- لا أنتوي العودة فعلاً. لكن إن كانت المخدرات تثير لديك إحساس

الريبة...

- لا أهتم. نحتاج إلى المال، لهذا سأذهب.

- ماذا لو أن في الأمر خُدعة؟

أومأت بيكي موافقةً كما توقعت تيري. صاح ديف:

- هدوء! أغلقوا مُشغل الموسيقى.. شيءٌ يحدث!

همس أندرو في أذنها مع اختفاء صوت الموسيقى قائلاً:

- أواثقة أنك تريدين الذهاب لرجل فئران التجارب هذا؟ أعرف أنك

تحبين الحصول على إجابات لكل تساؤلاتك، لكن...

- أنت فقط تشعر بالغيرة.

قالتها وأمالت زجاجة البيرة على شفيتها لتجرع جرعة أخرى بمذاق

التراب والوقود.

- أنتِ مُحقة يا صغيرتي.

تابع الجميع أولى خطوات نيل آرمسترونج فوق سطح القمر على

الشاشة. كان يقفز بخفة وببطء نازلاً عن السُّلم. نظر ديف من فوق

كتفه وهو يقول:

- استطعنا إرسال رجل إلى القمر، ولم نجد بعد سبيلاً للخروج من

فايتنام.

تصاعدت أصوات مُوافقة من أرجاء الحجرة، حتى اضطر ديف

لإسكاتهم رغم حقيقة كونه هو أول من تكلم. سكنت الحركة على

الشاشة لبرهة، ثم قال نيل آرمسترونج:

- حسناً، سأهبط عن الوحدة القمرية الآن.

توقف الجميع عن التنفس حتى، وغرقت الحجرة في صمتٍ كصمت
الفضاء نفسه. غاب الصوت تمامًا وعلا الأمل في النفوس.
ثم فعلها -رجل الفضاء في زيّه المُصمم لحمايته من جوِّ عالمٍ آخر
ومن جراثيمه- ووضع قدمه على سطح القمر العاري الجميل. تكلم
أرمسترونج مُجددًا:

- خطوةٌ صغيرةٌ لرجُل، هي قفزةٌ عظيمةٌ للبشرية.

هتف ديف في حماس، وانفجرت الحجرة في التشجيع. حمل أندرو
تيري وراح يدور بها حول نفسه. لحظات صادقة احتفالية، المذيع في
ال تلفاز يكاد يبكي، وكذا كانت تيري.

هدأوا كي يستطيعوا متابعة رواد الفضاء وهم يغرسون العلم الأمريكي.
كان هذا بمثابة تكليل لنجاحهم في الوصول لذلك الجُرم السماوي محمولين
داخل آلة مُذهلة من صنع البشر.

سافروا عبر السماوات، ونجوا، والآن يسرون على سطح القمر.

يا له من مشهدٍ. ترى ما المُستحيل الآن؟

جرعت تيري من بيرتها وهي تتخيل ملاقاته رجل المُختبر الذي
تحدثت عنه ستايسي.

لم يكن مبنى علم النفس هذا من نوعية الأماكن التي زارتها تيري أثناء دراستها. وجدته عند آخر الحرم الجامعي. كان مبنى مؤلفًا من ثلاثة طوابق، مخفيًا خلف الأشجار، تحجب الأغصان نوافذه، وتتمايل مظلاته تحت سماءٍ تُنذر بالأمطار.

جوار المبنى وفي مكان ضيق، وقفت سيارة مرسيدس بينز فاخرة، وحافتان صغيرتان بلا نوافذ، رغم توافر أماكن كثيرة شاغرة في ساحة الانتظار مع قلة عدد الطلاب خلال فترة الصيف.

فكّرت تيري:

شاحنتان بلا نوافذ؟ شاحنات القتل كما يقولون، يا للسخرية.. يبدو أنني تعثّرت في قضية مُثيرة.

تحت ضوء النهار، وجدت فكرة التجارب التي تُجرى هنا سخيفة. بعد أن أخبرتها ستايسي بكل ما تحتاج إلى معرفته، ودّعتهَا مُطمئنة:
- ستكون جنازتك مُبهجة!

جذبت تيري باب مدخل المبنى الزجاجي، فوجدت أمامها امرأة ترتدي معطف المعامل الأبيض، وتحمل حافظة أوراقٍ وتنتظر في المدخل. كان شعرها مموّجًا كستنائي اللون، وجبهتها عريضة، ولا يبدو عليها أنها تطيق المزاح.
قالت المرأة:

- المبنى مُغلق اليوم، ما لم تكوني مُسجّلة في القائمة.

أهي طبيبة أم طالبة؟ لم تقابل تيري من قبل طبيبة أنثى لكنها تعرف بوجودهن. سألت تيري:

- القائمة؟

جاء شخصٌ آخر من خلفها وكاد يصدّمها في اندفاعه، نظرت تيري خلفها لترى فتاة ترتدي بذلة من قطعة واحدة (أوفرول) مُلوّثة بالشحوم. ابتسمت لتيري وقالت:

- آسفة، ظننتُ أنني قد تأخرت.

لم تستطع تيري سوى الابتسام هي الأخرى وقالت:

- لا عليكِ.

كانت الفتاتان مُختلفتين عن بعضهما أي اختلاف، فبينما كانت تيري ترتدي تنورةً وقميصًا مُهندمين، وشعرها ينسدلُ على كتفيها في نعومة، كانت أظفار الفتاة التي ترتدي الأوفرول ملوثةً بالشحوم، وشعرها بالكاد مُمشط. بدت كطفلٍ مُشاغب. لم يكن مسموحٌ منذ أعوام قليلة أن تدخل الفتيات الحرم الجامعي مُرتديات السراويل، فما بالك بمظهرٍ كهذا.

قالت المرأة التي تحمل الحافظة:

- اسماكما؟

قالت الفتاة وهي تتقدم تيري:

- أليس جونسون، لستُ مُقيدة بهذه الجامعة، أنا من البلدة.

أومأت المرأة وقالت:

- اسمك في القائمة.

كانت تلك مُفاجأة، فاسم تيري بالتأكيد لم يكن في القائمة، وعلى قدر علمها، لم يكن اسم ستايسي مُقيداً كذلك.

نظرت أليس والمرأة إلى تيري، فقد جاء دورها كي تُثبت أحقيتها في التواجد هنا. سألتها المرأة:

- وأنتِ؟

- ستايسي سوليفان.

كذبت، وتساءلت إن كانت في المكان الخطأ. نظرت المرأة إلى القائمة ثم إليها، وتسارع نبض تيري. قالت المرأة وهي تضع علامة جوار الاسم:

- ها هو اسمك. ممتاز. كنتما في هذا المبنى من قبل، أليس كذلك؟

اصعدا إلى الطابق الثالث وسجّلا حضوركما مع زملائي هناك.

ترددت تيري قائلة:

- ماذا يجري؟ اعذريني فأنا لا أتذكر شيئاً مما حدث في المرة السابقة.

- هذه عملية تعيينٍ جديدة، كل شيءٍ سيتضح بالأعلى.

بينما تتوغلان أكثر داخل المبنى، قالت آليس لتيري:

- جيد، لأن هذه هي زيارتي الأولى.

جاهدت تيري كي لا تسأل آليس إن كانت تعرف المزيد عما يجري هنا، ونجحت في هذا بالكاد. وقفت عند الباب المؤدي للسلم وقالت:

- أتريدان أن تصعدي على الدرجات؟ مصاعد مباني قديمة كتلك قد تكون شديدة البطء.

رفضت آليس الفكرة وهتفت:

- كلا! أحب ركوب المصاعد.

- حسنًا.

وماذا غير ذلك قد يُقال؟ ابتسمت آليس وسارتا نحو المصعد،

وانتظرتا حتى نزلت الملقصورة وانفتح بابها.

- هذا مصعدٌ عتيق!

قالتها آليس وهي تُمرر كفيها على حواف المصعد المعدنية مبهورة الأنفاس. لم تُعلق تيري على كون أغلب الناس لا يفضلون ركوب المصاعد

القديمة، وأن آليس غريبة الأطوار فعلاً، لكن تيري أحببتها. سألتها:

- قلبتِ أنك من البلدة؟ أنا تربيت في بلدة تبعد عن هنا مقدار

ساعة؛ لأراي.

- أنا أعمل في ورشة أبي لإصلاح المعدات الثقيلة.

- ليتني كنتُ آليّة!

- وما جسد الإنسان إلا آلة من نوعٍ خاص.

كلامٌ موزون!

قالت تيري مازحة:

- وهل للآلات قلب؟

- بالتأكيد، القلب هو المضخة التي تُحيينا.

فُتحت أبواب المصعد لدى وصولهما الطابق الثالث، وقد استغرق

صعودهما وقتًا بقدر ما أمضتاه بالأسفل.

توقفت آليس وقالت:

- يمكنني إصلاح المصعد لو أن لدي قطع الغيار اللازمة، فهو غير مُعطّل ويستأهل المحافظة على فخامته.

عَلِمَ هذا تيري أن تحكّم على الناس من قدر الشحوم على ملابسهم. فخامة مصعد الجامعة! سألتها تيري:

- أنتِ لم تأتي هنا من قبل كما تقولين!؟

- كلا، وجد عمي الأسبوع الماضي إعلانًا في جريدة، يطلبون امرأة في عمر الدراسة الجامعية لديها مهارات استثنائية. أرسلتُ لهم وتلقيت خطابًا بطلب الحضور إلى هنا.

قالت المرأة بالأسفل «عملية تعيين جديدة». فكيف ستُقبل تيري هنا؟ وما هي المهارات الاستثنائية المطلوبة؟

خرجتا من المصعد بعد أن ربّتت آليس عليه برفق. دخلتا إلى قاعة خاوية، مُحاطة بالأبواب والإعلانات الورقية المثبتة على الحوائط. باب واحد فقط كان مفتوحًا واستنتجت تيري أنه هو الباب المطلوب التوجُّه إليه. كان الباب عريضًا بحيث يسعها وآليس جنبًا إلى جنب، وكان هذا أمرًا جيدًا حيث رفضت الأخيرة أن تسبق تيري. كان تصرُّفًا غريبًا شأنه كشأن كل شيء مُتعلق بها، كل تصرفاتها غريبة، ساحرة.

رجل آخر يرتدي معطف المُختبر جالسٌ في الحجرة، شعره مُصنّف كمديعي النشرات الجوية، ويرتدي نظارة طبية ذات إطارٍ سميك. أعطى كلاً منهما استمارةً وقلماً وقال:

- املاّ الاستمارة حتى ننادي عليكما.

شكرًا لحسن استقبالك!

أرسلهما إلى حجرة انتظار حيث وجدتا ست شابات أخريات جالساتٍ على المقاعد، زميلات دراسة. بالإضافة إلى رجلٍ واحد في عمرٍ مماثل لأعمارهن، ذي لحية تشبه لحية يسوع في اللوحات، ويرتدي بنطالًا مُتسعًا من أسفل.

افترقتا -تيري وآليس- إلى المقعدين الشاغرين البعيدين عن بعضهما.

جلست تيري جوار شابة سوداء تقرأ في كتابٍ دراسيٍّ عملاق. كانت أنيقة ترتدي حُلَّةً بنفسجية بسيطة على أحدث طراز، مما جعل تيري تبدو مُهلَهلة الملابس مُقارنةً بها، فما بال شخص مثل آليس؟

سألتها آليس:

- أنت من البلدة أيضًا؟

أزاحت المرأة تجعيدات شعرها مُبرزةً وجهًا جميلًا ذكيًا والتفتت لآليس مُجيبَةً:

- تربيْتُ هنا. متجر جلوريا أزهار.

- ذلك الـ..

قالت جلوريا:

- أجل.

اتسعت عينا آليس، وهمست بصوتٍ عالٍ تجاه تيري مُفسرة:

- لدى أهلها متجر عملاق لبيع الأزهار يُدعى (أزهار أزهار). اسم

عائلتها أزهار.

قالت جلوريا مُضيفَةً:

- أنا هنا! اسم المتجر «أزهار للأزهار والهدايا».

سألتها آليس:

- هل جئت بناءً على إعلان الجريدة؟

- كلا، أنا أدرس الأحياء هنا.

احمرَّ خدًا آليس وهي تقول:

- معذرة، أحيانًا ما يسبقني لساني، لم أقصد أن أتطفل.

قالت تيري:

- ليتك سمعتها وهي تقول شعراً عن المصعد.

نظرت لها آليس شاكراً. مالت تيري ومدت كفًا مُصافحةً نحو

جلوريا، ترددت الأخيرة لثانية، ثم صافحتها مُقربةً كتابها إلى صدرها،

فسقط منه كتيب مُصور على الأرض.

اتسعت عينا جلوريا دُعرًا. انحنى تيري ورفعَت الكتاب ذا الغلاف

البراق المزدان بالرسومات الملونة، وكان بعنوان «الرجال إكس». ناولت جلوريا الكتاب وهي تقول:

- أنا أحب شخصيتي بيتي وفيرونيكا، من سلسلة روايات فتيات أرتشي.

ابتسمت جلوريا وقالت:

- هذه رواياتٌ مختلفة.

- جميل.. لطيفٌ أن أقابل طالبة أخرى.

وترددت تيري، فهي لم تعرف اسم الشابة بعد. قالت آليس:

- لن أتعجب لو رفضوا انضمامي للفريق، فلستُ في مقامكما العلمي.

التفت الشاب الوحيد إلى آليس وقال بلهجة العالم:

- أنت أذكي الموجودات. أنا كين.

قالت آليس مُتَحاشية الخوض في حوارٍ معه:

- ظننتهم يريدون النساء فقط!

قال بصوت هامس:

- أنا وسيطٌ رُوحاني!

سألت تيري:

- حقًا؟!

تراجع في كرسيه قائلاً:

- بالطبع، ولهذا أنا هنا.

- بالتأكيد أنت وسيطٌ رُوحاني.

لم تعرف تيري إن كانت آليس تُكرر كلامه اقتناعًا أم سُخريَّةً.

النساء الأخريات حولهم يجاهدن كي لا يلتفتن إلى ما يُقال أو يحدث

حولهن. استمتعت تيري بوقتها وراحت تتبادل النظرات مع آليس

والوسيط الروحاني المزعوم كين وجلوريا.

فتح الرجل ذو المعطف الأبيض بابًا في مؤخرة الحجرة وهتف:

- جلوريا أزهار.

دسَّت جلوريا الكتاب المُصور داخل كتابها الدراسي وهي تغمزُ بعينها

لرفاقها، وقامت تتبع المُنادي.
أعجبت تيري حقًا بالثلاثة الذين قابلتهم.

بعد ساعاتٍ لم يتبقَّ سوى اثنين؛ تيري وكين. كانت الاستثمارات المطلوب ملؤها مُتخمة بالمصطلحات الرطينة مما أصابها بالغثيان. كانت على حق حين ظنت أن تلك التجارب أكبر مما قد يصل إليه تفكير أحد. لم تكن الاستثمارات تحمل اسم الجامعة، بل هي استثمارات حكومية تحمل اسم مكتب الذكاء الاصطناعي.

مكتوبٌ في الاستثمارات أن المتطوع ربما يخضع لتدابير قاسية ربما تصل إلى الحبس إن أفشى سرية التجارب.

ثمة ما يدور ويحتاجُ إلى السرية المطلقة!

خدم والدُ بيكي وتيري في الحرب العالمية الثانية، وقد رأى أمورًا بشعة هناك لم يتطرق إليها أمام ابنتيه. لكن تيري سمعته يستيقظ صارخًا ذات ليلة، وقامت لتتبين الأمر. تكومت برداء نومها خارج باب حجرة نوم والديها وراحت تسترق السمع.

حكى أبوها عن مُخيمٍ كانوا يساعدون في إجلاء الناس منه. كان يقول «شعبهم نفسه، أهلهم، مُكدسون كالسردين المُعلب، نحيلون كالهياكل العظمية.. وكان هؤلاء هم فقط من نَجوا».

قال أن كوابيس راودته عن عمله في المخيم، وعجزه عن فعل أي شيءٍ لهم. قالت له أمها:

- لا ذنب لك في ما حدث.

- لكم أودُّ لو أصدقك. أعرف الكثير من الرجال الذين عملوا هناك وهم قلقون مثلي تمامًا، ما حدث هناك وارد الحدوث هنا. هذا ما يقلق نومي.

- لا يمكن أن يحدث شيء كهذا هنا.

- أحبُّ يقينك هذا يا عزيزتي.

- لا أعرف كيف كنتُ سأحيا دون يقين كهذا. أنا لا أستوعب كم كان

الوضع قاسيًا يا بيل.

شعرت تيري بحبٍ عظيمٍ تجاههما في تلك اللحظة؛ أبيها الذي شهد أهوالاً يحاسب نفسه عليها دون جريرةٍ منه، وأمها التي آمنت به حين كَفَرَ بنفسه.

اعتاد والدها مشاهدة الأخبار في التلفاز كل ليلة، وكان يطلب من ابنتيه أن تهتما بتفاصيل ما يحدث، وأن تظلا يقظتين، فلا يعلم المرء متى يأتي دوره كي يساهم في حفظ سلام مستقبل العالم.

أخذت تيري كل درسٍ علّمه إياها أبوها على محمل الجد، ودائمًا ما كانت بيكي وأمها تعتبرانها جادةً أكثر من اللازم، لكن أباهما كان فخورًا بها.

وها هي الآن، تتردد حين يقترّب دورها. الحماس والعصبية يتحدان معًا ويعتصران معدتها.

في النهاية وَقَّعت باسمها، عليها ألا تورط ستايسي في كل هذا، كما عليها أن تمضي قُدُمًا وحدها.

نادى الرجلُ عندَ الباب:

- ستايسي سوليفان.

هذه هي آخر مرة تورط فيها صديقتها، قال لها كين:

- أهذه أنتِ؟

غريبٌ أنه صاغ عبارته على هيئة سؤال، قالت وهي تقف:

- أوه، أجل.

لاحظت الآن فقط أن الرجل الذي نادى اسمها يختلف عن نادى باقي الحضور. كان رشيقيًا ووسيميًا، ذا شعر بني مصفف بعناية. حين توقفت عينه عندها، شعرت كأنها درجة حرارة جسدها انخفضت بضع درجات.

ابتسم وتجددت البشرة على جانبي عينيه وقال:

- آنسة سوليفان؟

أنتِ فقط متوترة.

اندفعت تيري إليه فكادت تسقط منها استمارتها. علّقت حقيبة

يدها على ذراعها وتمسكت بالأوراق. هتفت:

- أنا هنا.

أشار إليها أن تسير أمامه وقال:

- مكاننا في نهاية الرواق، آخر حجرة على اليمين.

كان الباب المؤدي للحجرة الكبيرة المزدهمة مفتوحًا، وبدخلها رأت سرير فحس على مسافة بضعة ياردات، فمرت من جواره داخلًا. كان المكان يوحى بالتجارب التي تُقام فيه. كان ثمة محفّاتٍ طبية، ومُعلقات مرسومة عليها مخططات بيانيّة، ومُعدات غريبة تخرج منها الأنايبُ والأسلاك. كان هناك كذلك منضدة مُكدسة بالدفاتر، وعلى ركنٍ منها منظارٌ مُهمَل، ورأت مُجسمًا للمخ البشري مقسوم إلى قسمين ورديين شاحبين.

أشار الرجل إلى سرير الفحص وقال لها:

- اجلسي.

كانت لهجته قاسيةً أمرّة وكأنه مُعتادٌ على توجيه الأوامر. ترددت تيري، ثم جلست عند حافة السرير مُدلاة الساقين. وضع يَدُها أنها لا تقف على أرضٍ صلبة.

وقف الرجل ينظر إليها، ثم طال الصمت فقال أخيرًا:

- واسمك؟

وقبل أن تقرر بما ستُجيب أردف:

- أعرف أنك لستِ ستايسي سوليفان.

اللعنة!

انزلق السؤال من فوق شفثيها:

- كيف؟

- بحسب الملاحظات التي كتبها طاقم الجامعة، فستايسي سوليفان فتاة ذات شعرٍ أسود مجعد، وعينين بنيتين، ومستوى ذكاء متوسط.

تضايقت تيري بالنيابة عن ستايسي. أكمل الرجل:

- وأنتِ، شقراء، زرقاء العينين، وتقديري لمستوى ذكائك يتوقف على السبب الذي تنتحلين شخصية الأنسة سوليفان من أجله، لكنني أخمن أن ذكاءك فوق المتوسط. لذا، من تكونين؟

كانت نبرته عادية، ولم يكن هذا ما توقعته تيري أبداً. قالت:

- وأنت أيضاً لست رجل التجارب الذي فحص ستايسي، بغض النظر عن كون المشهد حولي يختلف عما حكته هي. أنا هنا لأنها لا تريد العودة. من تكون؟

وتساءلت إن كان سيجيب سؤالها. هز رأسه في ما يشبه الاستمتاع وقال:

- أنا دكتور مارتين بريتر، وكان الرجل الذي قابل الأنسة سوليفان عالم نفس من الجامعة يعمل بعقدٍ من الباطن. لكنهم كانوا يفسدون الأمر بتعيينات الجامعة هذه، لذا توليت أنا العمل. دورك. هذا عادلاً بشكلٍ كافٍ.

- أنا تيري آيفز، زميلة ستايسي في السكن.

- أنا لا أعرف إن كنت تلائمين المطلوب لهذه التجارب.

- تحدثت إلى بعض الجالسين بالخارج، وعرفت أنهم جاءوا بناءً على إعلان في الصحف. فعن أي مواصفاتٍ تتحدث؟

تجمد مكانه وراح يرمقها بنظرة طويلة مرة أخرى. تشجعت كونها لم تُطرد حتى الآن وأردفت:

- أنتطوع لأحل محل ستايسي، لأنني.. لأنني أستشعر أهمية ما يحدث رغم غرابته، فالمختبرات لا تطلب نساء في عمر الدراسة الجامعية ليعطوهن مخدرًا من نوعٍ ما فقط. لا أظنه الهدف الوحيد.

- وماذا تعتقدون أننا نفعل؟

هزت تيري كتفيها وقالت:

- قرأت الاستمارة، وأقول أن أيًا كان ما يجري هنا فهو أمرٌ عظيم، وأودُّ أن أكون جزءًا منها.

- هممم.

غمغم بنبرة مُتشككة، فسألته:

- ماذا أحتاج كي أتأهل للالتحاق بالتجارب؟

- هل أنت مرتبطة عاطفيًا؟

تداعى وجه أندرو أمام عينيها وقالت:

- لستُ متزوجة.

- هل تعانيين من أمراض؟

- لم أفوت ووردية واحدة من ورديات المطعم الذي أعمل فيه.

أوماً في استحسان وسألها:

- هل مارستِ علاقة جنسية من قبل؟

تصلبت، فلم يكن هذا النوع من المحادثات ليدور بين امرأة ورجل غريبٍ عنها، خاصة إن كان رجلاً غريباً تابعاً للحكومة. قال في لهجة اعتذار:

- على مشاركتينا أن يكونوا صرحاء، آسف.

قالت تيري دون تفسيرٍ أكثر:

- أجل.

- هل وُلدتِ من قبل؟

- كلا.

- أليديك إرادة قوية؟

قالت تيري مُفكرة:

- أنا هنا، أعتبر هذا إرادة قوية بشكلٍ كافٍ؟

- أعتقد أنك تلاميئ الشروط المطلوبة، لكن...

وتوقف عن الحديث يتفحصها. استرجعت ما قالته أليس عن فحوى الإعلان في الجريدة، وقالت لنفسها أنه لن يهتم بما كتبه في الاستمارة عن قدراتها الاستثنائية؛ تقديم الخدمة لست أو ثماني طاولات في المطعم دون أن تنسى أي طلب من الزبائن، لا تخلط بين القهوة العادية ومنزوعة الكافيين، تنهي واجباتها الدراسية في آخر لحظة ومع ذلك تحصل على درجات عالية، تستطيع أن تضحك أندرو حين لا يريد ذلك، وتُسري عن بيكي في ضوايقها.

قالت:

- أنا استثنائية!

قال وكأما رجحت كفتها، أو ربما كان فقط يجاريتها:

- حسناً، أعتقد ذلك. اجلسي جيداً.

كانت تيري تكره تلقي الأوامر، لكنها انصاعت وجلست.

أوقف آندرو سيارته البليموث الخضراء الزمردية خلف الحافلتين الصغيرتين جوار المبنى وراح ينتظر. كان يحب سيارته ويغسلها مرة في الأسبوع على الأقل. ما كان ليُصر على توصيل تيري إن لم تكن تجربة ستايسي هنا مبهمة إلى هذه الدرجة.

لوّحت تيري لآندرو وهي تتواثب عبر العشب وتفكر عن القدر الذي ستحكيه له مما حدث بالداخل. كان يشك في حكمتها، وفي قرارها المجيء إلى هنا رغم أنه لم يُمانع.

ركبت السيارة وقالت محاولةً التملص من الحكي:

- أتصورُ جوعًا، هل تود أن نذهب لمكان لنأكل شيئًا؟ سأدعوك على

حسابي.

تفحصها وكأنه يتأكد أن لا شيء ينقص منها وقال:

- أرى أنهم قد دفعوا لك الخمسة عشر دولارًا! أوافق.. أين تريدان

الذهاب؟

- لنذهب لمطعم ستارلينج.

كانت الليلة ليلة الجمعة، ولم يكن عليها العمل حتى التاسعة مساءً في اليوم التالي. الصيف يُحيل الأمسيات لأفرانٍ ساخنة، وهذا هو الجو الملائم للذهاب لسينما السيارات. لن تبدأ العروض قبل ساعتين، فعليهما الذهاب إلى المطعم بعد أن يحجزا مكانًا جيدًا في السينما.

قالت لآندرو:

- أذكر أنك كنت تريد أن تشاهد فيلم العصابة الجامحة، أعتقد أنهم

لا يزالون يعرضونه.

- كما تريدان أنتِ.

وقاد سيارته خلال طرقات الحرم الجامعي الخاوية مُضيفًا:

- كنت على وشك اقتحام المبنى بحثًا عنك. ظننتهم قد اختطفوك.

كيف سار الأمر؟ هل كنتِ على حق حين قررتِ المجيء؟

ضمت تيري كفيها على جحرها وقالت:

- أعتقد ذلك.

- حقًا؟

- أجل.

- وماذا حدث؟

- حتى الآن، سألني الطبيب الكثير من الأسئلة، لكنه وافق على بقائي

معهم .

نظر إليها سريعًا وسأل:

- ولم تكن ثمة حُقن غامضة؟

- لا حُقن غامضة.

كانت صادقة، وأضافت:

- لكنني قابلتُ رجلًا مختلفًا عمن قابلته ستايسي. من يدري ماذا

سيحدث في المرة القادمة. أشعر أن تلك التجارب هامة.

أعلن مُذيع الراديو آخر أسماء ضحايا حرب فايتمام في المعركة. رفع

آندرو صوت المذيع وقال:

- صديق آخر لي من المدرسة الثانوية مات هناك.

كان الجميع يعرفون أشخاصًا ماتوا في الحرب، وكانت تيري تذكر وجوه

من تعرفهم منهم جيدًا وكأنهم صور في دفتر التخرج في المدرسة، صور

باسمة بالأبيض والأسود تحبسهم بداخلها.

كان آندرو مدعورًا من فكرة إنهائه الدراسة الثانوية، قد أجّل التخرج

للربيع القادم. وكان آخر ما وصل إليه نقاشهما عن الأمر أنه سيلتحق

بدراسة أخرى بعد التخرج حتى تنتهي أزمة الحرب كي لا يرسلوه

للتجنيد. قالت تيري:

- الأمر مؤمٌ للغاية.

دائمًا ما كانت تفشل في وصف أهوال كهذه في كلمات، وشعرت

بالامتنان كون آندرو يفهم ما ترمي إليه. أوماً الأخير وأكمل استماعه

للمذيع، بيما راحت تيري تفكّر في لحظاتها الأخيرة مع دكتور بريتر.

كانت قد أقنعتته بطريقة ما لا تفهمها أن يعتبرها مُرشحة قوية

للانضمام إليهم. باقي الجلسات ستُجرى في مُختبر تابع للحكومة بعيداً عن الحرم الجامعي. أقر الطبيبُ أن الأبحاث هامة للغاية وفارقة. ماذا يعني ما قال؟ ليس لديها أدنى فكرة. عليها العودة لمبنى علم النفس بالجامعة بعد ثلاثة أسابيع، ومن هناك سيرسلونها إلى مُنشأة مؤمنة مرة كل أسبوع.

على شرط ألا يتعارض هذا مع دراستي.

هذا هو كل ما قالته، لكن بداخلها أشرقت نجمة شرفٍ.

عليها كذلك ألا تحكي لبيكي كل التفاصيل، فهي لم تنصت لكل دروس أبيهما؛ فبينما كانت تيري تكتب خطابات عن الحرب وترسلها لأعضاء الكونجرس، كانت بيكي تؤمن أن على الأشخاص في ظروفهم أن يعملوا بجِدٍ أكبر كي يستطيعوا العيش في الحياة القاسية، بدلاً من أن يعيشوا في وهم تغيير العالم بتكلفة طابع بريد. من الأفضل ألا تعرف بيكي شيئاً عما تفعله تيري.

قال آندرو:

- لا أعرف كيف سنثق في الحكومة مُجدداً، من المفترض أنهم يعملون لصالحنا.

- أفهمك.

أخفضت تيري صوت المذياع وأضافت:

- لكنهم نفذوا مشروع الهبوط على سطح القمر كذلك.

- العلم هو من نَفَّذ المشروع. جون كنيدي هو من أمرهم بذلك. كل ما يفعلونه الآن هو إرسال المزيد منا للموت.

قررت تيري ألا تُخبره من يشرف على تلك التجارب الآن؛ علماء من الحكومة. هذا سيجعله يتراجع عن مُساندتها وهي لا تريد أن تجادل في هذا الشأن، فقد قررت وانتهى الأمر.

قالت تيري:

- سأبتاع فيشاراً وشطيرة نقانق.. وربما شراباً بارداً كذلك.

غمز آندرو هاتفاً:

- يا له من تذيير!

الفصل الثاني لا شيء يضاهي أرض العجائب

أغسطس 1969
بلومينجتون، إنديانا.

-١-

- يُشعري صديقك أنه لن يسمح لي بالذهاب معكم لأنني مؤدبة
زيادة عن اللازم، وهذا ليس السبب طبعًا.

جذب آندرو تيري لتجلس على ملاءة فراشه الفوضوي غير المهندمة.

- أخفضي صوتك، سيسمعونك. كان يمكنك التوافق معهم ما لم تكوني
متمسكة باستكمال دراستك إلى هذا الحد.

دفعت تيري كتفه مازحةً وقالت:

- يمكنك أن تظل دومًا داعمًا لي، صديقًا صدوقًا.

قال باسمًا:

- لكن ليس مسموحًا لي بحضور تجاربك العلمية المجنونة.

- الفصل الدراسي على وشك البدء، بيكي دفعت الرسوم الدراسية

بالفعل. ألسنت قلقلًا من التغييب عن دروسك؟

كان كلاهما في الفترة الفاصلة ما بين الفصلين الدراسيين، وكلاهما دفع

الرسوم للفصل الدراسي التالي. كانت تيري تدرس علم التربية، ويحضر
آندرو محاضراتٍ عن الفلسفة.

قال لها:

-أنا قلق من أن يمر العمر بي دون أن أنجز شيئًا.

- أها...

لم تنسَ تيري أن إخفاقاتها ستؤثر على بيكي، التي تشعر بالمسؤولية

تجاهها الآن. كان أندرو عشوائيًا عقويًا، مُدللًا إلى حد ما، لكن ورسطاه لم تكن من النوع الذي يحتاج تدخل أحد لإنقاذه منها. وكان أندرو وتيري يؤمنان بذات الأفكار حتى لو اختلفت طريقة تصرف كل منهما عن الآخر.

قالت تيري:

- عليّ أن أعود إلى مبنى الاختبارات النفسية هذا الأسبوع، ولن أستطيع المجيء معك.

قال وهو يطوّق كفيها بكفيه:

- حبيبتي، سنكون جميعًا في تلك الرحلة، لا يمكنك تفويت فرصة كهذه.

- أنا بالكاد أقنعت دكتور بريّنر أن يقبل باشتراك في التجارب، ولن أغامر بالطرد قبل أن أبدأ حتى.

مسّ خدها وهو يقول:

- حسنًا. كنت أتمنى لو ترافقينني. سأفتقدك.

من الحجرة المجاورة، صدح صوت رجلٍ يهتف:

- أسرع، سنغادر خلال ربع ساعة.

كان الصوتُ صوت شاب يُدعى ريك، ذي شعر مُدهن يثير قشعريرة تيري. كان يملك الحافلة التي سيركبها خمستهم إلى بلدة قرب نيويورك لم يسمع عنها أحدٌ من قبل؛ وودستوك. بدا لتيري أن الاسم مُلفق.

قلبت تيري عينيها لأعلى وهي تقول:

- عِدني أنك ستكون حذرًا. ستقضي أيامًا في حافلة مع غرباء من كاليفورنيا رغم حوادث القتل المنتشرة. أراهن أن القَتلة يركبون حافلة أيضًا.

ربما بدت نبرة صوتها مُستخفة، لكن تفاصيل حوادث القتل تلك ظلت تُورقها كل ليلة. كانت قد قرأت كل ما كُتِب عن تلك الحوادث؛ كلماتٍ مثل (خنزير) و(مُتعبّل) مكتوبةً بالدم على الحوائط. وصورة تلك الممثلة المسكينة شارون تيت المطعونة حتى الموت وهي بعدُ

حُبلى في شهرها الثامن.

أي نوعٍ من المسوخ يقتل امرأة حُبلى؟

قال أندرو:

- نحن متوجهون إلى الجانب الآخر من البلاد. أنت قلقة حقًا من

قَتلة الحافلات؟

- كلا!

أجل.. وقلقة من كل شيء.. العالم صار مجنونًا.

قال أندرو مُطمئنًا:

- من سأذهب معهم ليسوا أغرابًا، ريك وديف تريبا معًا.

لم يذكر شيئًا بشأن أصدقاء ريك؛ شاب هزيل آخر يدعى وُوج، وفتاة

اسمها روزالي اعتادت أن تحدِّق في تيري كأنها مُزحة مُجسدة. كذلك

وأخلاق الناس تتغير، فقد جاءوا كي يدعوا ديف لمرافقتهم في رحلتهم

عبر البلاد فقط كي يستحموا في حمامه!

قالت تيري كاذبةً:

- ربما كنتُ قلقة بعض الشيء، لكنني أشعر أن شيئًا سيئًا على وشك

الحدوث.. لا أعرفُ كيف أشرح لك.

- هذه هبة ونعمة، لكنها ليست كذلك بالنسبة لي أو لك.

ابتسم ودفعها برفق إلى الفراش وهو يهمس في أذنها:

- في حالة صدق حدسك، أظن أننا في حاجة للوداع بشكلٍ لائق.

قالت مازحة:

- لا أصدق أنك ستشاهد عرض جانيس جوبلين من دوني! أنت حبيبٌ

مُرعب!

- كما قلتُ لك، تعالي معي.

كان عرضه مُغريبًا، وصار أكثرَ إغراءً حين راح يُقبِّل عُنقها.

لكن بعد خمس عشرة دقيقة، غادر أندرو إلى وودستوك، وعادت

تيري إلى سكن الجامعة. كان هذا هو الطريق الذي اختارته وعليها أن

تلتزم به.

بعد بضعة أيام، ذهبت تيري إلى مبنى علم النفس بالجامعة لتجد حافلةً مألوفةً تتألق بلونٍ أسود في انتظارها هناك. تيري مُتأكدة أنها واحدة من الحافلتين اللتين رأتهما أول مرة. كانت الحافلة تحمل أرقامًا حكومية، ونوافذها مطلية بطلاءٍ أسود شبه شفاف. الحافلات في كلِّ مكان..

كتمت تيري ضحكة، لو أن أندرو هنا لتهكَّم على تحاملها المفاجئ على الحافلات. لكن الحافلة أمامها أقرب لحافلات الكنائس منها لحافلات الهيبيز أو القَتلة.

تمنت أن يكون أندرو ورفاقه قد وصلوا بسلامةٍ إلى نيويورك. كان المهرجان الذي سيحضره قد بدأ منذ أيام وتمت تغطيته في الصحف. من المتوقع أن يزحف أكثر من مائتي ألف وخمسمائة زائر إلى مدينة وودستوك الهادئة. رأت صورًا لزائرين بيتسمون وكأنهم وصلوا لأرض الميعاد، ولم ترَ أندرو في أيِّ من تلك الصور.

قيل كذلك أن جانيس جوبلين أقامت حفلًا من أفضل حفلاتها. حين فكرت تيري في كل هذا وجدت أن محاضراتها الدراسية مملة للغاية بالفعل.

ليتها تُفيد بعد كل هذا..

تسمَّرت مكانها بدلًا من التوجه إلى الحافلة الصغيرة، لكن أساريها انفرجت حين رأت سيارة قديمة صديئة تصل ساحة الانتظار وتخرج منها آليس. كانت الأخيرة قدرة الملابس مثلما قابلتها آخر مرة.

هتفت آليس دون سلام:

- هل تأخرت؟! -

- وصلت في وقتك بالضبط.

- لم تقفين هنا؟

فُتح باب الحافلة وبرز منها كين هاتفًا:

- لم تقفان هناك؟!

هل ما فعله ذو صلة بكونه وسيطاً نفسياً أو روحانياً؟ تبادلنا نظرات الدهشة، ثم تحركتا لتركبنا الحافلة. كانت جلوريا جالسةً على المقعد خلف كين، أنيقة كعادتها، ترتدي تنورة خضراء، وبلوزة مُنقطة بالأبيض. ركبت تيري جوارها، فحدّجتها أليس بنظرة تقول «شكراً كونك ضحيت بي لأجلس جوار هذا الشاب».

ضحكت تيري.

كان الرجل اللحيم خلف المقود يرتدي يونيفورم يكشف عن ذراعين مُشعرتين. قال:

- أملوني أسماءكم كي أعرف من حضر من قائمة الأسماء.. لأغراض أمنية.

قاطعته كين:

- قرأت قائمة الأسماء، وأربعتنا هي كل من فيها.

لم يُعجب السائق المُسن ما قاله، لكنه أعاد القائمة إلى مكانها وأمسك بالمقود وتحركت السيارة مُصدرة هديرًا خافتًا.

سألت تيري كين:

- أتعني أنك قرأت القائمة بالفعل؟ أنت لم تعرف ما بها دون أن تراها، أليس كذلك؟

نظر كين إليها من فوق كتفه وقال:

- لم أتوقع أن يُحكم على قدراتي هنا، لكنني وسيط روحاني، ولطالما كنت كذلك.. الأمر لا يسير بهذا الشكل.

قالت تيري:

- آسفة، لم أقصد الإهانة، كنتُ أمزح.

توقف كين قليلاً عن الحديث مُفكرًا ثم قال:

- حسنًا إذًا.

قالت جلوريا بصوتٍ خفيض:

- أتتوقع أن نصدق أنك وسيط روحاني؟

وضع كين كفه على صدره وقال:

- لقد اختاروني للمشاركة في التجارب، وهذا خير دليل.

أيًا كان ما يفعله، سواءً يتصل بالأرواح أو يقرأ المستقبل، رأيت تيري أن لديه حسًا دراميًا، وأن في وسعها تعلُّم منه شيئًا تجهله وتتساءل عن حقيقته.

سألتهم:

- لمَ اشتركتم في التجارب؟ ما السبب؟ بالطبع إلى جانب أننا قبلنا وهذا سبب كاف.

استمر السائق في القيادة بنعومة في طُرقات الحرم الجامعي. تفاجأت تيري حين أجابتها جلوريا دون تردد:

- لم يكن هذا خيارًا الأول.

- ماذا تعنين؟!

تنهدت جلوريا وقالت:

- عميد كليتي يرفض أن أقوم بنفس الأبحاث التي يقوم بها الطلاب الذكور. هو حتى لا يصدق كيف سمحت الجامعة لشخص مثلي باستكمال دراسته، لكن والدي لم يصمّت حين طُردت من المُختبر الذي أريد العمل فيه، فقامت الجامعة بترشيحي لهذه التجارب كشرط لنيل ما أريد.

قالت تيري:

- جلوريا، أنا...

- لا عليكِ.

ولفتت جسدها في جلستها لتواجه المجموعة وسألت آليس:

- ماذا عنك؟

- كنت أدّخر لشراء سيارة فايربيرد، وبالمال الذي سيدفعونه لنا يمكنني شراؤها في وقتٍ أقرب.

قالت عبارتها وكان الأمر بسيطًا ومتوقَّع. ساد صمت قصير بعدها، ثم

نظروا نحو كين، وحين لم يستجب لنظراتهن، سأله تيري:

- وأنت؟

- كان من المفترض أن أكون هنا، فجئت. ستكون صحبتنا هذه مهمة للغاية لكل منا.

بشكلٍ ما، لم يكن ما قال مثيراً للسخرية، ولم تُردِ تيري أن تجرح مشاعره مرة أخرى بأي شكل. سألها كين أخيراً:

- وماذا عنك؟

أضافت آليس سؤالاً:

- اسمك ستايسي، أليس كذلك؟

تململت تيري وقالت:

- الحقيقة...

نظر لها كين وقال:

- اسمها تيري كما أظن.

- أجل، تيري آيفز.

كوّرت آليس أنفها هاتفةً:

- هه؟! لكنني متأكدة من أنك أخبرتهم أن اسمك ستايسي. ذاكرتي جيدة.

وتلاقت العين على وجه تيري، سألتها آليس خافضةً صوتها:

- لم استخدمتِ اسمًا مُستعارًا؟ هل لديك سجل إجرامي؟ هل سرقتي شيئًا من أهلك؟

كانت عينا آليس متسعيتين وعرفت تيري أنها تنسج كل أنواع الحكايات عنها في عقلها، فأجابت فوراً:

- لستُ مجرمة ولا مخطوفة ولا جاسوسة ولا مُطاردة.

خاب أمل آليس، فأضافت تيري باسمه:

- ستايسي هو اسم زميلتي في السكن. كانت قد سجلت اسمها ثم قررت ألا تذهب. بالإضافة إلى أنني أحتاج المال و...

كانت تريدُ قول أنها هنا لأنها تجدها فرصة كي تفعل شيئاً ذا قيمة، وأن تلك الفرصة أمامهم جميعاً كي يصنعوا تاريخاً مُشرقاً. كانت تريد أن تقول أن القدر هو ما قادها إلى هنا. لكنها التزمت بما قالت له لبرينر، سبباً يبدو أقل سخفًا، فأضافت:

- أشعر أن تلك التجارب هامة.

مكتبة

t.me/t_pdf

أومات جلوريا وأخفضت صوتها وهي تقول:

- تلك التجارب بالفعل هامة، أليس كذلك؟ ينفقون الكثير لنقلنا من وإلى الجامعة.

مالت تيري أمامًا، وتململت آليس في جلستها كي تُريح ذراعيها على ظهر المقعد. تحدثت تيري إلى السائق وهي تتساءل إن كان يسمعهم:
- لم أكن أعرف أن ثمة مُختبرًا في هوكينز. أليس هذا هو المكان الذي نتوجّه إليه؟ هوكينز؟

- المُختبر لم يكن هناك منذ زمن، المكان تحول إلى منشأة لإجراء التجارب العلمية العام الماضي.
- وماذا يفعلون هناك؟
- يجرون أبحاثًا.

انتظرت تيري أن يُضيف شيئًا لإجابته لكنه لم يفعل، وظل تركيزه مُنصبًا على الطريق الخالي المُنبسط أمامه، والذي يحيطه على الجانبين حقول الذرة؛ كانوا خارجين من المدينة.
سألت آليس فجأة:

- ورفيقة سكنك - ستايسي - لا تحتاج إلى المال؟

يا لها من مُلاحظةٍ دقيقة!

كانت تيري قد ظنت أن النقاش في هذا الأمر قد أُغلق.

- ليست في حاجة ماسة للمال حتى تقبل بوظيفةٍ إضافية، وكان أمر التجارب بالنسبة لها عبئًا كالوظيفة.

قالت آليس وهي تهز رأسها وتنظر نحو جلوريا:

- يا للفتيات البيضاوات، لا يعرفن ما هو العمل الحقيقي.

لم تستطع تيري أن تُجادل في المبدأ العام نفسه، مهما عملت بكدي، ومهما تغطّت آليس بالشحوم، الجميع بحاجة إلى مالٍ إضافي.

قالت جلوريا:

- لا أستطيع أن أقول هذا بالضبط.

غمزت آليس وقالت:

- لست في حاجةٍ لأن تقولي شيئًا، أنا قلتُ بدلًا منك.

ابتسمت جلوريا وقالت بصوتٍ لا زال خفيًا:

- عمومًا ما نحن بصددّه هو عمل من نوع ما، فلا أحد يدفع أموالاً كهذه لأجل تجارب في الحرم الجامعي. هذا المال للتعويض عن شيء.
- شعرت تيري بالفضول كي تعرف كم يدفع الآخرون مقابل التجارب العادية، لكن السائق منعها من التساؤل قائلاً:
- لا يجب عليكم الحديث عن التجارب خارج المختبر. سيؤثر هذا على النتائج.
- صمتوا لخمس دقائق كاملة، وهو وقت يفوق قدرة آليس على التحمّل. سألت:
- هل تعرفون متى يصدر ألبوم البيتلز الجديد؟
- وبدأت ثرثرة عن الموسيقى وكلُّ أمرٍ بعيد عن التجارب طيلة الوقت المتبقي من رحلتهم.

عرفوا أنهم وصلوا حين أبصروا السياج المعدني، واللافتة المكتوب عليها (مُختبر هوكينز القومي). المبنى نفسه لم يبدُ جديدًا رغم ما قاله السائق، لكنه قال كذلك أن المُختبر نفسه لم يكن هنا منذ زمن. ربما كان المبنى قديمًا واستغلوه حاليًا كمُختبر جديد.

عبرت الحافلة نقطة تفتيش مكتظة بالجنود، حتى وصلت ساحة انتظار. وأدركت تيري أن ما يحدث حقيقي، وأن أمامهم مبنى من خمسة طوابق ضخم كفاية كي يحوي أجنحةً وحراسًا مسلحين. بُثت العزيمة في عظامها، فقد كانت عمتها شيرلي وأختها بيكي تقولان أنها أكثر الناس عندًا على وجه الأرض حين تُقرر أن تفعل شيئًا. من الممكن أن ينتهي بهم الأمر بالجلوس في حلقة وممارسة التأمل مثلًا. ربما كانت ستايبي تُبالغ.

هتفت جلوريا:

- تيري؟

وهنا أفاق تيري لتجد أن السيارة قد توقفت وانفتحت أبوابها، وحين وقت النزول منها.

- آسفة.

سار أربعتهم ككتلة قَلِقة، يتقدمهم السائق بمسافةٍ صغيرة. ظل ينظر خلفه بين الفينة والأخرى وكأنهم سيهربون مثلًا.

كانت ساحة الانتظار مليئة بالسيارات الجميلة، لكنها لم تكن سيارات فاخرة ما عدا سيارة مرسيدس لامعة واقفة عند أقرب نقطة من باب المبنى. ذات السيارة التي كانت جوار المبنى في الجامعة، لا بد أنها سيارة دكتور بريتر.

توقفت آليس حين وصلوا بوابة المدخل الزجاجية، وحدقت في المبنى. سألتها تيري:

- ماذا بك؟

هزت آليس رأسها في ذهول قائلةً:

- لا أستطيع أن أنتظر حتى أرى المصاعد!

لمصلحة الجميع، لم يُبد أحد اهتمامًا بما قالت. أبقى السائق الباب مفتوحًا حتى دخلوا، وانتظرت تيري حتى دخل الجميع أولًا. سألتها

السائق:

- هل ستدخلين؟

لم تكن في حاجة لسؤال، وبالفعل دخلت بعد شهيق طويل.

أُكِّد منظر المدخل رسمية المكان، كل بوصة فيه كانت تصرخ: مبنى حكومي! مهام خطيرة! كان هناك المزيد من الجنود عند مداخل الأقسام المختلفة من المبنى. في الواجهة ثمة مكتب استقبال خلفه سيدة كبيرة السن وأمامها دفتر عملاق لتسجيل بيانات الزائرين. ولم تر تيري ذرة غبار في أي مكان، ولا حتى لطفة واحدة على الأرضيات.

قال السائق وهو يقودهم نحو مكتب الاستقبال:

- ستحصلون على بطاقاتٍ تحمل هوياتكم فيما بعد، أما اليوم، فسجّلوا بياناتكم.

كان وجهه صلدًا بلا تعبير. تقدمت جلوريا أولاً، لكن قبل أن تمسك بالقلم، انفتحت أبواب في عمق المبنى، ورأت خلف واحدٍ منهم جنديًا يحمل بندقية، ثم خرج دكتور بريّنر، ورأت تيري وجهه يتغير، وابتسم حين رآهم، فبادلته الابتسام مُناديةً:

- دكتور بريّنر!

رفع يده مُحيياً:

- مرحبًا بالجميع.

سار نحو المكتب ولم ينظر للمرأة الجالسة خلفه وهو يقول لها:

- لا داعي لتسجيل البيانات.

زَمَّت المرأة شفيتها كأنما تقول أنها هي من ستحمل العواقب، لكنها أومات ولم تعترض. تبعت المجموعة دكتور بريّنر وأدركوا أنه يعاملهم مُعاملةً خاصّة.

لاحظت تيري أن آليس تشتت من مرأى البندقية مع الحارس وهم يدخلون الصالة الكبيرة البيضاء، فأخذت بيدها لتطمئننها وتحثها على السير. تملصت آليس للحظة حتى أدركت ما تفعله تيري فشكرتها وهَرَعتا لتلحقا بالطبيب. هتفت تيري:

- أخبرنا يا دكتور بريّنر عن هذا المكان وما تفعلونه فيه.

برقت نظرة مُفاجئة في عينيه وَشَّت بأنه غير مُعتاد على سؤال كهذا.

- لا يوجد ما يقال، سترون كل شيء بأنفسكم.

- جيد، لديك حق. أنا فقط مُتحمسة.

عادت ابتسامته الساحرة للظهور مرة أخرى وهو يقول:
- ممتاز.

ساروا خلال متهاة من الطُرُقَات النظيفة بلا أي أثر لغبار على الأرضيات أو الحوائط البيضاء. من السقف كانت تتدلى أضواء مُبهرة في صفوف متوازية. كان المكان عبارة عن متهاة عرفت تيري أنها ستعاني كي تجد طريقها خلالها إن كانت وحدها.

حيًا رجل يرتدي معطفًا أبيض دكتور بريتر وتجاهل المجموعة وكأنهم غير مرئيين. اختفى السائق، وأشار دكتور بريتر نحو مصعد، وأدخل أرقامًا معينة على لوحة المفاتيح خارجه. صدح صوت صفارة ثم ضغط زر استدعاء المصعد.

اتسعت عينا آليس وهي تشاهد ما حولها، وتعوض على شفتها السفلى كي تمنع نفسها من السؤال عن التكنولوجيا التي تراها أمامها. تحت لوحة المفاتيح كانت لوحة صغيرة مكتوب عليها: (منطقة محظورة - مطلوب إذن أمني)

ظلت تيري تنتظر ما سوف يؤكد طموحها، أو مخاوفها لكنها لم تجد شيئًا بعد.

انفتحت بوابة المصعد مُنزلة في نعومة. قال دكتور بريتر:
- اركبوا جميعًا.

ظلت آليس تنظر حولها إلى أرجاء المقصورة النظيفة، وبشكل ما ظلت صامتة. غالبًا ستجرب تجاربهم في طابقٍ علوي، الطابق الثاني كما لاحظت تيري بعد أن توقف المصعد.

ثمة المزيد من الأشخاص في الطابق الثاني؛ رجلين وامرأة ممن رأتهم في الحرم الجامعي يرتدون معاطف بيضاء وينتظرون في رواق جانبي. تحركوا نحوهم حاملين أوراقًا حين رأوهم. حيًا آليس، ثم جلوريا، ثم كين. وابتسم دكتور بريتر لتيري وقال:

- سأعمل معك، وسأتابع الآخرين من وقتٍ لآخر.

أوماً من خلف كتفه لزملائه، ثم تبعته تيري نحو الردهة الطويلة. نظرت خلفها فرأت الباقيين يُقتادون عبر أبوابٍ مختلفة. لمحت خلف الحاجز الزجاجي الذي عبوه فراشًا غير مُهَندَم، ومنضدة صغيرة، ومسطحًا تعلوه أجهزة متنوعة.

توقف دكتور بريتر مُشيرًا إلى بابٍ وقال:

- ستكون جلستنا هنا.

كانت الحجرة أكبر من الحجرات التي دخلها زملاؤها، وكان بها فراش بمحاذاة الحائط مغطى بملاءة بيضاء، وجواره منضدة وعدد من المقاعد وأجهزة متنوعة. وفوق الفراش كان رداء باللونين الأزرق والأبيض. قال الدكتور بريتر:

- غيري ملابسك وسأعود بعدها.

ابتلعت ريقها في توترٍ وسألت:

- سأرتدي رداء مُستشفى؟

- أجل، هو مُريحٌ أكثر.

ثم توقف عن السير وسألها:

- أما زلتِ راغبةً في المشاركة؟

جف ريق تيري، فلم تستطع الحديث، لكنها أومأت إيجابًا.

- لا تخافي. سأكون بالخارج، طُلي برأسك فقط حين تكونين مُستعدة.

كان يتحدث وكأن ما يحدث عادي. خرج مُساعده الذي كان بالداخل

معه، وأغلق الباب خلفهما. فكرت أن تجرب فتحه لترى إن كان موصلًا

بقفل، لكنها وجدت الفكرة سخيفة. لمَ قد يحبسونها والمفترض أنها

ستفتح الباب لتناديهما حين تستعد؟!!

رغم كل شيء، أدارت المقبض فانفتح الباب. سألتها دكتور بريتر:

- هل من مشكلة؟

كان يتحدث مع مساعده في الرواق بالخارج في انتظار أن تناديهما،

قالت تيري:

- كلا، آسفة.

وأغلقت الباب.

كان الرداء عاديًا مما يُستخدم في المستشفيات، خفيف وخشن كالورق.

تيري كانت دومًا سليمة الجسد ولم تُحجز في مستشفى من قبل، لكن

والدتها أجرت جراحة استئصال الزائدة الدودية حين كانت تيري في سن

الدراسة الإعدادية، وقد أبقاها أبوها وأختها جوار أمها طيلة اليومين

الذين قضتهما في المستشفى، وكانت السيدة ترفض أن تقوم من الفراش

أثناء تواجد ابنتيهما بسبب الرداء مفتوح الظهر الذي كانت ترتديه.

كانت تقول: لا بُد أن مُصمم هذا الرداء رجل! وهو تعليق جريء،

نادرًا ما كانت تتحدث بمثله.

لم تسأل تيري عن مقصدها من تلك العبارة وقتها. الآن تخلع بنطالها وقميصها وترتدي الرداء الذي أعطوه لها، لكنها ظلت مُرتديةً ملابسها الداخلية.

لم ترَ الرجلين خلال النافذة الصغيرة في الباب، فقررت أن تفحص ما أمكنها فحصه في الحجرة. لم تفهم شيئاً في الآلات الموجودة، أما الأوراق المتروكة على المنضدة فكانت تحوي جداول ستملاً بقياسات وقراراتٍ ما. وكان ثمة صف من الأكواب وزجاجة بلا أي علامات. سارت نحو الباب وفتحته، وأشارت للرجلين أن يعودا. شعرت بالبرد يغزو ساقها وذراعها، وصارت قدماها قابلي ثلج. ما كان عليها خلع حذاءها.

سألها دكتور بريتر:

- أتريدين بعض الماء؟

- أجل.

ملاً كوباً من الأكواب من الزجاجة، إذًا هي زجاجة ماء. ناولها الكوب فرشفت منه رشفة وشكرته. سار دكتور بريتر نحو مقعد وهو يقول:
- كما قلت، لا داعي للقلق. سنكون معاً طيلة الوقت. سنأخذ عينه دم، ونقيس علاماتك الحيوية، ثم سأطلب منك الاسترخاء على الفراش وسأحدثك عن تمرين معين.

كان حديثه مُباشراً بما يكفي، حتى ولو كان غريباً. جلست تيري. سحب المساعد منها أنبوبي دم، وسلط دكتور بريتر كشافاً إلى عينيها فأعماها لحظياً. وضع سماعة طبية باردة على صدرها، كان قلبها يدق بعنف حتى أنها كانت تسمعه دون سماعات.

ثم جلب جهازاً وضغط على بضعة أزرار، وأوصل مِرقاباً بأصبعها، فظهر خط على الشاشة يعلو ويهبط. قلبها يُدق بعنف.

تراجع دكتور بريتر، حاولت تيري أن تتابعه بعينيها، لكن الغرفة حولها كانت ضبابية، كل شيء يختفي ويتموج ويتحرك، أم هي من تتحرك؟

قال المساعد:

- مفعول العقار بدأ.

حاولت تيري أن تفهم ما قال، وعرفت أن ستايسي لم تُبالغ. سألت:

- هل خدرتmani؟

أجاب دكتور بريتر:

- سنكون معك هنا، حقاك بعقار هلوسة قوي، ولدينا دلائل على قدرته على فتح العقل أمام الإحياء. رجاء، حاولي أن تسترخي بينما يعمل العقار.

من السهل عليه أن يطلب الاسترخاء.

ضحكت تيري وهي ترى وجهه يذوب. رافقها الطبيب والمساعد إلى الفراش، لماذا يُضحكها ذوبان وجهه؟ لم تعرف سببًا. تمددت فوق الملاءة البيضاء مُنخرطةً في الضحك، ابتعد عنها الرجلان وراحت تدور بعينيها حتى وجدت المرقاب والخط الأحمر المتواثب على شاشته.

أنا بخير طالما الخط يتحرك..

كفّت عن الضحك، وشعرت بالفراش لينًا وصلبًا، كيف يكون لينًا وصلبًا في آن؟ أرادت النهوض.

قال دكتور بريتر بصوت هادئ:

- كلا يا تيري، استرخي. افتحي عقلك وحرري وعيك.

هزت رأسها. حمل بين أصبعيه شيئًا لامعًا وقال:

- انظري لي يا تيري، أريدك أن تنظري إلى تلك البُورة، ركزي عليها فقط.

ظل يحدق في وجهها وكأنه لن يتوقف عن التحديق حتى تُطيعه. نظرت إلى الخط الأحمر على شاشة المرقاب مجددًا، وقالت لنفسها أنها كي تتبع تعليماته عليها التخلي عن نبض قلبها. أخيرًا نقلت عينيها إلى البُورة الشاحبة بين أصبعيه.

وداعًا يا قلبي..

- الآن، أغلقي عينيك ودعي الحجرة تختفي.

أزهار من كل لون تفتّحت خلف أجفانها، وكأنها تنظر من خلال قطرات ماءٍ في ضوء الشمس الذي يحيل كل قطرةٍ إلى قوس قزح.

همست:

- جميل.

- ممتاز.. هذا أفضل، استرخي.

قال العبارة صوت رجلٍ لم تعد تذكر من يكون. أتعرفه؟ لا تعتقد.

- غوصي أكثر.

أرادت تيري أن تقاوم، لكن المقاومة كانت أصعب عليها من طاعة الغريب. استمرت تيري في الانزلاق قدر ما استطاعت.

لم تكن آليس من قبل في مكان يحوي آلاتٍ بهذه النظافة.

كانت قد عاشت وسط عائلةٍ تعتبر الشحوم تحت الأظفار أسلوب حياة. بالطبع الأمر لم يكن قاسياً على الأولاد والرجال، فيمكنهم ارتداء ما يشاءون من أسمال ليعملوا بها، ولم يكن عليهم فرك أيديهم قبل قُداس الأحد أسبوعياً (وكانت آليس تنظف أظفارها قبل القُداس لأنها تحب أن تُبدي الاحترام اللازم للصلاة). كانت أمها تُعلق كثيراً على عملها لدى عمها، وكيف أن فتاة تعمل عملها لن تظفر بزواجٍ حتى نهاية عمرها مهما كانت جميلة. ثم ينست أمها من الجدل في النهاية. لم يكن خيارها المفضل أن تجعل الآخرين يضطهدونها أو يحاولون تغييرها، لكن لم تكن بيدها حيلة.

- كان عليك أن تجلبِ مفتاحاً أو مفك براغي.

غمغمت بتلك العبارة ثم أدركت أن لسانها صار ثقيلاً، وأنها تَهْرِفُ بمكنونات عقلها. كان اسم الطبيبة هو باركس، وبدت مُتوهجة بلون أبيض حي. استدارت نحو آليس وناولتها شريحة صغيرة من الورق وطلبت منها أن تضعها على لسانها.

كم مضى عليها من الوقت؟ لم تكن آليس تحب أن تفقد شعورها بالزمن، حتى أن أول شيءٍ فككته في حياتها -حين كانت في السادسة من عمرها- كان ساعة ابن عمها القادم من تورنتو كي تعرف كيف أن توقيت كندا يختلف عن توقيت إنديانا.

سألها الطبيبة:

- ماذا ترين؟

كانت تراها آليس شخصين مُضيئين ملائكيين، ولم تعرف إلى أيهما تركّز نظرها. لم يعد العالم مُتسقاً مع بعضه، فأغلقت عينيها، وظهرت خطوط مُتعرّجة أمامها أربكتها أكثر.

فتحت عينها ونظرت إلى الملاك على اليمين وقالت:

- أريد أن ألقى نظرة على ما بداخل هذه الأجهزة.

استوعبت دكتورة باركس ما قالت، وكان لها سمت مُسيطر كجلوريا، لكنها لم تكن في لطفها. قالت آليس لنفسها أن على المرء أن يبدو مثل هذه الطبيبة إن كان سيمارس البحث العلمي أو الطب، بالضبط كما عليها تَحْمُلُ الشحوم تحت أظفارها إن كانت توذُّ إقناع الناس أنها بارعة في تصليح السيارات، رغم أن المظهر لا علاقة له بالمهارة. كانت تفهم كيفية عمل الأجهزة الميكانيكية: المُحركات، نواقل الحركة، شمعات الإشعال، المحاور... إلخ. كانت تحب تصليحها وتبرع فيه. تحتاج مجرد نظرة إلى ما بداخل تلك الأجهزة المُحيطة بها لتستعيد توازنها.

تفاجأت آليس حين طلبت الطبيبة من المُساعد أن يحضر مفكًا. كان عليها أن تكتم فرحتها.

قالت دكتورة باركس للمساعد مُردفةً:

- سيكون هذا شيقًا، وأخبر دكتور بريئر كذلك، ربما يودُّ المجيء في أقرب وقت.

دَسَّت آليس المفك في رأس مسمارٍ نابضٍ مُهتز، وهتفت:

- كُف عن الحركة!

ثم دَبَّت الحياة في كل شيءٍ حول المسمار: الأسلاك، التروس، كل شيء بدأ في النبض كقلب. لم يكن أمامها سوى حل واحد، أن تُفكك هذا الجهاز بالكامل كي تعرف لِمَ يتحرك هكذا. أم أنه لا يتحرك، وكل هذا من تأثير الوريقة التي وضعتها على لسانها؟ غالبًا هذا تأثير الوريقة.

لكن الأمر يبدو حقيقيًا، والدليل حيٌّ أمامها!

فُتِح باب الحجرة، وأمالت آليس رأسها لترى القادم، وكان الدكتور بريئر ذا الشعر المُموَّج والابتسامة التي كأنها تعلمها في مدرسة مَلَكية. سأل:

- ماذا يحدث؟

أشارت دكتورة باركس إلى آليس. أعادت الأخيرة انتباهها إلى الجهاز الذي راح ينبض ويتموج وقالت له كي تستميله:
- حسنًا، لا تدع شيئًا يثير غيرتك!

كان المُساعد اللطيف قد جاءها بصحفة فوقها عدد من الأدوات، فاستبدلت الكماشة بالملفك الذي كان معها، وكانت كَمَاشة كبيرة الحجم مُقارنة بكفيها ولم تُعجبها، لكنها أمسكت بها قلب الجهاز، وأدارتها لتُحرر بعض الأسلاك.

شخص ما جوارها ركع وتساءل:

- ماذا تفعل بجهاز مُخطط كهربية القلب؟

يبدو أن بريتر يوجه سؤاله لها، فقد كانت جواره. أجابته:

- أنا أفككها كي أعرف لمَ هي حيّة.

قال وهو يقوم من ركُوعه:

- أمرٌ مثير. لنُجرب بعض الكهرباء، لدي فضول كي أعرف رد فعلها.

قالت دكتورة باركس مُتشككةً:

- تجارب اليوم يجب أن تكون مبدئية... لست واثقة من...

- أنا واثق.

اقترب من آليس مُردفًا:

- أريدك أن تستلقي لدقائق كي.. كي نجرب شيئًا جديدًا.

- أتريد أن تحولني إلى آلة؟ لكنني بالفعل آلة، كلنا آلات!

أمسك المساعد بذراعها، فأصابتها رعدة، ثم أخذ الكماشة من يدها ووضعها على الطاولة.

قالت آليس:

- لا يُعجبني هذا!

قال دكتور بريتر:

- لن يؤمك.

ولم تجد منه ابتسامة هذه المرة. شغّل جهازًا آخر، وظهر ظلٌ حول

هالة دكتورة باركس المُضيئة. أوصلت أسلاكاً بصدغي آليس فشعرت
بأجسام دائرية باردة تلامس جلدها. عليها أن ترفض ما يفعلونه.
أول صدمةٍ كهربيةٍ حولتها إلى برقيٍّ مُجسد.
الثانية أرسلتها بعيداً إلى داخل نفسها، تُحيطها ومضات الضوء وسط
الظلام المحيط بها. تصدّع حائطٌ أمامها، أبواغٌ كالحشائش المتدحرجة
تطايرت في الهواء، حاولت لمس أحدها، لكنها فشلت، كانت كالوهم.
ما هذا؟

تنفسي يا آليس.. تنفسي..

ما هو إلا تأثير العقار والكهرباء..

اختفت من حولها الأنقاض الجميلة المُظلمة، وظهرت بدلاً منها سماء
مُفعمة بالنجوم المتحركة.

يمكنها أن تظل وقتاً أطول في هذا المكان الهادئ من عقلها، حيث
تذوب الصور في بعضها البعض، ودّت لو اختبأت هنا خلف جدار الواقع
حتى يتركها دكتور بريتر وكهرباؤه لحالها.

ظل قوس قزح مُلازمًا لتيري لفترة، لكنه في النهاية اختفى وساد الظلام.

حفرة.. أو لنقل تجويفٌ داخل سحابة مُظلمة احتوى تيري، وشعرت كأن ما بداخلها صار خارجها. شيء ما كان فيها، حولها.. كان كلُّ شيء بالنسبة لها. أحاطتها نجومٌ نابضة غير مرئية، وكان غريبٌ أن تستطيع تحديد شعور كهذا ووصفه بكلمات.

كل أفكارها صارت غريبة للغاية.

حواسها أصبحت حيّة، عميقة إلى حدٍ غير مسبوق.

هذا تأثير المُخدر، رحلة الهلوسة..

شعرت بيدٍ خفيّة تدفعها للأمام.. لم تكن ثمة رائحة حيث كانت ولا إحساس بالزمن.

كانت خائفة؟ ربما..

بين الوقت والآخر كانت تسمع صوتًا آتيًا من مكانٍ بعيد، جزءًا من محادثة لا تستطيع تحديد من أي اتجاه يصلها.

كل شيءٍ كان أمامها، وكل شيءٍ كان خلفها. صوتٌ ثاقب تحدث إليها:

- تيري، أين أنتِ الآن؟ أسمعيني؟

ردت في تلقائية:

- أنا في مكانٍ أعمق.. أجل.

- أريدك أن تُصغي لعقلك.. الآن، ماذا ترين؟

- لا شيء.

- جيد.. هذا جيد. الآن يا تيري من المهم أن تفعلي كل ما أطلبه

منك، أتفهمين؟

- أفهم.

- أريدك أن تستعيدي ذكرى أسوأ يومٍ مر بحياتك، وأريدك أن تُخبريني

بما حدث فيه. عودي إلى تلك اللحظة مرةٍ أخرى.

سطعت الذكرى أمامها قبل أن توقفها، لكنها دفعتها إلى حيث كانت.

- لا أريد ذلك.

- سأكون معك وسأبقى آمنًا.

كان صوته ثابتًا كقاربٍ في بحيرة هادئة.

- من المهم أن تتذكري. هلا حكيت لي؟

ظهر بياضُ أمامها، كان عليها أن تتخيل أنها مشيت تجاهه قبل أن تعرف ماذا ترى. ثم وضحت وسط البياض أبواب خشبية، مطلية بالأبيض، صلبانٌ مغروسة وسط الساحة. كان المشهد من يوم جنازة والديها التي أقيمت في الكنيسة. كانوا يحضرون القداس فيها مرة كل أسبوعين أو أكثر، خاصة حين يشعر أبوها بالذنب لتقصيره في الحضور.

- أخبريني ماذا ترين؟

وضعت تيري كفها على باب الكنيسة، ودفعته.

- نسيْتُ شيئًا في السيارة وعليَّ أن أعود، بيكي بالداخل.

- بالداخل؟ أين؟

- الكنيسة.

- متى كان هذا؟

- منذ ثلاثة أعوام.

خطت تيري فوق الممشى، وأنَّ الخشب تحت قدميها. مرَّت صفوف المقاعد عن يمينها ويسارها وهي تسير. الضوء يتسلل خلال زجاج النوافذ المزِين بالرسوم، والذي ركبته الكنيسة من أموال التبرعات. يسوع مبسوط الكفين، حَمَل، هالة نور، يسوع مصلوب تنزف كفاه وقدماه..

كانت تريد أن تستدير وتخرج هاربةً، بالضبط كما أرادت أن تستدير وتهرب من تلك التجربة. لكنها ظلت تسير وقد ضاقت حنجرتها، واحمرت عيناها من البكاء.

التفتت بيكي إليها مبتسمة في حزن وقالت:

- يبدو جيدًا، الرجل قد جهَّز أمي بشكل جيد جدًا.

كانوا قد أراحوا المذبح جانبًا، ونظرت تيري إلى النعشيين المتجاورين المفتوحين مكانه. رغم اعتراض بيكي على المال الذي دفعوه في مكتب الجنازات، لكنها صارت راضية حين رأت أباه وأمها كأنهما نائمان في سلام.

قالت تيري لبرينر:

- لكنهما ليسا نائمين، لقد مرا بحادث سيارة مُريع. هرعنا إلى المستشفى لكنهما ماتا قبل وصولنا. لم نكن واثقتين وقتها أننا سنستطيع عرض جثتيهما في تابوتين مفتوحين.
سألها:

- وكان هذا هو أسوأ يوم، لا يوم الحادث؟

خرجت شهقة من صدر تيري وهي تتهاوى فوق نعش أبيها.

- كان يوم الجنازة حقيقياً.. لم أرهما.. لكننا كنا نعرف، ويومها كان عليّ أن أصدق أنهما ماتا، وأنهما لن يعودا إلينا.
- أفهم.

بكت لحظات في صمت، وربتت بيكي على ظهرها. شعرت أنها أنانية لأن بيكي تشعر بذات الشعور وتحتاج إلى دعمٍ هي الأخرى.
قال الطبيب:

- أريدك أن تذكري كل ما شعرتِ به في هذا اليوم، تخرجه من عقلك وتضعيه في صندوق. وحين تخرجين من حالة السبات، ستذكرين خسارتك ولن تذكري ألمك. سيزول الألم.

كان هذا مُستحيلاً. كان ألم فقدهما أقل الآن، لكن في كل يوم ثمة ما يُذكرها به.
- أنا...

- افعلي ما أقول. تخيلي صندوقاً، وضعي فيه شعورك وأغلقيه. سيساعدك هذا.

فعلت تيري مثلما قال، وشعرت بالثقل والخفة في آن واحد..

- حين تستيقظين، ستذكرين فقط ما رأيتِ، لا ما طلبت منك فعله.

- حسناً.

ارتفع ذعرها فجأة فأضافت:

- أين أنا؟

- أنتِ هنا، في المُختبر. تيري آيفز، استيقظي الآن. أنتِ في أمان.

هرعت نحو الوعد في صوته، لا تمس قدمها شيئاً، ارتطمت بالكلمات، ثم شهقت وقامت جالسةً، قابضةً بيديها على الملاءة البيضاء، وكان

جسدها غارقًا في العرق.

كانت حجرة المُختبر مُشوشة، ضبابية، لكنها لم تكن مُظلمة. أغشى الضوء الأبيض النقي عينيها، فانجلى نظرها. لقد كانت في رحلة لا أكثر، أليس كذلك؟ أرسلتها الحكومة في رحلة مُهلوسات.

دارت بعينيها حتى وجدت الخط المُتعرج الأحمر على شاشة المرقاب، ورأت دقات قلبها تعود لانتظامها. جلس دكتور بريتر جوارها واضعًا كَفه على ذراعها وراح يُدلكها في دوائر مُهدئة، بالضبط كما كانت تفعل أمها.

قالت تيري لإقناع نفسها لا أكثر:

- أنا بخير.

أمر الطبيب المساعد قائلًا:

- أحضر لها بعض الماء.

- كلا!

قال دكتور بريتر حين استشعر ذعرها:

- أعدك، لا شيء سوى الماء هذه المرة. اهدأي قليلًا ثم سأسألك بعض الأسئلة.

وكان لدى تيري أسئلة هي الأخرى.

وَدَّ مارتِن بريَنرَ لو يري داخل عقول حالاته، دون الحاجة لمناقشات يستخرج بها ما رأوه. مهما كانت تقنيات التنويم المغناطيسي مؤثرة، فهي شاهدٌ لا يُعتدُّ به على ما رأوه أثناء نومهم.

لكن الحالات لا يكون في وسعها الكذب ما لم يسمح لها.

الحالة الماثلة أمامه -تيريزا آيفز- قد أثارت فضوله، فحالتها نادرة خاصة في فنتها العُمرية هذه الأيام. الطريقة التي استشعرت بها فرصةً وسعت لاقتناصها.. لكن عقلها لن يكون عقلاً سهل الاختراق. التحدي سيجعل ما يجده منها ذا معنى، فهي لم تكن قط خائفةً منه. الجرأة صفة محمودة لديه ما لم تكن في أحد ممن يعملون تحت إمرته.

رشف تيري من الماء، ووضعتَه جانبًا. سألها:

- أتشعرين بتحسُّن؟

أومأت برأسها، وأزاحت شعرها عن وجهها المبتل بالدموع والعرق. واضح أنها حساسة للغاية تجاه العقاقير التي أعطوها لها.

سألها دكتور بريَنر:

- على مقياس من واحدٍ إلى عشر، إلى أي حدٍ ما زلت تشعرين بتأثير

العقار؟

كانت واعية، فأجابته فورًا:

- ثمانية.

سألها بصوتٍ رقيق:

- هل تستطيعين أن تحكي لي ما رأيتِ؟

ترددت لوهلة، ثم قالت:

- جنازة والدي في الكنيسة.

- ممتاز، هل تذكرين شيئًا مميِّزًا آخر؟ كيف تشعرين عاطفيًّا؟

جذبت رداء المستشفى الذي ترتديه ليغطي ساقيها وقالت:

- أشعر.. أخف بشكلٍ ما. ألهذا معنى مُعين؟

أوماً بريتر، فقد أخذ منها أماً نفسياً عظيماً وحبسه عنها. من الطبيعي أن تشعر بالخِفة. كانت هذه هي الخطوة الأولى التي تحت العقل على أن يكون أكثر تأثراً بالتلاعب، وسيكون لديه أداة يستخدمها في المستقبل إن احتاج، المهم ألا تُدرك هي التغيير الآن. سألها:

- وأنتِ لا تعرفين سبب شعورك هذا بالخِفة؟

نظرت إليه في قلق وقالت:

- كلا. هل أستطيع أن أسألك سؤالاً؟

- بالتأكيد.

- ما الغرض من كل هذا؟ أعتقد أن ما فعله هام، فماذا تتوقع مني فعله أو قوله؟

وقبل أن يصوغ إجابة عن أسئلتها الثلاثة، فاجأته بضحكة جافة وهتفت:

- لا عليك. أسئلتني ستخرق قواعد التجربة، كما كان سيخرقها حديثنا في الطريق إلى هنا.

- ماذا تقصدين؟

- لقد طلب منا مساعدك ألا نتحدث عن التجربة.

نظر نحو مُساعده، سائقهم، الذي كان يرمق الأرض. لم تكن هذه قط تعليماته وكان على الرجل تركهم لراحتهم وتسجيل كل ما يقولون في عقله. قال لها دكتور بريتر:

- يمكنكم الحديث عما تشاءون أثناء رحلتكم من وإلى المختبر.

أوماً المُساعد في فهم لكنه لم يرفع عينيه عن الأرض. سألها دكتور بريتر:

- هل شعرت بأي شيء هام أثناء الفترة التي نمت فيها، في حالة السّنة؟

- شعرت ورأيت أموراً جنونية. أنا مُتعبّة. لم أمر بشيء كهذا ولم أتناول أي مخدرات من قبل.

آه، هذا يُفسر استجابتها القوية للمخدر.

- لكن حين ملأت استمارتك كتبت...

وانتظر إجابتها، ظهرت نظرة الذنب على وجهها لأول مرة وقالت:

- كتبتُ أنني تعاطيت المخدرات عدة مرات، ظننت أنها الإجابة التي تريدونها.

كانت تبحثُ بكل وجدانها عن الفرصة والقبول.

في اختبار الحالات الأخرى، استجابت آليس بشكل مثير للصدمة الكهربائية، لكنها لم تقل شيئاً مهماً بعدها. كانت الحالات الأخيرة مُثمرة واعدة، بالطبع، فقد انتقاهم بنفسه.

كانت إراداتهم قوية، لكنها لم تكن أقوى من إرادته.

سألت تيري:

- هل كنت مُحقة؟ أكان هذا ما أردتموني أن أقول؟

- فتاة ذكية.

وكاد ينسى أنها ليست الفتاة المُسماة ثمانية. رفعت تيري رأسها

وابتسمت وقالت في قلق:

- أيمكنني ارتداء ملابسِي الآن؟

كانت تتظاهر بالجسارة، تظاهراً رُبما يقنع من يراها.

- بالطبع يمكنك ذلك، وسنغوص أعمق في الاستجابات المرة القادمة.

كان يريد أن يعرف رد فعلها تجاه وجود تجربةٍ تالية، لكنه لم يحصل

على ما أراد. قالت وهي تنهض راجفةً:

- أشكرك.

فتح مُساعده الباب، وكان تصرفاً يعني أن على دكتور بريتر أن يُنهي

محادثته، فخرج من الحجرة وهو يُقول للمُساعد:

- لا تستعجلني مرة أخرى.

- آسفٌ يا سيدي.

تبع المُساعد بريتر وهو يتوجه لمُعاينة الحالات الأخرى. الجميع قد

اجتاز اختباراتهِ بشكلٍ ممتاز وقُيدت استجاباتهم المبدئية تجاه العقاقير

المُخدرة. العملية البحثية عموماً ستكون أبطأ مما تُمنى، لكنها ستُثمر

أخيراً. الصبر هو فضيلة العِلم العَظمى، لكن من أين له به؟
لم ظنُّ أن زيارة ثمانية سَترِحه؟ لم يعرف لهذا الظن سببًا، لكنه فتح
باب حجرتها ودخل.

انتظر بريزَ واقفًا وسط الحجرة، كان فراشها مُهندمًا فلم يعرف بعد
هل اختارت الفراش العلوي أم السفلي وكأنها تُبقي على خيارها سرًّا.
قرر ألا يسأل التمريض، ولم يهتم بأن يعرف.

الفتاة جالسة إلى منضدة اللِّعب، تُركِّز على رسوماتها المُشوشة الغاضبة.
كانت قد استخدمت قلم التلوين الأسود حتى كاد ينتهي، تحتاج إلى
واحدٍ آخر. يزعم علماء النفس أن الرسم هام للغاية للأطفال المُبدعين.
وكانت ثمانية مُبدعة بالتأكيد.

تجاهلت وجوده، وضايقه هذا. عقد ذراعيه وقال:

- حان وقت عشاءك. هل تريدان أن ترافقيني إلى المطعم؟

كان المطعمُ الذي يأكل فيه هو وأفراد الطاقم في الطابق السفلي. لم
يكن مسموحًا لأحدٍ أن يرى الأطفال، ولم يكن مسموحًا لثمانية كذلك
بأن تقابلهم. كانوا جميعًا عاديين وكان يخشى أن يُعدوها بعاديتهم.
استمرت ثمانية في تجاهله.

تراجع خطوة، ثم أخرى. الانضباط مهم للأطفال. لكن.. باقي زملائه
كانوا يراقبونه، ولم يكن يريد تدخلًا مُستمرًا من الطاقم بهذا الشكل.
قريبًا جدًّا سيثقون به تمامًا.

أوقاتٌ عصيبة..

مد كفه داخل جيب معطفه الأبيض، وأخرج عبوة من الحلوى.

- أحضرتُ لك هدية صغيرة يا كالي، حلوى تويتاتس. أخبروني أنها
المفضلة لدى الفتيات الصغيرات.

قفزت ثمانية من مكانها تاركةً الألوان لتدحرج على المنضدة،
وانطلقت تقبض على الحلوى قبل أن يُبعدها. مزقت الغلاف ودسَّت
قبضة من الحلوى في فمها. عليه أن يجد من يتأكد من أنها ستغسل
أسنانها لاحقًا.

قالت بشفتين مغطاتين بالسُّكر وهي تمسح الدماء النازفة من أنفها:

- لقد وعدتني يا بابا أنك ستجلب لي أصدقاء. أنت وعدتني.

- أعرف. وقلتُ لك أنني أبحث عن أصدقاء مناسبين، وستحصلين على

كل ما تريدين قريبًا، رفيق يشاركك الحجرة كما وضَّحتُ لك.

والتوضيح لطفلة في الخامسة يحتاج إلى وقتٍ وصبر، ولم يكن الصبر

من شيمه.

كانت ثمانية جوهرة تؤكد قدرة الإنسان على تطوير مهاراتٍ استثنائية

عن طريق التحفيز المناسب. التحكم في موهبتها الجامحة كان صعبًا

عليه وعليها بنفس القدر. لكن هذا لا يهم..

هو قادرٌ دومًا على تخطي العقبات..

ظلوا في المختبر لثماني ساعات، وحين عادوا إلى الحافلة، كانوا متعبين. ما زالت تيري تشعر بنشوة غريبة غير مُبررة رغم أن التجربة قادتها إلى أسوأ أيام حياتها. تساءلت تيري إن كان في مقدورهم أن يتحاوروا أثناء رحلة عودتهم، إن كانت آليس ستقدر على أن تظل صامتة. كانت تريد أن تتحدث وتعرف ما مرَّ به رفاقها. انتهى الأمر بآليس غافيةً على كتف كين الذي نظر إلى تيري من فوق رأس الفتاة النائمة هامسًا:

- لم أتوقع هذا!!

حاولت تيري أن تبتسم، لكنها لم تقدر. يبدو أن أحدًا لن يتحدث. ظلت جلوريا مُحدقة في حقل الذرة على جانب الطريق، عاقدةً كفيها فوق جِبرها. تُرى كيف كان يومهم؟ أرادت تيري أن تسأل، لكنها كتمت سؤالها داخلها. هناك دومًا مقابلات أخرى تسمح بالحديث والأسئلة.

الفصل الثالث

رحلات إلى مكانٍ ما

سبتمبر 1969
مُختبر هوكينز القومي
هوكينز، إنديانا.

- ١ -

حين جاء وقت الجلسة التالية، وجدت نفسها في غرفةٍ كبيرة في المُختبر تحوي أجهزة أكبر وعدداً من العاملين الإضافيين. وكان الوضع كذلك أكثر إرعاباً، فقد كان ثمة بذلة غطس لترديها وخزان معدني ضخم ممتلئ بالماء.

أشار أحد التقنيين نحو غرفة تغيير الملابس، كي تذهب إليها تيري. ولم تكن تلك حجرة بالضبط، بل كانت أقرب لخزانة قديمة حشرت تيري نفسها فيها. ومن رائحة الكيماويات التي تفوح منها تأكدت تيري أنها كانت خزانة لحفظ المواد الكيميائية بالفعل.

جذبت تيري البذلة الضيقة على جسدها، ومن عدم ملاءمة المقاس لقياساتها رجّحت أنها بذلة مخصصة للرجال، لكنها على الأقل تسترّها بدلاً من رداء المستشفيات الفاضح الذي ارتدته أول مرة.

فردت كتفيها وتخيلت أنها ترتدي درعاً في حربها ضد توترها، وخرجت من الخزانة.

كان بريّن وفريقه الصغير في انتظارها بالخارج وكانوا يعتزمون غمرها في خزان الماء الرأسي المفتوح من أعلاه. ورأت سُلماً معدنياً مسنوداً إليه. قالت تيري:

- أشعر وكأنني هاري هوديني!¹
 وضع بريترَ أصبعه على صدغه وقال:
 - طريقك الوحيد للهرب هو هذا.
 مالت على الطاولة قائلةً:
 - ينتابني الفضول حول الطريقة التي توصلت بها إلى إجراء هذه التجارب رغم كونك طبيبًا.
 ضحك بريترَ وهو يتحقق من عمل أحد الأجهزة، وقال:
 - الطريقة المعتادة، كُلية الطب، الاهتمام بالخدمة العامة.
 أحكمت تيري غلق شريطٍ في زيها وهي تسأل:
 - من أين أنت؟
 - هل نلعب لعبة الأسئلة؟
 قالها وابتسم وهو يناولها غطاء رأس مُضاد للماء، فدسَّت فيها شعرها
 كييفا اتفق دون مرآة، وغاصت حواف الغطاء المطاطية في جلد رأسها.
 قالت دون مُحاولة للكذب وهي تشير نحو الخزان:
 - أنا مُتوترة.. هذا شيء آخر لم أمارسه من قبل.
 قال دكتور بريترَ:
 - خزانات الحرمان الحسي قد تكون تجربة ممتعة.
 لم تستطع تيري أن تقاوم المزاح فهتفت:
 - حقًا؟ هل جربتها؟
 - كلا، لم أجربها بنفسي، لكنني استخدمتها من قبل في أبحاثي. لا شيء
 يستأهل القلق؛ سنراقب قياساتك الحيوية طيلة الوقت. قلة المؤثرات
 الخارجية تُحفز التركيز.
 - وتريدني أن أركز على...؟
 - تمديد وعيك واستكشافه. سأكون هنا لأرشدك.
 - متى ستخبرني عما تبغونه من وراء هذه الأبحاث؟ ربما تساعدني
 المعرفة على تحسين أدائي.

1- ساحر أمريكي اشتهر بتحديات غمره في الماء وهو مُقيد، وقدرته على الخلاص من قيوده قبل الاحتناق.

- أنا أخبرتك.

- أنت لم تشرح لي! يبدو أنك رجل قليل الكلام.

نظر إليها مُعتذراً وقال:

- طبيعة عملنا سرّية.

ظل العاملون وفريق العلماء من حولهما يتابعون حوارهما في غير

اهتمام. سألهم بريّنر:

- من معه المُركَّب الطبي؟

ثم قال لتيري وهو يضع كفه على كتفها:

- كل منا لديه أسراره يا آنسة آيفز، وعملنا هنا يتمحور حول كشف

تلك الأسرار.

هذه الأبحاث إذًا تُجرى لكشف الأسرار كما يقول، وبدا لها هذا

الهدف هامًا حقًا.

نفس المُساعد الذي حضر جلستها السابقة أحضر لها كوبًا ورقّيًا،

اعتقدت تيري أنه مُفعم بعقار مُهلوس. سخر آندرو منها دون قصدٍ

حين حكّت لها تجربتها مع المُخدّر، فكان قد تناول أضعاف تلك

الكمية أثناء رحلته لوودستوك، وبدا له أن ما تناوله كمية ضعيفة.

جرعت تيري ما في الكوب، وتعجّبت كيف ظنّته المرة السابقة ماءً.

كانت قد أجرت بحثًا سريعًا عن عقاقير الهلوسة، ولم تجد معلوماتٍ

كثيرة؛ ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك، والمعروف باسم «الحمض»

بين الشباب. أول من رُكِّبه عالم سويسري في أواخر الثلاثينيات، وقد نال

شهرةً خلال السنوات الأخيرة. بدأ استخدامه في سان فرانسيسكو وبيركلي

تحت مسمى «عقار الهلوسة». دارت نقاشات حادة حول فوائده

ومخاطره، حتى ليظن المرء أنه إما مُعجزة علويّة وإما بوابة تُفضي إلى

الجنون. ثم أطلق عليه دكتور بريّنر مُصطلح «المُركَّب الطبي». تُرى ما

محتويات هذا المُركَّب الخاص بمُختبر هوكينز؟ غالبًا لن يُخبرها.

سألها بريّنر وهو يقترّب منها وعلى وجهه نظرة مُطمئنة:

- مُستعدة؟

تُبَّتْ أسلاك مرقابٍ تحت شريط تثبيت زي الغطس وأردف:
- تذكري، سأكون جوارك.

صعدت السُّلم المعدني وهي تتذكر رحلتها لحوض السباحة العمومي أثناء طفولتها، وتحدي الأطفال لها أن تغطس رغم أنها لم تكن سباحة ماهرة. وفي الثانية عشرة من عمرها، شجعت نفسها، وغطست إلى الأعماق، وراحت تغوص أكثر وأكثر، وتبين لها مدى مُتعة الأمر، وكان على حارس حوض السباحة أن يُخرجها من الماء وهو يصرخ فيها لائماً، بعد أن أصابها الإجهاد الشديد ومن ثمّ الذعر. كانت بيكي في السادسة عشر وقتها، ونهرت الحارس على منعه أختها من الغوص والصراخ فيها. ظلت تيري تراقبهما وهما يتصايحان، لكنها قفزت مرة أخرى في الحوض، ومُنعت بعدها من السباحة مرةً أخرى طيلة ذاك الصيف. حين وصلت قمة سُلم الخزان، نظرت إلى أسفل، إلى الماء الحالك. حرمانٌ حسي. بالطبع لم تتوقع أن ترى تحت الماء، لكن الصور التي راحت تطفو في أرجاء عقلها كانت مُفزعة: توابيت، غرق، غرق في توابيت.

همست لنفسها:

- لا بأس.

ناولها دكتور بريئر خوذّة شبيهة بخوذّة رواد الفضاء وقال:

- لا يمكن لشيءٍ أن يؤذيكِ هنا، ولديك إمداد كافٍ بالأكسجين من خلال الخوذّة.

اعتمرتها، وتساءلت لم أعطاها غطاء رأسٍ مُضاد للماء من البداية. أدارت رأسها المُثقل نحوه، فنظر إليها مُشجعاً. مدت له ذراعها كي يُسندها وهي تنزل إلى الماء. عزلتها بذلة الغوص عن برودته. تركت نفسها لتُغمر، وشعرت بوزن الماء يتزايد من فوقها. كان بريئر مُحققاً، التجربة لا تخلو من مُتعة. أبعد يده عنها، وراح الضوء يخفّت تدريجياً حتى اختفى، وسمعت صوت غطاء الخزان يُغلق.

لكنها لم تكُن هوديني..

- مرحبًا! هل ثمة أحد؟

قالتها مزاحة من داخل خودتها. سمعت صوت بريتر الهادئ:

- أنتِ فقط.

الخوذة توصل صوت دكتور بريتر إذًا. تزايدت الظلمة، حاولت الاسترخاء أكثر وفشلت. تسارع تنفسها وبدأت بُقع في الظهور حول حواف مجال رؤيتها. حاولت أن تتحرك، لكن الحركة كانت صعبة للغاية في الماء.

سمعت صوت بريتر يقول لها:

- ضربات قلبك تتسارع، تنفسي بعمق.. استرخي.. أغلقي عينيك..
دعي العقار يبدأ مفعوله.. غوصي في عقلك.

كانت تعليماته سهلة، لكن تنفيذها كان أصعب بكثير داخل نعشٍ من الماء. حاولت تنظيم تنفسها.. هل في وسعها أن تغوص في عقلها مرة أخرى؟ هل ما تمر به تنويمٌ مغناطيسي؟ هل ينخر الحمض عقلها الآن؟ ساعدتها التساؤلات على تهدئة نفسها واستعادة انتظام نبضها. بدأ العرق في التجمع على بشرتها، وأدركت أنها لن تستطيع مسحه، وعليها ألا تُركز على هذا الأمر كي لا تفقد السيطرة على نفسها.

لذا، أغلقت عينها..

ثم فتحتها، وكان الوضع، سيّان، ظلامًا..

تغوص أعمق.

سمعت صوت بريتر في أذنيها، بداخل عقلها:

- الآن يا تيري، ركزي على ما بداخلك، أريدك أن تفتحي ذكرياتك وتَصفي ما تمرين به. لا أريدك أن تبحثي عن الألم هذه المرة، ابحثي عن الراحة.

انفتحت ذاكرتها فور أن أمرها بذلك، ربما لأنها لا تملك سوى صوته وسط هذا العدم، ربما لأن تأثير العقار بدأ، وربما للسببين. راح عقلها يبحث عن مكان يُرسلها إليه بدلاً عن هذا الخزان، وبدأت تشعر بشعورٍ يفوق اليقظة، يفوق الحياة..

- أين أنتِ؟

تخيلت أن أصابع قدميها تغوص في نسيج بساط حجرة المعيشة في بيتها. هي وبيكي تجلسان جنبًا إلى جنب فوق البساط وهما تشاهدان جوني كارسون مع والديهما. أمهما في المطبخ تهز قدر الفيشار، فتتصاعد رائحته. تتسابق الفتاتان على العدو إلى المطبخ لمشاهدة حبات الفيشار تدفع غطاء القدر إلى أعلى.

- أنا الآن أشاهد التلفاز مع أبي وأختي، وكان مسموح لنا بالملكوث بعد موعد النوم في هذه الحالة فقط. تصنع أمي الفيشار.. نحن جميعًا معًا.

عادة ما تجلب ذكرى تجمع العائلة السعيد شعورًا بالحزن، لكن تلك الذكرى كانت بمثابة حُضنٍ دافئ.

- استمري.. هل من مكانٍ آخر مريح بالنسبة لك؟

حجرة نوم أندرو. لم تكن بالنسبة لها مكانًا، بل زمانًا؛ الليلة الأولى التي تبيت فيها معه. شمعة موقدة على الكومود، وعود بخورٍ يحترق. هذا هو معنى أن يكون الشخص بالغًا.. رائحة خشب الصندل الكثيفة، والشعور بملاءة شخص آخر من تحتك، ملاءة فراش رجل.

لم تسمع ما كانا يقولان يومها، لكنها سمعت ضحكاتهما. شعور بالأمان ذاب في روحها، أو ذابت هي فيه. رأت هالاتٍ من ألوان الطيف تُحيط بآندرو، وتمنت لو أنها معه، أو هو معها.

- تيري، أين أنتِ؟ أنتِ تضحكين!

- مع آندرو.

- آندرو؟

- حبيبي.

- ماذا تفعلين؟

لم تستطع وصف هذا..

- نحن معًا.

- وهذا يُشعرك بالراحة؟

- أجل.

ظل عقلها يجوب ذكرياتها، وظلت تجيب عن الأسئلة بدقة حتى سمعت صوت دكتور بريتر يقول:

- سنُخرجك من هنا قريبًا، لكن حاولي أن تغوصي الآن أكثر.

كان ثمة مكان تود الذهاب إليه، لكن حواسها كانت زلقة. كلما تذكرت التفاصيل، غمرتها المياه. ظلت تُردد لنفسها:

- أعمق.. أعمق..

رأت أبواب الكنيسة البيضاء إياها، كانت تريد العودة إلى هذه الذكرى، ولسبب لم تعرفه، لم تكن تؤلمها العودة.

قال دكتور بريتر:

- سنفتح غطاء الخزان تدريجيًا.

أرادت أن تحتج على إنهاءهم التجربة، فهي تحتاج المزيد من الوقت. ثم فجأة أعمتها الإضاءة القادمة من أعلاها. قال لها بريتر:

- من الأفضل أن تُغلقي عينيك.

أغلقتهما، ثم فتحتهما وراحت تتحرك ببطء، وكأنها غريبة عن عالم الضوء والحركة هذا.

أمسك أندرو بيد تيري وهما يسيران عبر طرقات الحرم الجامعي،
وسألها:

- ألسيتِ خائفةً؟

- ليس بالضبط، ربما أكون خائفةً إلى حدٍ ما، لذا أريدك أن تأتي معي
دومًا.

كانت بيكي قد اتصلت بتيري لتخبرها أن خطابًا قد وصلها من مكتب
إدارة الكلية التي تدرس فيها، يطالبها بالمرور عليهم. بدت بيكي قلقلة
بشأن الخطاب، وسألت تيري إن كانت قد أوقعت نفسها في مشكلة ما.
رجّحت تيري أن استدعاءهم بسبب أوراق التحاق ناقصة أو مفقودة،
فالدراسة قد بدأت لتوها. هذه أمور تحدث أحيانًا، أليس كذلك؟
بالطبع لم يحدث لها هذا من قبل، لكنه وارد الحدوث.

قال لتيري:

- لم يكن الأمرُ سارًا، كذلك استدعوني.

اعتصرت تيري كفه بكفها لتواسيه، فقد أوقعه تأخره عن الدراسة
للسفر إلى وودستوك في مشاكل، وهو الآن تحت الاختبار الأكاديمي للتقييم
السلوكي وهو أمرٌ سيء. فالطرد من الدراسة يعني إنهاء تأجيل التجنيد،
ولا أحد من الشباب يريد أن يُنهي دراسته في ظل الحرب الجارية.
- عليك فقط أن تكون أكثر حذرًا، فالأمر يستأهل.

هزَّ رأسه، ثم سألها:

- هل قرأتِ الكتابَ بعد؟

تأوّهت تيري، فقد وقع أندرو في حب رواية «سيد الخواتم» أثناء
رحلته إلى نيويورك. وعندما عاد، أهداها نسخته المُهترئة من الكتاب
الأول من الثلاثية وأقسم أنها ستحبها كذلك. على الغلاف كان ثمة ساحر
ذو لحية بيضاء طويلة، يرتدي رداءً أصفر اللون ويقف عند قمة جبل.

قالت له:

- الرواية ثلاثة كتب!

- لكنها عظيمة!

- سأقرأها، أعدك.

- ممتاز، وسأعتبر قراءتك لها هدية عيد مولدي الأسبوع القادم.

- عُلِّمَ وَيُنْفَذ!

وصلا مبنى إدارة الجامعة، وكان مؤلفاً من ثلاثة طوابق. فتح لها أندرو الباب لتدخل، وسارا حتى مكتب التسجيل؛ الحجرة رقم 151 كما ذكر الخطاب، وكانت تيري قد جاءت هذا المكان من قبل. جلس أندرو على مقعد بلاستيكي في صالة الانتظار، بينما توجهت هي إلى المكتب.

- مرحباً. أنا تيري آيفز، تلقت أختي خطاباً منكم يطالبني بالحضور.

نظرت لها الموظفة من خلف إطار نظارتها على شكل عيني القط، وتساءلت في حيرة:

- أي نوع من الخطابات كان؟

- لا أعرف، فلسنا واثقتين لأي غرض أرسل.

- قلت أنك تيري آيفز؟

- أومات تيري وقالت:

- تيريزا.

- يبدو مألوفاً، انتظري هنا.

استدارت المرأة في مقعدها، وراحت تبحث في أدراج خلفها ملأى بالملفات. صنعت تيري تعبيراً مضحكاً بوجهها تجاه أندرو، فضحك، ثم أشار خلفها. كانت المرأة قد عادت وقالت لتيري:

- كنا نريد أن نبلغك بأنك مُعفاة من حضور محاضرات أيام الخميس.

- ماذا؟ لأي سبب؟

تيري كانت تعرف نظام الدراسة، ومطلوباً من الدارسين حضور كل المحاضرات. استدارت نحو أندرو، فنظر لها في حيرة مثل حيرتها.

- سَتُعْفِينِ مِنَ الْحُضُورِ لِأَجْلِ بَحْثِ عِلْمِ النَّفْسِ الَّذِي تَشَارِكِينَ فِيهِ، وَلَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ تَسْلِيمُ أبحاثِكَ، وَسَنَبْلُغُ أَسَاتذَتِكَ. عَلَيْكَ فَقَطِ الْحُضُورُ إِلَى مَبْنَى عِلْمِ النَّفْسِ فِي التَّاسِعَةِ صَبَاحًا مَا لَمْ يَخْبُرُوكِ بِتَعْلِيمَاتٍ أُخْرَى.
- هَزَتْ تِيرِي رَأْسَهَا وَسَأَلَتْ:
- حَسَنًا، لَكِنْ مَا السَّبَبُ؟
- تَقْيِيمُكَ الْأكَادِيمِي سَيَكُونُ مُتَّصِلًا بِمِشَارَكَتِكَ فِي التَّجَارِبِ، وَإِلَّا...
- وَضَحِكْتَ الْمَرْأَةُ، هَمَّهْمْتَ تِيرِي مَتَسَائِلَةً، فَأَرْدَفْتَ:
- هَذَا غَيْرُ مُعْتَادٍ، لَكِنْ تِلْكَ هِيَ الْأَوَامِرُ.
- وَأَخْفَضْتَ الْمُوظَفَةَ صَوْتَهَا وَسَأَلْتَ:
- مَا نَوْعِيَّةُ هَذِهِ التَّجَارِبِ؟
- لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِ تِيرِي الْإِجَابَةَ وَإِنْ أَرَادَتْ، فَقَالَتْ:
- الْأَمْرُ سَرِي. هَلْ مَطْلُوبُ مَنِي شَيْءٍ آخَرَ؟
- رَفَعْتَ الْمُوظَفَةَ أَنْفَهَا عَالِيًا فِي ضَيْقٍ مِنْ رَفْضِ تِيرِي الْإِجَابَةَ وَقَالَتْ:
- لَا شَيْءَ الْآنَ.
- قَامَ آندَرُو وَاقْفًا، وَصَحَبَ تِيرِي إِلَى الْبَوَابَةِ الرَّئِيسِيَّةِ. سَأَلَهَا:
- مَا هَذَا بِحَقِّ الْجَحِيمِ؟
- هَذَا هُوَ مَا كُنْتُ أَفْكَرُ فِيهِ.
- مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ يَا تِيرِي؟
- عَقَدَ آندَرُو حَاجِبِيَّةً وَعَبَسَ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَحْدُثُ إِلَّا عِنْدَمَا يَسْتَمَعُ إِلَى الْأَخْبَارِ. كَانَ قَلْقًا عَلَيْهَا.
- قَلْتُ لَكَ أَنَّ تِلْكَ الْأَبْحَاثَ هَامَةٌ، وَلِهَذَا أَشَارَكَ فِيهَا.
- أَعَادَ نَظْرَهُ إِلَى الْحِجْرَةِ الَّتِي غَادَرُوهَا وَهُوَ يَقُولُ:
- لَا يَعْجِبُنِي مَا يَجْرِي.
- مَالَتْ عَلَيْهِ تِيرِي وَقَالَتْ:
- لَكِنْ أَلَا تَرَى أَنَّهَا أَبْحَاثٌ هَامَةٌ؟
- أَبْقِيَا صَوْتِيهَا خَفِيضًا كِي لَا يَسْمَعُهُمَا أَحَدُ الطَّلَبَةِ الْمَارِينِ مِنْ حَوْلَهُمَا.
- أَرْدَفَتْ تِيرِي:

- لقد تواصلوا مع الجامعة وأعفوني من محاضرات الخميس وأبحاثها، وربطوا بين درجاتي وبين أبحاثي معهم، ولم يسألهم أحد من الإدارة عن الأسباب ووافقوا فحسب! عليّ أن أستمر في التجارب.

أراح أندرو جبهته على جبهتها وقال:

- أتمنى أن تكوني واعية لما تفعلينه يا صغيرتي.

قبّلته قبلةً سريعةً وقالت:

- أنا واعية وجاهلة في نفس الوقت.

تنحّح أحد العاملين في الإدارة وهو يمر بجوارهما، فتباعدة، لكنها مدت يدها فشبك أندرو أصابعه بأصابعها. كان قلقاً عليها بالفعل، وكانت تيري تنسى قلقها حين ترى عينيه البنيتين وابتسامته العذبة.

أغلب أيام العمل بالمطعم صاحبة، أما الأيام الأقل صخبًا فكانت بمثابة الجنة الموعودة، حيث ترتاح قليلاً بينما يسري راتبك دون نقصان. خلع واحد من النوادل مئزره، وأخبر تيري أنه سيأخذ استراحة للتدخين. قالت له:

- دخن سيجارة إضافية نيابةً عني.

لم يُعلق على كون تيري غير مُدخنة أصلاً. بدأت تيري في رص أدوات المائدة في خزائنها كي تشغل نفسها، ولكي لا تضطر لإنجاز هذا العمل عند نهاية ورديتها. كان اليوم هو الثلاثاء وزيارتها التالية للمُختبر ستكون بعد يومين. في البداية كانت الزيارات كل أسبوعين أو ثلاثة، وقد تغير الجدول وتقاربت الزيارات كما عرفت من مكتب الإدارة بالجامعة. هذا يعني شيئًا، لكن ماذا يعني بالضبط؟

كانت بيكي لتتساءل عن موضوع الإعفاء من حضور المحاضرات هذا، لكن تيري كانت تخطط لإخبارها أن الاستدعاء كان بشأن استبيان عن رضاها عن مستوى الدراسة.

ظل العمل هادئًا بعد أن انتهت من أمر أدوات المائدة، فأخرجت الجزء الأول من الثلاثية؛ «رفقة الخاتم» من حقيبتها، وبدأت في استكمال الفصل الثاني.

سمعت الجرس المُعلق فوق الباب يرن، فرفعت رأسها لتجد كين. رَحَّبَت به، فوقف قبالتها على الجهة المقابلة من الكاونتر. جذبت قائمة الطعام وطاقمًا من أدوات المائدة قائلة:

- جميلٌ أن نراك هنا. اجلس حيثما تشاء.

توقَّف كين مُفكرًا قبل أن يقرر التوجه يمينًا، والجلوس في الكابينة الثانية. قال لها:

- سأجلس هنا.

هزت تيري رأسها، ووضعت أمامه أدوات المائدة والقائمة وسألته:

- كما تشاء. ماذا أحضر لك؟

- لا شيء.

- لا شيء؟

لم تفهم تيري ما يعني، فأردفت مُتسائلة:

- لمَ جئت إلى مطعمٍ إذًا؟

تحرك الجرس فوق الباب مرةً أخرى، فالتفتت لترى آليس تدس رأسها خلال الفرجة. قالت لكين:

- هذه آليس!

رأتهما آليس فسارت نحو الطاولة، وسألت تيري كين:

- هل أنت هنا لمُقابلة آليس؟ هل ثمة ما تخبراني به؟

وقفت آليس جوار تيري، ودست كفيها في جيبي رداء عملها المُشحم وسألت صديقتها:

- ماذا يفعل هنا؟

ثم نظرت نحوه وسألته مشيرة للمقعد أمامه:

- هذا المقعد غير محجوز؟

رفع كين حاجبيه وهو ينظر لتيري وقال:

- كلا، تفضلي.

جلست، وصمتت هنيهة حتى استجمعت أفكارها وقالت:

- حسناً...

أرادت تيري أن تعرف ماذا يفعل كل منهما هنا إن كانت مقابلتهم مصادفة. هذه صُدفة لا تُبتلع. لكن حين رفعت عينيها إلى النافذة، لمحت جلوريا تسير على الرصيف ترتدي تنورة خضراء وبلوزة منقوشة بالأزهار. سرعان ما تحرك الجرس فوق الباب مُجددًا ودخلت. هتفت تيري:

- العصابة كلها هنا! هل خطبتِ أنت وآليس للمقابلة؟

ترددت جلوريا، فتساءلت تيري:

- ماذا يجري؟

أجابت جلوريا:

- أنا في العادة لا أذهب إلى هذه الناحية من البلدة. لم أفكر قبل أن أجد نفسي متوجهة إلى هنا.

قالت تيري مُتفهمة:

- لن يضايقك أحد، لا تقلقي.

لم تكن بلومينجتون معزولة عرقيًا في تلك الأيام، إلا في بعض الأماكن مثل النوادي وملاعب الجولف. بشكل عام كانت كل مجموعة عرقية تلتزم بحدود منطقتها، وكان الحرم الجامعي هو مركز تظاهرات الطلبة السود المُطالبين بالمساواة في التعامل.

أومأت جلوريا للجالسين -آليس وكين- وتوجهت عبر القاعة إلى الكاونتر خلف تيري وقالت لها:

- ظننتك تمزحين بشأن وجودهما هنا أيضًا.

- هما لم يُخططا للقاء، أو كما أظن.

ثم سألتها آليس:

- وأنتِ يا جلوريا؟ ماذا تفعلون جميعًا هنا؟

قالت تيري:

- أعتقد أن السؤال سؤالي، بما أنني الوحيدة التي لديها سبب مُقنع

للتواجد هنا.

انضمت جلوريا إلى كين وآليس حول الطاولة. نظرت تيري حولها

للتأكد من أن مديرها غير موجود، ثم جلست معهم وقالت:

- سأحضر لكم طلباتكم فورًا، لكن ماذا يحدث؟

قالت جلوريا وهي لا تزال عابسةً:

- هل وصلتك رسالة من الكلية؟

- أجل.

ولم تعرف سر اهتمام جلوريا بالأمر. سألتها آليس:

- أي رسالة؟ هل يمكن أن تُحضري لنا بعض البطاطس المقلية؟

ظلت تفرك كفيها ببعضهما في عصبية غريبة عليها ثم أردفت:

- هل البطاطس جيدة هنا؟

- ممتازة!

قالتها تيري وقامت. كتبت الطلب وأرسلته للمطبخ، وخلال ثوانٍ تصاعدت رائحة القلي الشهية. عادت تيري إلى الطاولة لكنها لم تجلس،

فالمطبخ هنا سريع وقالت:

- يبدو أنني وجلوريا قد أعفينا من محاضرات الخميس.

قال كين:

- وأنا كذلك.

سألت جلوريا في دهشة:

- لم أكن أعرف أنك تدرس.

ضم كين كفيه أمامه على سطح الطاولة وقال:

- أنتم لم تسألوني عن نفسي قَط.

قلبت أليس عينيها وقالت مازحة:

- كنا نخاف مما ستقول.

كُوِّر كين أنفه مُداعبًا، فضحكت أليس. وضعت جلوريا كفيها على

الطاولة هي الأخرى وقالت:

- لم أعف فقط من محاضرات الخميس، بل قيل لي أن مُستقبلي

الأكاديمي مرتبط بتلك التجارب.

قالت تيري:

- لم يقولوا لي هذا بشكلٍ مُباشر حين سألت، قالوا أن علينا الاستمرار

في التجارب كي نحصل على شهادة إتمام الدراسة.

هزت جلوريا رأسها وقالت:

- أجل، هذه الصلة بالمستقبل الأكاديمي.. لم تُريحني.

- لكنني أعتقد أن كل شيء سيكون على ما يرام. نحن ننتوي استكمال

التجارب، وأنت بنفسك اشتركتِ فيها لأجل شهادتك.

- ثمة تساؤلات كثيرة مُقلقة حول الأمر.

قالت تيري مُتفهمة:

- وذلك لأن الأبحاث هامة، وما نفعه هام.

حدقت جلوريا في أظفارها وقالت:

- ربما.

سألت تيري آليس:

- لم جئتِ إلى هنا؟

- قلتِ أنكِ تعملين في مطعم الجامعة، وظننت أنكِ تعملين اليوم بما أنكِ كنتِ تعملين في نفس اليوم الأسبوع الماضي.

قالت جلوريا وهي تزُم شفيتها:

- لهذا السبب جئت أيضاً. لكن أعتقد أن تيري تريد معرفة السبب وراء مجيئنا لرؤيتها، والمصادفة الغريبة وراء تجمعنا هنا في نفس التوقيت.

قال كين:

- ليست مصادفة بالنسبة لي.

صاح الطاهي:

- الطلب جاهز!

انطلقت تيري لتجلب الطعام، وعادت سريعاً، ثم جلبت ثلاث زجاجات من الماء، وجلست. تناولت آليس أصبغاً من البطاطس ونفخت فيه كي يبرد ثم أكلته.

ابتلعت آليس ما في فمها وقالت:

- إذاً فقد اتصلوا بكلياتكم، واتصلوا بعمي الذي أعمل لديه وعرضوا عليه تعويضاً مقابل الأيام التي سأذهب فيها للمُختبر. وافق، لكنه لا يزال مُرتاباً، فهو لا يحب الحكومة وما يتعلق بها.

التهمت المزيد من البطاطس وأردفت:

- هل تظنون الأمر غريباً بالفعل يا رفاق؟ ماذا نفعل بالضبط في المُختبر؟ سألني عمي فقلت له أنها أبحاث خاصة بالفتيات كي يكف عن الأسئلة. لا يمكن أن نحكي لأحد فقد يظنون أنهم فكّوا صواميل عقولنا! بالإضافة إلى إمضائنا على تعهد السرية هذا.

قالت جلوريا:

- لا يُعجبني تجوالهم في عقولنا على هذا النحو. من المفترض أن يسألونا قبل أن يتواصلوا مع كلياتنا وأهلنا!

تساءلت تيري في نفسها إن كان الآخرون قد مروا بنفس تجارب رحلاتها العقلية، وقبل أن تسأل صدح صوت الجرس، وكان الداخل أندرو. هتفت ضاحكة:

- الجميع يسعى لمقابلتي اليوم! هذا حبيبي، أندرو.

وقف عند طرف الطاولة غير واثقٍ من الخطوة التالية، أردفت تيري:

- أندرو، هؤلاء هم أصدقائي، زملاء التجارب: كين، جلوريا، آليس.

قالت آليس:

- تدور مُحادثة خاصة هنا.

ضحكت تيري وقالت:

- لا تقلقوا، يمكنكم الوثوق به. هو يعرف كل شيء.

رفعت آليس حاجبها وهي تسأل مُستنكرة:

- وتعهدات السرية التي وقعتها؟

سأل أندرو مُشيرًا للبطاطس أمامهم:

- هل تمنعون لو أخذت واحدة؟

انتظر حتى أومات آليس مُوافقة ومد يده إلى طبق البطاطس وهو

يقول:

- عمّ تتحدثون؟

أجابت تيري:

- سؤال جيد، عمّ نتحدث؟

قالت جلوريا:

- نتحدث عن السبب الذي دفع المُختبر لإرغامنا على الاستمرار في

التجارب.

جذب أندرو كرسياً وجلس وهو يقول:

- كنتُ أفكر في نفس الموضوع. هل عرفتم من يدير تلك التجارب

بعد؟

اتجهت عينا جلوريا إلى وجه تيري، ولم تكن الأخيرة قد أخبرت أندرو عما عرفته.

- أحد أذرع الأجهزة الفيدرالية.

أمال أندرو رأسه وهو يسأل:

- لم تخبريني بهذا من قبل.

- لأنني أعرف ماذا سيكون رد فعلك.

لم تكن تيري تود أن يتشاجرا أمام أصدقائها الجدد، ولم يرغب أندرو في ذلك أيضًا، فسأل:

- هل تظنون إذًا أنه من المنطقي أن تبذل الأجهزة الفيدرالية جهدًا

في أبحاث كهذه مع الحرب الدائرة؟ أليس من المفروض أن يعملوا على تطوير أسلحة أو ما شابه؟

أخفض كين صوته رغم أن أحدًا لم يكن في الجوار، وهمس:

- ربما هم بالفعل يعملون على تطوير أسلحة.

سألت تيري ساخرة:

- ومن منا قد يكون سلاحًا؟ أنا أم أليس أم جلوريا؟

قال كين:

- لا تستثني.

جال أندرو بنظره في وجوههم وقال:

- ربما أنت مُحق، وربما لا.

لم تقل جلوريا شيئًا، ولم يتشجع الباقون على الحديث أكثر في وجود

أندرو. دفعت تيري ثمن البطاطس وقررت أن تسأل بريتر ما خطر بالهم من أسئلة يوم الخميس.

سال العرق من خلف رُكبتي آليس وهم يسرون في أروقة المُختبر متجهين إلى المصاعد اللامعة التي كرهت الآن مجرد مرآها. منذ أن بدأوا في صعقها بالكهرباء، ويخيل إليها أن أضواء المُختبر تسخر منها وتضحك وتتحدث عنها وعن كونها واحدةً من المصابيح، سجينَة السقف إلى الأبد، تُضيء الظلام مُجبرَةً.

«تُضيء» كانت كلمة موحية بالنسبة لها. تذكرت القس في الكنيسة وهو يتحدث في مرة عن المخطوطات المُضيئة التي رآها في رحلة تبشيرية، وصاحبت ذكراها صورٌ لما تعنيها الكلمة لها، وكانت تلك المعاني أفضل بكثير من الواقع.

أفكار كهذه هي ما دفعتها للذهاب إلى تيري في المطعم، لكنها صارت قلقة أكثر بشأن أمورٍ أخرى بعد ما قالته جلوريا عن سبب تواصلهم مع جامعاتهم وذويهم دون إذنهم.

سألته تيري وهي تسير جوارها:

- هل أنتِ بخير؟ أنتِ هادئة بشكل غريب اليوم، كان عليّ في الأيام السابقة أن أمنعك من العبث بالأجهزة طيلة الوقت.

لَفَّ دكتور بريتر رأسه إلى الخلف، فقالت لتيري:

- أنا بخير.

وأومات نحو تيري ثم جلوريا ثم كين. سألتها تيري مرة أخرى وهي تضع كفها على جبينها:

- أواثقة أنك بخير؟

أجفلت آليس، ثم ندمت على ذلك.

- أنا بخير.

قاطعهما دكتور بريتر:

- سأطلب من دكتورة باركس أن تقيس درجة حرارتك وتؤكد لي أنك

في حالة تسمح بالمشاركة اليوم.

سألته تيري:

- هل ستعفونها من التجارب اليوم لو كانت مريضة؟

أجاب دكتور بريتر بلطف:

- بالتأكيد.

صدّفته أليس تقريبًا. هل يختلف أثر تجارب تيري عليها عما تشعر

به أليس؟ لا بد أن أثرها يختلف كما هو واضح.

أدخل دكتور بريتر الرمز السري على لوحة مفاتيح المصعد، ورأت

أليس حركة أصابعه كأنها بالتصوير البطيء. انفتح باب المصعد وتمنت

لو مزقت الكابلات التي تحمله فلا يتحرك أبدًا.

قريبًا سوف تعود للتفوق داخل ذاتها، تبحث عن مكانها الآمن

تحت الحوائط والأبواب والحطام. المشكلة أن المكان الآمن لم يكن

موجودًا حيث يجبرونها على الذهاب.

أردية المستشفيات التي كانوا يجبرونهم على ارتدائها بمثابة إهانة للكرامة. لم يكن هذا رأي جلوريا وحدها، بل كانت الحقيقة التي تستطيع أن تؤكد لها عن طريق تجربة مزدوجة التعمية.

لم تكن تلك المرة الأولى التي تتساءل فيها عن النظام الذي يعمل المُختبر على أساسه. هل يمر أربعتهم بذات التجارب؟ لا شيء في هذا المكان يشبه ما قرأته في الكتب عن الدراسات العلمية، لذا ظلت مُرتابة.

لم يُعد في مقدورها التراجع حتى، فقط ربطوا مصير دراستها بالتجارب. عمومًا عليها أن تكمل ما بدأت مهما كانت التكلفة أو العواقب.

وضعت كفيها على حجرها في انتظار وصول الطبيب الشاب. كان اسمه: جرين، وكان معها بصفة مؤقتة. حمدت الله أنها لم تتورط في التجارب مع بريتر، فكان جرين يجيبها إن سألت على الأقل.

دخل حاملاً في يد لوحًا للكتابة، وفي الأخرى كوبًا ورقياً يحوي حتمًا عقار الهلوسة. قال لها وكأنه بصدد تناول الشاي معها.

- مرحبًا جلوريا.

أبقت كفيها على حجرها وقالت:

- دكتور جرين، قلت أنك درست في ستانفورد، صحيح؟ ماذا عن

دكتور بريتر؟

وضع اللوح جانبًا، وتحاشى النظر إلى عينيها. طوى كُمي قميصه كاشفًا عن اختلاف درجة لون جسده المُغطى بالكُم بسبب احتجابه عن الشمس.

- لستُ مُتأكدًا.

أخذ ورقة من الأوراق المُثبتة إلى اللوح وأعطاهها لها:

- أريدك أن تبذلي قصارى جهدك لحفظ المعلومات المكتوبة هنا في ذهنك. ثم بعد ما يبدأ تأثير العقار، سأسألك عنها. هدفك هو عدم

كشفت أي من تلك المعلومات لي. مفهوم؟
أخذت جلوريا الورقة، ذكرتها بورقة أسئلة امتحانات المدرسة. كان
محتواها إما معلومات عسكرية حقيقية وإما مُزيفة عن تحركات
جيوش العدو.

عندما انتهت مما طلبه، استبدل وريقةً معه بالورقة التي كانت
معها. وضعت الوريقة على لسانها. تركها وحدها قليلاً كي «تأمل».
ظلت جلوريا تكرر فحوى المعلومات التي قرأتها في عقلها مراراً كي
تتذكرها.

ما أن بدأ العقارب في العمل، حتى رأت المنظر المعتاد؛ عقارب الساعة
تنزف. اكتشفت جلوريا أنها إن أغلقت عيناً واحدة وانتظرت خمس
ثوانٍ، يعود مظهر الساعة طبيعياً.

عندما عاد دكتور جرين، عرفت أنه قد مر ثلاث ساعات تقريباً منذ
تناولت العقارب. المفترض أن تكون في ذروة رحلتها مما يفسر ومضات
الألوان التي تُحيط بالطبيب.

لم تكن الهلوسة محبة لديها رغم أن الكثيرين يسعون إليها. ربما لو
ظهرت تطبيقات مفيدة لذلك العقارب أثناء التجارب لقبلته، لكنها تشك
أن شيئاً كهذا سيحدث.

أخذ الطبيب لوحه وحياتها بإيماءة من رأسه. كانت تراه ثلاثة لا
واحدًا.

- آنسة جلوريا أزهار؟

كان يناديها جلوريا دون ألقاب من قبل، كانت مُتأكدة من أنه فعل
ذلك. دخل مساعد طويل الحجره ووقف في الركن. أجابت:

- أجل.

- هلا أخبرتنا عن مكان القوات في القطاع التاسع عشر؟

عبوسه جعله يبدو أكبر سنًا. طلب منها من قبل أن تُقاوم إعطاءه
الإجابات الصحيحة، وقد حاولت دس ذلك في ثنايا ذاكرتها. يبدو أنهم
يريدون تجربة عملية الحصول على معلومات تحت تأثير المُخدرات،

أليس كذلك؟

أجابته:

- لا أظنني أعرف عمّ تتحدث.

أو هذا ما ظننت جلوريا أنها قالته. اليقين يصير شبه مُستحيل بعد بدء تأثير العقار.

جذب كرسيًا وجلس أمامها حيث تجلس على طرف الفراش. مدت يدها تُعدل من هندامها، لكنها تذكرت أنها ترتدي رداء المستشفى، وخطر ببالها فجأة كم هو شفاف.

ركزي!

- هل أنتِ مُتأكدة؟

- مُتأكدة؟

- من أنك لا تعرفين ما هو القطاع التاسع عشر، أو ما هو اتجاه القوات؟

ابتسمت كونها تُدير الأمور ببراعة وقالت:

- مُتأكدة.

نظر جرين نحو المساعد العملاق، فخطأ أمامًا. بدا لجلوريا أنه أكبر من أن تَسعه الغرفة. اقترب منها كشبحٍ مُهدّد.

- مُتأكدة من كونك مُتأكدة؟

كانت تُريد أن تخبره عبر هالات الضوء التي تحيطه أن ما يفعله لا علاقة له بأسس إجراء التجارب؛ فصياغته خاطئة، وكان يتلاعب بمجموعة ظروف من الصعب محاكاتها ميدانيًا.

سألها أمرًا:

- أين القوات؟

لم يكن ما على وجه المساعد العملاق ابتسامة عادية، إنما تعبيرٌ ما يعني أنه مُستمتع.

تذكرت جلوريا الأقاويل عن الحالات التي لم يتحدث عنها أساتذتها قط: رجال مصابين بمرض الزُّهري لم يُعالجوا، العبيد الذين يُباعون

للأطباء لإجراء التجارب عليهم، جثث الرجال السود المتأاحة للتشريح في كل كليات الطب. منذ ما يقرب من عشرة أعوام كان الجيش ووكالة المخابرات المركزية يطلقون البعوض الحامل لمرض الحمى الصفراء على تجمعات السود في فلوريدا. لون بشرتها جعلها مرشحة لدى البعض لإجراء الاختبارات والتجارب، ويمكنهم الخلاص منها بسهولة بعد إتمام مهمتهم.

واكتشفت جلوريا مع الوقت أنها إن أرادت أن تظل داخل اللعبة، فعليها التظاهر بأنها لا تُدرك وجود لعبة من الأساس. لن يسعدوا بإعطائها فرصة للفوز مهما أظهرت من مهارة لأنها، ببساطة، سوداء. أجابته:

- لم أكن أفهم ما كنت تعنيه. القوات تتحرك شمالاً بسرعة سبع كيلو مترات في اليوم. لو أعطيتني قلمًا لرسمت لك خارطة تفصيلية. رفع دكتور جرين حاجبيه، وسدد ابتسامة مُتغترسة تجاه المُساعد الذي ظهرت عليه خيبة الأمل. قال الطبيب واثقًا:

- ممتاز!

آسفة، هذا ليس ممتازًا أبدًا.

امتد القسم الأول من رحلة آليس العقلية خلال صور مُضَيِّبة، فاسترخت. ربما لن يعرضوها إلى صدمةٍ كهربية اليوم، لكنها تريد تلك الأدوات التي أعطوها لها المرة السابقة؛ لتجلب بعض الأجهزة بدلاً من المكوث على حالتها تلك. كتمت خواطرها بداخلها وظلت هادئة آملة أن ينسوا تواجدها في المُختبر حتى موعد الانصراف.

أخذت دكتورة باركس عينة من دمها، كما اعتادوا كل بضعة أسابيع، وكتبت على الأنبوب اسم آليس. ثم فحصوا قلبها وقاسوا نبضها وضغط دمها، ثم أعطوها جرعة المُخدر.

أحيانًا ما كانت تفكر في الصحيفة التي قرأت فيها الإعلان لدى عمها، وتتخيل تجميع أجزائها وطبعها دون الإعلان. ثم تساءلت عما يمر به كين خلال تجاربه هنا؛ فهو لا يبدو عليه أي تغيير منذ بدؤوا. إن كان وسيطاً روحانيًا حقًا، فعليها ضربه لِحَتِّه لهم على ركوب الحافلة منذ البداية.

سمعت صوت أمها في عقلها يهمس:

آليس، لا يصح ضرب الرجال.

سألت:

- حتى وإن كانوا يستحقون الضرب؟

سألته الدكتورة باركس وهي تعبر الباب إليها:

- عمّ تتحدثين؟

ورأت آليس دكتور بريتر يدخل خلفها، ومعه مساعده الملتحي الملازم له، والذي جلب لها من قبل الجهاز الذي أرادته كي تُفككه. المُساعد الذي يصددها بالكهرباء.

- لا شيء.

قالتها وأنزلت قدميها لتجلس وأردفت:

- لحظة، كنت أظنكم ستقيسون درجة حرارتي فقط، فأنا متوقعة

عبست دكتورة باركس وسألتها:

- ما الأعراض التي تُعانيها؟

إلى جانب الهلوس التي أراها بسبب هذا المخدر اللعين؟!!

اقترب دكتور بريئر منها وقال:

- هذه أعراض نفسية، الدواء سيساعدك.

ضحكت آليس ساخرةً قبل أن تُسيطر على نفسها. رفع دكتور بريئر

حاجبيه تعجبًا وبدا لها أنهما يرتفعان لما فوق حدود جبهته.

- معذرة؟ كمُختص طبي، أقول لك أن ما تعانينه سببه الانقطاع عن

العقار، فقد مر أسبوع منذ آخر مرة تعاطيته.

سأتحسن فور خروجي من هنا.

- أنت لم تتحدثي عما يحدث هنا مع أي شخص آخر، أليس كذلك؟

وأشار نحو الجهاز كي يُقربوه له، ثم بدأ في تثبيت الأقطاب على

جانبي رأس آليس التي أجابت:

- أعرف أن الحديث عن التجارب ممنوع.

وتذكرت يوم أن ذهبت إلى المطعم الذي تعمل فيه تيري، وكيف

تحدث أندرو وكين عن الأسلحة، وكيف بدا لها أنها بالفعل تصير نوعًا

من الأسلحة كونها تريد تفكيك كل شيء إلى هذا الحد.

تفكير سخي، كانت تعرف أنه تفكيرٌ سخي.

وضع بريئر كفاً على كتفها، ودفعها لترقد.

- لئزيد فولت الكهرباء هذه المرة.

مسّت دكتورة باركس عنقها بكفها في توتر وهي تقول:

- أتظن هذا قرارًا صائبًا؟ إن كانت مُتوقعة ف...

- سأرفع معنوياتها.

ثم أردف مُحدثًا آليس:

- أليس كذلك؟

ماذا ستفعل سوى الإيماء؟ كان يفعل عكس ما أخبر تيري به.

أغلقت آليس عينيها وانتظرت، وقررت أنها لن تصرخ أو تُصدر أيّ صوت، لكن بمجرد مرور التيار الكهربائي في جسدها، شهقت، وومضت أضواء عنيفة خلف جفنيها المُغلقتين.

كلا، لم تكن ومضات، بل تلك الأبواغ التي تعجز عن لمسها أو الإمساك بها.

ذهبت إلى المكان الهادئ في عقلها، تحت طبقات الواقع التي اشتاقت للهرب منه. شعرت آليس أنها منفصلة عن العالم، وكأنه ليس عالمها ولا تنتمي إليه. حُلْم يقظة مُتحلل مليء بالظلال.

اليوم الظلال ساكنة، الحوائط والنوافذ مُتصدعة، اللبلاّب ميت على الأرض. تحركت آليس وسط حلقاتٍ من الصور في عقلها كي تُثبت أن ثمة حياة هنا، أو أنها ما زالت حيّة.

عقار هذا الأسبوع كان مؤثراً.

دارت في دوائر، تفتح وتُغلق عينيها، تزداد الظلال بين طرفات عينيها. تصاعدت حولها من الأرض أزهار دُوار الشمس خالية من الألوان.. شعرت بالدوار.

التفتت آليس تجاه حركةٍ جديدة. كان وحشًا لامعًا أنيقًا.

حلماً، كابوسًا..

كان من نوعية وحوش القصص المُصورة التي يقرؤها ابن عمها، مكونٌ من أعضاء لكائنات حية مُجمعة بشكلٍ غريب. ذراعيه أطول من المُعتاد، رأسه كزهرة سوداء.

تساءلت إن كان يُريد تفكيك الأشياء كما تُريد هي. تسألها الدكتورة باركس:

- آليس، أسمعيني؟ افتحي عينيكِ إن أردتِ.

تمايلت زهرات دوار الشمس بلا ألوان، وذاب الوحش فيها. أكان الوحش زهرةً؟ ربما..

تصاعدت أمواج من الفراشات من تمايل الزهور، وعاد اللون الأصفر الذهبي إلى بتلاتها.

عندما فتحت عينيها على عالم الواقع، على حجرة المُختبر، كان برينر أول من رآته.

- رأيت وحوشًا، عقلي مليء بهم كما أظن.

ما دام حُيِّست الوحوش في عقلها فكل شيء سيكون على ما يرام، أليس كذلك؟

ضاعت تيري وسط اللحظات المُتتالية عليها. كانت ترمق الأرضيات والحوائط والسقف.
السقف!

كان السقف يتحرك كالسماء أمام عينيها وكل ما هو عادي صار استثنائيًا. كانت ترى كل شيء عبر عدسات عقلها الغارق في عقار الهلوسة. وعندما تذكرت أنها كانت تريد سؤال دكتور بريتر بشأن علاقة الأبحاث بالدراسة، كان قد غادر الغرفة، ولم يكن مساعده موجودًا كذلك. لو لم تسأل بريتر سؤالها بينما تذكره، ربما تنساه مرة أخرى. اختبار عقار الهلوسة عن التذكُّر..

هل سيمانع لو خرجت بحثًا عنه؟ لا تظنه سيمانع، فهو لم يطلب منها المكوث في الحجرة. قامت تيري متوجهةً نحو الباب، أدارت المقبض فوجدت الباب غير موصل، وكانت هذه إشارة تدفعها للاستمرار. خرجت إلى الردهة، ولم ترَ أحدًا فاستمرت في السير حتى انعطفت داخله إلى أول ممر، ولم تكن قد سارت فيه من قبل. ربما كان مكتب بريتر في هذا الاتجاه. تراقصت الحوائط حولها..

سمعت صوت باب يُفتح، ثم صوت خطوات، فألصقت نفسها بالحائط. رجلٌ يرتدي معطفًا أبيض انعطف عند الزاوية متوجهًا نحو الردهة، مُبتعدًا عن تيري. انطلقت مرة أخرى في طريقها شاعرةً وكأنها في لُعبة.

الباب الذي خرج منه الرجل يؤدي إلى جناحٍ آخر. كان يُفتح باستخدام لوحة أرقام سرية، لكنها حين وصلته لم يكن قد انغلق بالكامل، فهل تدخل؟

دست جسدها سريعًا في الفرجة قبل أن ينغلق الباب.
فعلتها!

تفرّع من الردهة أمامها فرعان، لكنها سارت أمامًا بدلاً من اختيار إحدى الناحيتين.

الحجرات التي مرت عليها كانت خالية، تحوي عددًا من الأجهزة والفُرُش، حتى وصلت حجرة مختلفة بها طفلة.

هل تراها فعلاً أم هي الهلاوس؟

الفتاة ما زالت أمامها، تجلس إلى طاولة وتلَوُّن بعنف حتى كادت تُمزق الورقة.

ماذا يحدث؟!

طرقت تيري على الباب ودخلت قائلة:

- مرحبًا..

فعلت كل ما بوسعها حتى يظهر صوتها رقيقًا مُهدئًا. ماذا تفعل طفلة هنا في مكان يقيمون فيه تجارب باستخدام عقاقير هلوسة؟

كانت الطفلة ترتدي رداء مستشفيات مثل تيري. سألتها الصغيرة:

- من أنتِ؟

اقتربت تيري من الكرسي جوار الطفلة، وكان حجمها كبيرًا للغاية حتى أن ركبتيها وصلت مستوى وجهها حين جلست على المقعد الصغير. لم تُمانع الطفلة في جلوسها، فقالت تيري:

- أنا مريضة، وأنتِ؟

- أنا كالي.. ما هي المريضة؟

- آه.. شخصٌ مريض..

عقدت الطفلة حاجبها الأسودين. لاحظت تيري أن رسمها يُمثل رجلًا ذا شعر أسود ناعم. تُراه برينر؟!

سألتها الفتاة:

- وهل أنتِ مريضة؟

- كلا، أنا بخير.

- إذًا لم أنتِ هنا؟

- أشارك في تجربة، أتعرفين شيئًا عن تلك التجارب؟

- أنتِ حالة!

قالتها الفتاة ببساطة وسحبت قلمًا مُردفة:

- وأنا كذلك. أيعرف بابا أنكِ هنا؟ من المفترض ألا أتحدث مع أغلب الموجودين.

بابا؟ أهي ابنة بريتر؟

مر ظلّ عابر في الردهة بالخارج، لن يُسر أحد باكتشاف وجودها هنا.

مالت أكثر على مقعدها كي تصل إلى مستوى طول كالي وهمست:

- لثُبق على زيارتي هذه سرًّا بيننا. عليّ أن أرحل الآن، لكنني سآتي لرؤيتك مرة أخرى.

ضحكت الفتاة وقالت:

- موافقة. أحبُّ الأسرار!

أرادت تيري الرحيل، لكنها بقيت لتسأل سؤالًا أخيرًا:

- هل أنت سر؟

ترددت كالي، ثم أومأت قائلة:

- أعتقد هذا.

- سأعود لرؤيتك في أقرب وقت.

أومأت كالي مُجددًا ثم رفعت سبابتها إلى شفيتها علامة الإبقاء على الأسرار. هل تقدر طفلة في سنّها على حفظ الأسرار؟ آمنت تيري أن طفلة تعتبر نفسها سرًّا لقادرة على المزيد.

وكذلك دكتور بريتر قادر على المزيد.

الفصل الرابع عن الرجال والوحوش

أكتوبر 1969
بلومينجتون، إنديانا.

-١-

ذهب أندرو في نهاية الأسبوع لزيارة عائلته، لذا اضطرت تيري للانتظار حتى تخبره باكتشافها. كان قد أخبرها بموعد عودته، فذهبت إلى شقته تنتظره. حين سمعت خطواته، قفزت نحوه وهو يلقي حقيبته أرضاً، وهتفت:

- الرجل يحتجز طفلة في المختبر يا أندرو. طفلة صغيرة!

كان سعيداً لمراها، لكنه لم يفهم عن أي شيء تتحدث:

- صغيرتي، مرحباً. فسري لي، من الطفلة وأين يحتجزها؟

مررت كفها خلال شعرها في حرج وقالت:

- آسفة. المختبر.. دكتور بريتر..

ثم صمتت بحثاً عن بداية لحكايتها. مسّ خدها وقال:

- نحتاج إلى زجاجتي بيرة.

قبّلها وتوجه إلى المطبخ. قالت بصوت عالٍ كي يسمع:

- أنت مُحق. آسفة، فقد كنت أنتظر عودتك كي أحكي لك.

- ألم تذكرني الأمر لرفاقتك؟ لقد راقوا لي.

فتح أندرو باب البراد، فوجد زجاجتي بيرة، ناول واحدة لتيري وأخذ هو الأخرى.

- لم أكن أعرف معنى ما رأيت، لذا فضّلت أن أحتفظ بالأمر لنفسني مؤقتاً. لكنني لست مُرتاحة.

فتح زجاجته وتوجه إلى حجرة المعيشة، وجلس على الأريكة. لكن

تيري كانت مُتحمسة فلم تقدر على الاسترخاء. راحت تروح وتجيء وهي تحكي تجربتها مع المُخدر، وكيف قادتها إلى كالي، وحكت ما دار بينهما وما انتهتا إليه من وعدها للطفلة بالعودة لزيارتها. قال أندرو: - غريبٌ فعلاً. أتظنين أن أحداً يعرف أنك التقيتها؟ أنت لم تخبري ذلك الطبيب، أليس كذلك؟

- بالطبع لم أخبره! كنت خائفة أن يزل لساني بكلمة، أو يجديني أحدهم في الممرات.

رَبَّت على ذراعها وقال:

- أتظنين أنك تسببتِ في مشكلة؟

تهاوت تيري جواره أخيراً وقالت:

- لا أعرف. أنت تظن أن الخطأ خطئي منذ البداية حين تطوعت.

- أبداً! حتى الآن كل ما رأيته هو طفلة. لنفترض أنها ابنته المريضة.

- لم تبدُ لي مريضة. لكن، من يعرف؟ ربما لو أنها ابنته، فهو يفعل

كل هذا ليجد لها علاجاً.

رفعت تيري رأسها وأردفت:

- لكنني بعد غير مُقتنعة. ثمة شيء غريب. حجرتها كانت تحوي

فراشاً من طابقين.

- ربما كان هذا لراحتها أثناء إقامتها. لمَ لا تسأليه عنها؟

- سأفكر.

منذ أسبوع، ربما كانت لتسأله. وتذكرت قلق جلوريا بصدد ربط

استكمال التجارب بنجاحهم في دراستهم. تُريد تيري المزيد من المعلومات

قبل أن تُقرر كيف ستتصرف.

جلس أندرو أرضاً، وجذب تيري جواره كي يُدلك كتفيها لإزالة التوتر

عنها وسألها:

- كيف حال الآخرين؟

- يبدو أنهم بخير، لكن أليس متوقعة بعض الشيء، أعتقد أنها

متأثرة بتغيُّر الطقس.

- يمكن أن تسألهم عن رأيهم.
كان مُحققًا..

- سأسألهم، لكنني أريد أن أعرف أكثر عن تلك التجارب والغرض منها.
لم السرية؟ ما علاقتها بالطفلة؟
- ألا يمكن أن يكون الأمر سرّيًا لأنهم يعطونكم عقاقير هلوسة؟
تهددت تيري وقالت مُرتعدة من فكرة طرأت ببالها:
- أجل، واضح. ماذا لو أنهم يعطون الطفلة تلك العقاقير المُخدرة؟
- قطعًا لا. هل بدت لك مُخدرة؟
- كلا، كانت طبيعية.

وفي طمأنته سمعت صدى صوت أمها تُخبر أباها أن أهوال الحرب
لن تتكرر مرة أخرى. لكن تيري تعرف أنها قد تحدث مُجددًا وتعرف
كذلك أن الناس سيتكاتفون لمنع تكرارها.
- عليّ فقط أن أجمع أكبر قدر من المعلومات، أريد أن أعرف ماذا
تفعل هناك.

- أتعرفين أنني أوّمن بكِ؟
استمر في تدليك كتفها وأضاف:
- إن كنت تحتاجين للتأكد، فلتتأكدي.
- أعرف أنك تؤمن بي.
من هو بريتر ومن أين جاء؟ وماذا كانت وظيفته قبل بدء تلك
التجارب؟ تتزايد أسئلة تيري في كُل ثانية مما يعني أن عليها البحث عن
إجابات فورًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

كانت المكتبة تضح بالرواد في اليوم التالي، فقد اقتربت بداية الفصل الدراسي، والكل يحاول جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والكتب. انتظرت تيري أمينة المكتبة، واقفةً في صفٍ طويل جوار أرفف الكتب التي تُعج بالمراجع ذات الأغلفة الجلدية. أخرجت رواية «رفقة الخاتم» من حقيبتها وعادت لتُكمل قراءة الفصل الثالث، وتغوص في عوالم كاتب الرواية -تولكين- مؤقتًا، حتى تستطيع تقصي عالم بريتر. - يا أنسة.

رفعت تيري عينها عن مشهد للـ«هوييت». آندرو كان مُحققًا، فقد امتصتها الرواية بالكامل. كان وجه أمينة المكتبة مُرهقًا، ترفع شعرها لأعلى وتُلف عُقسته حول نفسها كالكعكة. هتفت تيري: - كنت أحتاج مُساعدتك.

وشرحت لأمنية المكتبة أنها تريد معلومات عن طبيب انتقل قريبًا إلى البلدة، ربما هو مجرد طبيب دارس للطب، أو يحمل درجة الدكتوراة، أو الاثنان معًا. سألتها أمينة المكتبة:

- ولا تعرفين أين كان يعمل قبل مجيئه، أو في أي جامعة تخرّج؟
أتعرفين تخصصه؟

ظهر جليًا أن أمينة المكتبة ترى أن الأحمق فقط هو من يبحث عن شخص دون أن يعرف أي معلومة أساسية عنه ويتوقع نتيجة.
- أعتقد أنني لا أعرف أيًا من هذه المعلومات، لكن ربما يكون ذا صلة بعلم النفس.

نظرت أمينة المكتبة خلف تيري، إلى الصف الطويل القلق. قالت تيري في رجاء:

- أستطيع أن أبحث بمفردي إن منحتني أي معلومة.
أومات أمينة المكتبة وأخرجت دفترًا كتبت فيه شيئًا بخطٍ نضيد، وقطعت الصفحة، وأعطتها لتيري.

- ابحتي في هذه الأرفف، إن كان ثمة معلومة فستجدينها في أحدها.
حظ سعيد.

ذهبت تيري إلى أول رف يحوي كُتُبًا سميكة للتصنيف، مذكور في صفحاتها أسماء كُتّاب وكُتُبهم وناشريها. اختارت كتابًا يحمل أسماء الكُتّاب الذين تبدأ أسماؤهم بحرف الباء، ووجدت ثلاثة مؤلفين باسم بريتر، لكنها لم تجد بينهم مارتن بريتر.
التالي..

عادت للقائمة التي أعطتها لها أمينة المكتبة، وقادتها إلى كتاب «مَن في أمريكا» ويحوي مُلخصًا لسيرة كل شخص هام عاش على الأراضي الأمريكية.

راحت تُقلب الصفحات والأمل يعلو في نفسها، حتى وصلت القسم المُخصص لحرف الباء.

كانت تعرف بعض الأسماء من المشاهير، لكنها لم تجد وسطهم مارتن بريتر.

آخر ما كتبه أمينة المكتبة هو البحث في الملفات الأفقية. عادت إلى مكتب الاستقبال لتسأل عن مكانها وعرفت أنها في الطابق الثاني.

بالأعلى سارت تيري عبر خزائن تتراص على أرففها الكتيبات والأبحاث غير المنشورة. امتدت الأرفف أمامها وهي تبحث في كل ملف تراه، فأى ورقة تُهملها ربما تحوي الإجابة التي تريد.

شعرت بتميل في أطراف أناملها من التقليب في الأوراق مع اقترابها من نهاية البحث، حين رأت أضواء المكتبة تنخفض، وسمعت من يهتف عبر السماعات أن الوقت المتبقي على موعد الإغلاق هو عشر دقائق.

على تيري أن تواجه حقيقة أنها لم تجن شيئًا من بحثها، يبدو كأن مارتن بريتر لم يوجد قط قبل انتقاله إلى إنديانا وحصوله على منصب مرموق في مُختبر حكومي. بالطبع لم يكن هذا هو التفسير المنطقي، لكن ماذا ستفعل الآن؟

تلاقت تيري وأمينة المكتبة في الطابق السفلي قُرب باب الخروج،

سارت حتى وصلت مسكن أندرو، وهي تجاهد كي تقف على قدميها من الإرهاق.

قالت له بعد أن فتح لها الباب:

- كان أسهل على الهوبيت لو بقوا في مُقاطعتهم. لكنهم لم يفعلوا!
انتهى الأمر بفرودو مُتحملاً مسؤولية الخلاص من الخاتم وعليه أن يتعايش مع الوضع.

- كنت أعرف أن الرواية ستروق لك! قولي لي عندما تكونين مستعدة لقراءة الجزء التالي. أين كُنتِ؟

- لا يزال الوقت مبكرًا على إنهائي للكتاب الذي معي. الهوبيت لا يملكون سحرًا، لكنني أتفهم كيف تجري الأمور في هذا العالم.
- يمكنك تخطي الجزء الخاص بـ«بومباديل» و«جولدبيري» لو أردت. فيه تطويل زائد.

- لا يمكنني تخطي شيء الآن. أنت تعترف إذًا أن الكتاب ليس مثاليًا تمامًا!

راح يُدغدغها فضحكت من قلبها، كان كأمرٍ من قصة خيالية يوقظ أميرة من غيبوبة بقبلة منه. أحيتها لمساته، فأدركت أن ثمة أمورًا أخرى في الحياة سوى المُختبر والهلاوس والطفلة الغامضة. عليها أن تذكر هذا دومًا.

قرعت تيري بأصبعها طرف الفراش في الحجرة الصغيرة، ثم توقفت حين نظر دكتور بريتر إلى مصدر القرعات مُزعجًا. رأت أطيافًا كأقواس قُرح تحيط بكفها حتى بعد أن سكنت حركتها.

سألها بابتسامة شعرت بسماحتها فورًا:

- ألا زلتِ قلقة بشأن العقار؟

- لست قلقة بشأنه.

وكانت صادقة، فقد كانت قلقة بشأن شيءٍ آخر.

- ممتاز يا تيري. أنت تثقين بي، أليس كذلك؟

بدأ الارتياح يتزايد في نفسها؛ لم يسألها عن ذلك؟

- بالتأكيد أتق بك.

نظر إليها لوهلة ثم قال:

- ممتاز. عملنا معًا يسير بشكل جيد. هل أنتِ مُستعدة للغوص

أعمق؟

ما هو عملنا معًا؟ تحديدًا، ما عملك أنت؟ من تكون كالي؟

لم تعرف كيف تصوغ أسئلتها بطريقة تُمكنها من سحبها مرة أخرى

إن احتاجت. إن كانت تقفز إلى استنتاجات غير دقيقة، فقد يكلفها هذا

خسارة مشاركتها في تجارب هامة. كانت تعرف الإجابة التي ينتظرها

منها، فأجابت:

- أجل، مُستعدة.

- جيد.

أخرج بلورة صغيرة من جيب معطفه، ورفعها أمامها قائلاً:

- ركزي نظرك عليها، ثم ابدأي في العَد العكسي في سِرِك من عشرة إلى

واحد ببطء.

لم تكن ترغب في أن تفعل ما يقول، لكنه لن يعرف ما في عقلها ما

دامت لم تُفصح به. جلست تنظر تجاه البلورة دون أن تُركز نظرها

عليها.

- الآن، أغمضي عينيكِ.

انغلق جفناها، وظهرت الألوان والومضات أمامها. سمعت صوت بريتر ناعماً كالحرير:

- حان وقت الخطوة التالية يا تيري.. حان الوقت كي تعرفي حدود قدراتك. ما سترينه في رحلتك سيظل سرّاً تحتفظين به في عقلك دون كشف، لكنك لن تذكر أنني طلبت منك هذا. أفهمين؟ أتستطيعين أن تُكرري ما قُلْت؟

تجاهد تيري كي تُبقي عينيها مُغلقتين، وكي تُخفي نيتها في الكذب. ما هذا؟ هل حدث ذلك في المرات السابقة التي نوّمها فيها بنجاح؟ ليتها كانت يقظة وواعية وقتها.

- ما يحدث سيظل سرّاً، وسأحفظ هذا السر وأكمل مُهمة تطلبها مني، ولن أذكر أن أحداً طلب مني ذلك.
- جيد.. جيد جداً.

مرت لحظات صمت، ثم سمعت صوت باب الحجرة يُفتح. كان المساعد قد تركهما وحدهما، وربما عاد الآن. سمعت صوت احتكاك شيء بالأرض، ثم أُغلق الباب.

تعالّت دقات قلبها في أذنيها، ودَعَت الله أن تتحمل ما سيقوله بريتر.
- تيري، هل أنت مُستعدة؟
- أجل.

- ستظلين في حالة السّنة بعد أن تفتحي عينيكِ.
صمّت، ولم تكن مُتأكدة إن كان عليها فتح عينيها أم لا، فظلت ساكنة.
- الآن، افتحي عينيكِ.

ففتحتهما.

رأته جالساً إلى منضدة أمامها، وكان ثمة هاتف أسود غير موصول بأي شيء. رَفَع السّاعة، ثم رفع شيئاً صغيراً لم تتعرفه في البداية، لكنها تبينت أنه قطعة معدنية صغيرة سوداء، سُمكها أقل من سُمك عملة

معدنية.

- أترين هذا؟

أومأت برأسها. وضع القطعة المعدنية على الطاولة، ثم لف طرف السماعة ليفتح موضع إدخال الصوت وهو يقول:

- أترين كم هو سهل فتح السماعة، أي شخص قادر على ذلك، أليس كذلك؟

- أجل.

- وأنت تستطيعين.

وضع السماعة جانبًا، ثم أخذت القطعة المعدنية ودسها داخل الموضع الذي فتحه، وسط الأسلاك.

- سأضعها هنا، لتمس هذا السلك، فتعمل.

ثم أغلق الجزء المفتوح وأردف:

- والآن ستفعلين ما فعلت. مفهوم؟

مدت تيري يدها تلتقط السماعة، مُفترضة أنه يطلب منها تكرار ما فعل فورًا.

- كلا، ليس هنا، وليس الآن.

أخرج بريتر كفه من جيب معطفه، وأعاد يد تيري إلى جحرها. شعرت به يدس شيئًا في كفها، ووجدته قطعة معدنية مماثلة لتلك التي كانت معه ووضعها داخل السماعة.

- ستضعين هذه القطعة المعدنية داخل سماعة هاتف محل «أزهار للأزهار والهدايا»، المحل المملوك لوالدي جلوريا أزهار. ستفعلين ذلك قبل الجلسة القادمة. مفهوم؟

كلا! لماذا؟!

- أجل، مفهوم.

- جيد. أغلقي عينيك.

فأطاعته.

قادت تيري سيارتها عبر الشارع السابع ببطء، محاذرة أن تفوت محل «أزهار للأزهار والهدايا».

المحل الفاخر تظلمه سُقيفة خشبية أنيقة مُزخرفة بالعاج، منقوش عليها اسم المكان. في المدخل ثمة منضدة عرض للحلوى، حيث المعروضات جنبًا إلى جنب مع التماثيل الصغيرة واللوحات المؤطرة الراقية. على جهة اليمين، مدخل مخصص لقسم بيع الأزهار، مُرصعُ بباقات الورد الملونة.

كان من السهل معرفة العنوان، فقد وجدته تيري في دليل الهاتف، مصحوبًا بإعلان على مساحة رُبع صفحة عن معروضاته المُتنوعة. أوقفت تيري السيارة على الجهة المُقابلة للمتجر، وترجلت منها. عبرت أمام أطفال يلعبون فرمقوها بنظرة بمعنى «ماذا تفعل امرأة بيضاء هنا؟».

دسّت كفيها في جيبيها لتطمئن إلى وجود القطعة المعدنية التي أعطاها لها بريتر. عندما فتحت باب المتجر، سمعت صوت جرس لطيف ثم شمّت عبق الأزهار القوي الفاتن.

تقدمت منها امرأة، وهي نسخة أكبر سنًا من جلوريا، وسألتها:
- مرحبًا، كيف أساعدك؟

سارت تيري عبر الممر وحاولت أن تتنفس بشكلٍ طبيعي وقد رأت جلوريا جالسة على مقعد خلف الكاونتر، مشغولة في قراءة قصة مصورة فلم تلاحظ قدومها.

- كنت أودُّ الحديث مع جلوريا.

- أوه!

والتفتت الأم نحو ابنتها التي رفعت عينيها ووضعت القصة جانبًا وهي تقوم هائفةً:

- تيري؟!!

خرجت جلوريا من خلف الكاونتر لتُحيي صديقتها، وهي تقول لأمها:

- هي صديقة.. رفيقتي في تجارب المُختبر.

رحبت الأم بشكلٍ أكثر حميمية بتيري وقالت:

- تشرفت بمقابلتك. أي صديق لجلوريا هو صديق لكل أفراد عائلتنا.

شكرتها تيري وهي تشعر بثقل الجسم المعدني في جيبها يتزايد. قالت

لجلوريا:

- هل يمكننا التحدث على انفراد؟

قالت جلوريا لأمها:

- ماما، هل تمنعين لو ذهبتَ لمرافقة أبي بينما أتحدث مع تيري؟

سأراعي الزبائن لا تقلقي.

- لن يأتي زبائن قبل موعد الانصراف من الأعمال. سأعود خلال

دقائق.

وسارت نحو المدخل الآخر لقسم الأزهار. رفعت جلوريا حاجبيها في

قلق وتساءلت:

- ماذا حدث؟

ابتلعت تيري ريقها وأخرجت القطعة المعدنية من جيبها ووضعتها

على كفها المبسوطة أمام جلوريا. سألت الأخيرة:

- ما هذا؟

- جهاز تنصت. أمرني بريتر بأن أضعه داخل هاتفك. كان يظنني

تحت تأثير التنويم المغناطيسي.

هزت جلوريا رأسها وهي تحديق في القطعة المعدنية وغمغمت:

- كان يظنك تحت تأثير التنويم المغناطيسي؟ لكنك لم تكوني كذلك؟

أومأت تيري، وقد ارتاحت كون جلوريا لم تطردها. غامرت تيري

بمجيئها وكشفها للأمر أمام جلوريا التي لا تعرفها جيداً، لكنها لم تكن

مُستعدة لخيانتها، ولا حتى من أجل بريتر الذي أضاف بتصرفه تساؤلاتٍ

فوق تساؤلاتها.

- تظاهرت أنني مُنومة. كانت مهمتي أن أُدس القطعة في هاتفك قبل

ذهابي إلى المُختبر في الموعد القادم. قال أن ما طلبه هو المرحلة التالية من تجاربي.

- تجاربهم قذرة، وهذا هو الدليل! لم يَرِد ما طلبه في أي تجارب علمية شريفة!

ثم مدت يدها نحو تيري وأضافت:

- أعطني هذا، وأخبريني بما عليكِ فعله به، وسأفعله نيابة عنكِ.

- هكذا ستكونين مُراقبة!

ابتسمت جلوريا وقالت:

- سأتركه عدة أيام فقط. بالإضافة إلى أن أي أحدٍ سيستمع إلى مكالمات متجر أزهار وهدايا سيُصاب بالملل.

ثم ترددت قبل أن تُضيف:

- لا أظنهم يريدون التنصت عليّ، ما طلبوه كان بغرض التأكد من طاعتك لهم.

هذا ما ظنته تيري كذلك، وما قالته جلوريا أكَّد ظنّها وأرعبها أكثر. سألت صديقتها:

- هل طلبوا منك شيئاً ممثلاً؟

- ليس بعد. لكنهم يستكشفون ذكرياتنا وعقولنا، مما يجعل هدف التحكم فينا منطقياً، فهم لا يستطيعون أن يُجبروا أشخاصاً عاديين على القيام بمهامهم القذرة. أنتِ واثقة أنهم لم يكشفوا خدعتك؟

- لا أظن أنه قد شك في نواياي. المفترض أنني نسيت أنه من أمري بفعل ذلك.

عادت جلوريا إلى الكاونتر وهي تقول:

- هذا جيد. علينا الانتهاء من الأمر سريعاً؛ ستعود أمي في أي وقت.

انضمت تيري إليها خلف الكاونتر، وأخبرتها بما عليها فعله كي تُشغّل الجهاز، ففكّرت جلوريا غطاء السماعة وبدأت في التنفيذ.

عادت ذكرى كالي إلى عقل تيري، وهي ذكرى لم تتعد حتى تعود. كيف ستستطيع فتح الباب المؤدي إلى القسم الذي تعيش فيه دون

معرفة الرقم السري؟ لن يمكنها الاختباء وانتظار من يدخل أو يخرج كي تدخل. هي حتى لا تعرف مواعيد تواجد كالي.
هل تغامر وتُخبر جلوريا بشأن الطفلة؟ ربما تستطيع أن تجد تفسيراً لوجودها هناك.

انتهت جلوريا من تركيب الجهاز، وابتسمت ابتسامة مُتأمرة. قالت تيري:

- أدعوك لحضور حفل الهالوين الذي سيقمه أندرو. سأدعو آليس وكين أيضاً.

- لا بأس. يبدو أنه سيكون حفلاً مُمتعاً.

وتمنت تيري أن تجد من الحقائق ما تخبرهم به في يوم الحفل.

يوم الهالوين هو يوم آليس المُفضل. يمكنها في هذا اليوم أن تظهر بأي هيئة تشاء، ولن يلومها أحد على اختلافها أو غرابتها. كانت تُحب كذلك الأزياء التنكزية.

لكن حين يعتادها الناس برداء عملها المُشحَّم، وإكسسواراته المكونة من المفكات والمفاتيح، تصير تعليقاتهم مُهينة حين تحاول ارتداء فستانٍ مثلاً.

لستِ من طراز الفتيات اللاتي يرتدين الفساتين.. لا يمكن صنع حقيبة حريرية باستخدام أذن خنزير.

بالطبع تقابل بين الفينة والأخرى من يُطري على مظهرها دون أن تظهر على لهجته علامات السخرية أو الافتعال. جزء من نفسها يحلم بأن ترتدي ملابس تليق بأميرات في حفل حبيب تيري بمناسبة يوم الهالوين، لكنها ما زالت تخشى أن تتلقى نفس اللوم والسخرية اللذين تتلقاهما حين تتألق عند ذهابها إلى الكنيسة.

على أية حال، كان الزي الذي سترتديه للحفل رسمياً إلى حد كبير، فقد أضافت بعض التعديلات على رداء يشبه بذلات المُغني إيفيس بريسلي: ياقة عريضة، بضع نجومات من قماش لامع نثرتها حول الخصر وعند أطراف البنطال المُتسع من أسفل.

صاحت تيري وهي تفتح الباب لاستقبالها:

- تشبهين إيفيل يُفيل بالفعل!

صدحت الموسيقى من خلفها، ورأت آليس الشقة مُكتظة بالراقصين، تختلط رائحة عرقهم بعطورهم بدخان التبغ.

- آليس! الرداء رائع.. ادخلي. أندرو! تعالْ لُرحبْ بآليس.

نظرت آليس إلى رداء تيري التنكزي، ورأت كتلاً من الفرو مُثبتة فوق قدمي تيري الحافيتين، وكانت ترتدي بنطالاً مطوي الأطراف، وقميصاً قديمًا، وقد حُعدت شعرها وظهرت من بين خصلاته أذنان مُدببتان

1- مؤدي أكروبات واستعراضات شهير في الستينيات.

مصنوعتان من الشمع.

سألت آليس في حيرة:

- في هيئة أي شخصية تتنكرين؟

ظهر أندرو جوار تيري، وكان يرتدي زيًا مُشابهًا لزيها بالإضافة إلى
كُتَل من الفراء مُثبتة على ظهر كفيه.

- تيري مُتنكرة في هيئة شخصية فرودو، وأنا في هيئة ساموايز جامجي.
شخصيتان من كتابي المُفضل "سيد الخواتم". تركت لها الخيار فاخترت
البطل، وتركت لي دور صديقه. لكنني لا أمانع أبدًا.

ضحكت تيري وقالت:

- أحب ساموايز!

- وأنا أحب فرودو! سأحضر لآليس شرابًا.

لم تكن آليس تشرب الخمر، لكنها لم تُعلن هذا، فقط قالت:
- أشكرك.

رأت شابًا يرتدي قناع وحش مُشوه الفم، ضخم الأسنان، مصنوعًا من
البلاستيك الخفيف. ليته يعرف كيف تبدو الوحوش الحقيقية. تعكر
مزاجها حين عادت إلى عقلها ذكرى المُختبر، وزال ابتهاجها بالحفل.
تذكرت المكان المظلم والأمر المفزعة التي تراها هناك.

أمسكت تيري بذراعها وقادتها إلى الداخل وهي تغلق الباب خلفها.
- كين وجلوريا وصلا بالفعل.

مدّت فتاة ذات جُمَّة سوداء طويلة يدها نحو آليس مُرحبة:

- أنا مورتيشيا آدمز، سعيدة لمقابلتك.

كانت الفتاة ترتدي فستانًا مكشوفًا من عند الخصر، وتضع أحمر
شفاه لامعًا، فقد كانت متنكرة في دور مورتيشيا آدمز من فيلم عائلة
آدمز. حيَّتها آليس وقالت:

- وأنا إيفيل نيفيل. رداؤك جميل!

قالت تيري:

- هذه هي رفيقة السكن، ستايسي.

ثم نظرت إلى مَنْ خلف كتف آليس وأردفت:

- سأعود فوراً، وسنبحث عن باقي أصدقائنا. أكره تلك الحفلات التي لا أعرف من حاضريها سوى القليل.

أخذت آليس بالحجرة المزدحمة بالراقصين، وتساءلت عن عدد من تعرفهم تيري، وعدد الحفلات التي حضرتها من قبل، يبدو أن الحفلات من طقوس الدراسة الجامعية.

كانت هذه هي أول حفلة تحضرها آليس، فلم تكن تعتبر رحلات الكنيسة تجمعاتٍ ممتعة بالمعنى الحرفي، لكنها على الأقل كانت تعرف كل شخص فيها.

تفادت ستايسي الاصطدام بشاب يرتدي زي المهرج ويسكب محتويات كوبه أثناء سيره وقالت:

- كيف تعرفتِ بتيري؟ من المطعم؟

تذكرت آليس فجأة كيف وصلت تيري إلى المختبر؛ لقد تطوعت بدلاً عن رفيقة سكنها.

قالت آليس بهدوء:

- عرفتُها من خلال التجارب.

سألته ستايسي فجاءت كلماتها مُتلعثمة قليلاً:

- وكيف تسير الأحوال؟ تيري لا تتحدث أبداً عن هذا الأمر.

أتحدث عنها مع أندرو ولا تتحدث إلى رفيقة سكنها؟!

بادلته آليس السؤال بآخر:

- لم تثر التجارب اهتمامك، أليس كذلك؟

- كانت تقودني للجنون.

وهزت ستايسي رأسها يُمّنة ويُسرة ضاحكةً. قالت آليس:

- هي كذلك بالفعل.. حرفياً.

عبست ستايسي، لكن تيري عادت مُقاطعة حديثهما وقالت وهي

تجذب آليس:

- تعالي من هنا.

صدحت أغنية فريق البيتلز «بمساعدة صغيرة من أصدقائي» تُعزف من جيتار أحد الحضور، الذي التف حوله مجموعة من رواد الفضاء والساحرات والأشباح والأبطال الخارقين.

بدأ الجمع في الغناء وترديد المقطع «لنتجاوز الهموم ونثمل» بصوت أعلى وأكثر حماسًا. رددت آليس وتيري معهم الكلمات بأعلى صوت. الغناء والأنغام الناعمة أشعرا آليس أن قلبها في حالٍ أفضل، وكان مُحرك جسدها عاد إلى العمل بكامل كفاءته لأول مرة منذ أسابيع.

ضحكت الفتاتان بعد انتهاء الأغنية، ثم صحبت تيري آليس خلال الزحام حتى وصلتا إلى حديقة خلفية مُشتركة، حيث طاولة عليها أطعمة، ونيران مُشتعلة للتدفئة.

كانت السماء صافية، والنجوم كجواهر مثبتة على خلفية من قطيفة. أهكذا تكون الحفلات دومًا؟ في لحظة تُشعرك بالندم أنك جئت، وفي لحظة أخرى تشعر بالسعادة لحضورها؟

على الأقل أرتدي ملابس تناسبني..

وكان نيفيل معروفًا بإصاباته المتكررة أثناء حركاته البهلوانية المجنونة.

- آليس!

هتف كين وهو يقوم من جوار الطاولة، يتطاير شعره فوق كتفيه كالمعتاد، ولم يعبأ بتشذيب لحيته. كان يرتدي قميصًا وبنطالًا من الجينز. سألته آليس في ضيق:

- هل أنت مُتنكر في هيئة نفسك؟

يا لجرءته كي يحضر حفلًا تنكريًا دون أن يبذل أي جهدٍ في التنكُّر. قالت تيري وقد استشعرت الجدية في صوت آليس:

- لا عليك.

كان غريبًا على آليس أن يفهمها شخص آخر بهذه السرعة والسهولة دون أن تضطر للشرح والتبرير.

طال الخارقينعة من رواد الفضاء والسعة را حين تت

قال كين:

- أنا مُتَنكر في هيئة ضابط مكافحة مخدرات متنكر.

من بين عينين نصف مغمضتين تساءلت آليس:

- وهل أنت ضابط مُكافحة مخدرات في الحقيقة؟

- كلا!

ضحك كين، ولم تدر آليس فيمَ الضحك، فقالت:

- أنت كسول. هذه هي حقيقتك.

اجتازته متوجهة نحو جلوريا، التي قامت من مجلسها مُتقصية ما

يحدث. صاحت آليس:

- هذه هي الأزياء التنكرية الحقيقية!

دارت آليس حول جلوريا وهي تتفقد زيتها الذي يماثل زي المرأة

القطعة، والمكون من حُلة سوداء لامعة، وقلادة مُؤلفة من دوائر ذهبية

مُتداخلة مع حزام يشبهها. وكانت تضع قناع الشخصية الأسود ذا

الأذنين. قالت جلوريا وهي تنظر إلى زي آليس:

- رداء ممتاز كذلك.

خرج آندرو إلى الحديقة الخلفية لينضم إليهم، وهتف وهو يعطي

آليس علبة البيرة التي لم تُردها:

- لدي شعور أنك ستكونين الأخت الصُغرى التي تمنيتها.

ضحكت آليس وقالت:

- كلا! آخر ما أريد هو أخ آخر!

صاحت تيري ضاحكة:

- لا تنسي، فلديه سيارة باركودا!

- ما زلت أحلم بالحصول على أخ أفضل من هذا!

جلست آليس إلى الطاولة، فأزاح كين البيرة بعيداً عنها. تفاجأت،

ونظرت إليه. كان يعرف ما تفكر فيه. قالت له:

- أشكرك.

- سأجلب لك بعض الماء.

وتسامحت مع عدم ارتدائه لزي تنكري.

كان على تيري وأندرو أن يعودا إلى الداخل كي يقوموا بدوريهما في الترحيب بالضيوف. كانت آليس مُستمتعةً بجلسها في الحديقة الخلفية مع الوحيدين الذين تعرفهم في هذا الحفل. ما ينقصها هو نسيان كيف تعرفت عليهم من الأساس.

تفاجأت آليس أن جلوريا قبلت شراءً من تيري في كأس من زجاج، حين قالت لها الأخيرة:

- لن تشرب المرأة القط من كوب بلاستيكي.

أخذت جلوريا الكأس ورفعته لأعلى وقالت:

- نخبكم.

قرعت تيري عُلبة البيرة مع الكأس وشربت.

فيما عدا شابٌ وشابة يتعانقان في ركن الحديقة، ظلت المجموعة وحدها بينما أندرو برفقة ضيوفه بالداخل. رغبت آليس أن تظل في مكانها هذا لأطول وقت ممكن قبل رحيل تيري مُبكراً لأن لديها عملاً في الصباح.

سألت آليس جلوريا:

- أخبريني، ما الذي دفعك لدراسة علم الأحياء؟

جلست تيري جوار كين الذي ظل صامتاً طيلة الأمسية وقالت:

- أنا أيضاً أريد معرفة السبب.

ضمت جلوريا كفيها فوق الطاولة وأجابت:

- تتوقعون أن أخبركم أن السبب هو فهم معجزة الحياة.

قالت تيري باسمه:

- أتوقع أن تقولي أن السبب هو القصة المُصورة.

قالت جلوريا:

- هناك الكثير من العلماء في تلك القصة، لكنهم في أغلب الأحيان أشار.

قالت آليس، رغم أن ما قالته لم يُضف شيئاً:

- وأنت لست شريرة.

- شكرًا لثقتك! عمومًا، علم الأحياء يدرس كيفية عمل كل شيء حي حولنا. هذا هو السبب الأول، لكنه ليس الوحيد.

سألت تيري:

- ماذا تعنين؟

قالت جلوريا:

- سيبدو ما أقول سخيفًا.

قالت آليس وكانت تعني كل كلمة:

- لا شيء مما تقولين سخيف.

أضاف كين:

- يمكنك الوثوق بنا.

راحت جلوريا ترمق السماء وهي تقول:

- حسنًا.. الناس يعملون سويًا تحت مظلة العلم، والعلم يتطور فقط في حال عمل الجميع وفق معايير موحدة، وفي حال مشاركة النتائج مع بعضهم بعضًا. الاختلافات بين الأشخاص لا تهم ما دامت عجلة العمل تدور بشكل صحيح. لا يهم سوى اختلاف النتائج.

قالت آليس مُنتشبة بجمال المفهوم الذي تحدثت عنه جلوريا:

- هذا رائع.

ابتسمت جلوريا.

خرج أندرو إليهم وسار حتى جلس جوار آليس وهو يتساءل:

- عمّ تتحدثون؟

- عن سحر العلم.

لم تعط جلوريا عبارتها العظيمة التي تستحقها، فأضافت آليس:

- العلم الحقيقي على الأقل.

كان الشابان المُتعانقان قد اختفيا من المكان خلال الدقائق الماضية، ولاحظت آليس أن الموسيقى بالداخل قد توقفت.

ها هي تجلس مع الأشخاص الوحيديين الذين يفهمونها، ولم يكن معهم سائقٌ يسترق السمع إلى ما يقولون، أو علماء يشتهون التدمير

أكثر مما يشتهون الإصلاح.

لم تُخطط للحديث في أي موضوع من هذا الليلة، لكن الفكرة راحت
تُلح عليها الآن. هل تُغامر؟
سألت:

- هل رأى أحد منكم الوحوش؟!!

انزلقت الكلمات ببساطة من بين شفثيها، فابتلعها الليل. للحظة خُيل
إليها أن أحدًا لم يسمع ما قالت. التفتت تيري في مقعدها لتواجه آليس
وتساءلت:

- الوحوش؟

كان لدى آليس فرصة للتراجع عما قالت، وإبقاء أفكارها بداخلها،
لكنها تحدثت وقالت:

- لا أقصد بالوحوش بيرنر وباركس وباقي الطاقم. أنا أتحدث عما أراه
خلال جلساتي بعد أن يصعقوني بالكهرباء. أرى لمحات لا تتوقف من
وحوش. أشعر وكأنني أنظر خلال ثُقب في جدار الواقع. الأمر مُرعب.
كانت آليس تتحدث سريعًا دون أن تسمح لنفسها حتى بالتقاط
نَفْسها بين العبارات، كانت تريد أن تُخرج كل ما يخيفها. سألتها تيري:

- رأيتِ هذه الوحوش أكثر من مرة؟

- أجل.

حاولت آليس ألا تفكر في معنى التعبيرات التي علت وجوههم. كانت
شاكرة للظلام، شاكرة لنبرة صوت تيري المُحايدة وهي تقول:

- غالبًا هذا من تأثير المُخدر. لكن...

سأل كين:

- كيف تبدو هذه الوحوش؟

انفجرت فيه آليس:

- أليست لديك قدرة على قراءة الأفكار؟!!

ثم ندمت على حديثها فأضافت:

- آسفة.

قال كين ببساطة:

- أنت على حافة الانفجار، ولا أستطيع قراءة أفكارٍ بهذا التشوش.

- تبدو الوحوش كأغما في كابوس أو فيلم رُعب: طويلة، عصبية، قوية، مُغطاة بالكامل بالحراشف والقشور. ثمة واحد منهم فقط يسير كالبشر. لا أراهم لوقت طويل لكن منظرهم لا يفارق عقلي.

سألت جلوريا في غضب:

- هل يصد مونك بتيار كهربي حقيقي؟! جلسات علاج بالكهرباء مثل

المرضى عقليًا؟

- أجل. يسميها جلسة كهرباء، ربما لأنني أحب الآلات والأجهزة. ما كان عليّ أن أدعهم يعرفون أي شيءٍ عني.

قالت تيري:

- أنا لم أر الوحوش.

بدأت معدة آليس في الانهيار، ما كان عليها أن تقول شيئًا. أردفت

تيري:

- لكن.. قابلت طفلة في المختبر، وكانت تدعو بريتر بـ «بابا».

سأل كين:

- متى كان هذا؟

هتفت جلوريا:

- كنت أشعر أن ثمة شيئًا تخفيه عنا.

قال أندرو:

- لم تكن تيري تعرف كيف تخبركم. أكملني يا صغيرتي.

مالت آليس أمامًا، فلم تكن الوحيدة التي تُخفي أسرارًا.

- كنت سأسأل بريتر عن موضوع الخطابات التي أرسلها لكلياتنا،

ولعائلة آليس، ذهبت لأبحث عنه فوجدت الطفلة. اسمها كالي وتدعوه

«بابا». قالت أنها حالة مثلنا. أندرو يعتقد أنها ابنة بريتر وأنها مريضة

أو شيء من هذا القبيل.

سألت جلوريا:

- رأيتها مرة واحدة فقط؟

- بريتر لم يتركني وحدي من يومها. كذلك فالطفلة تعيش في جناح مُغلق بأرقامٍ سرية. وصلت إليها المرة السابقة بالصدفة.

صَفَرَت جلوريا وهي تقول:

- وبريتر طلب منك أن تزرعي جهاز تنصت!

سألت آليس في فزع:

- ماذا طلب منها؟!

حكّت تيري ما طلبه منها تحت تأثير التنويم المغناطيسي، وكيف أنها كانت واعية وقتها وخدعته. وحكّت عن ذهابها لجلوريا واستكمالهما للمهمة دون أن تضطر تيري لخيانة صديقتها.

قال كين:

- لا أصدق أنه طلب منك فعل هذا.

قالت جلوريا:

- أنا أصدق. فيمَ تورطنا؟ هذا هو السؤال.

قالت تيري وهي في قمة وعيها وكأنها لم تمس الخمر طيلة الأمسية:

- لا أعرف، لكنني بدأت أعتقد أن الأمر مُقلق. لم أجد قُصاصة في المكتبة عن بريتر. لا بد أن هناك طريقة أخرى للحصول على معلومات عنه، وعمّا يفعله.

عم الصمت برهة، وانتظرت آليس لتعرف ما سيقولون. أخيراً قال

كين:

- كنت أعرف.

قالت آليس في سخرية:

- بالطبع كنت تعرف.

قاطعتها جلوريا:

- لا مجال للمزاح. أخبرتكم سبب حبي للعلم، ولطالما كنت أريد معرفة كل شيء عن المعامل وشروط التجارب. قلت لتيري سابقاً أنه لا شيء مما يجري هناك يُمت للبحث العلمي بصلة. والآن بعد أن عرفت

أن هناك صعقًا بالكهرباء كذلك أرى أن هذه ليست الطرق الشرعية للأبحاث. لو أننا تعاوننا معًا، ربما نحصل على الإجابات التي تبحث عنها تيري.

كانت آليس موافقة على التعاون، لكنه لم يكن أكبر همها.

- الوحوش التي أراها.. أعتقد.. ماذا لو أنها حقيقية بشكلٍ ما؟ يستطيع بريتر.. لو أنه عرف الطريقة.. يستطيع أن يستغلهم.. أن يستغلني!

مدت تيري كفيها وأمسكت بكفي آليس وقالت:

- لن يحدث هذا، لن أسمح به!

وأضاف آندرو:

- لن تسمح بأي ضرر يصيبك يا أختي الصغيرة، أعدك بذلك.

لم تر آليس أن في وسع أحد حمايتها أو الوعد بالمحاولة، لكنها قبلت مواساتهم. سألها كين:

- أتظنين أن الوحوش حقيقية؟

- لا أعرف.. المهم، ماذا سنفعل؟

قالت تيري:

- هذا سؤال ممتاز.. أحتاج إلى التفكير في إجابة له.

تناول بريتر المنشفة الكبيرة من أحد مساعديه. كانت هذه هي المرة الأولى التي تخوض فيها ثمانية تجربة انعدام الحواس في خزان الماء. كان قد أعطاهما مُحفِزًا لحثها على خلق وهم يوم مشمس في الغرفة.

لكن شيئًا لم يحدث، وشعر بالراحة فيمن حوله. كان يأمل أن خزان الماء سيحفز قدراتها، وكان مساعده وأفراد الطاقم يخشون أمله هذا. مال أمامًا وهو يتحدث في مايكروفون موصول بخوذتها:

- ثمانية.. يمكنك التوقف عن المحاولة الآن. سنُخرجك.

شعرت بخيبة الأمل في صوته، وكان قد وعدّها مكافأة لو نجحت في مهمتها. كان بريتر قد فكر بعناية في ما عساه يكافئها به لو استطاعت أن تخلق وهماً مُتحكماً به، ولم يخبرها بهديتها كي لا يشجعها على الحديث إليه أكثر.

لكن، لن تكون ثمة مكافأة على الفشل.

أوماً برأسه، فتح مساعده الخزان وساعد ثمانية على الخروج منه. خلعت الخوذة وألقته نحو أحد العاملين وهي تصيح:

- بابا، لم أحب ما حدث!

رأى الخط الأحمر القاني المُنسال من أنفها في نفس الوقت الذي بدأ فيه الوهم في الظهور. أعمته شمسٌ ساطعة فأغمض عينيه وتراجع، وكذا فعل الطاقم.

أجبر نفسه على فتح عينيه والنظر حوله. كانت ثمة أمواج عاتية تتكسر من حوله، وسمع صرخة من جواره وصوت أقدامٍ تعدو. عليه أن يعرف لاحقًا من هذا الذي هرب.

قال مُهدئًا:

- ثمانية!

لم يكن يدرك أنها رأت مُحيطًا من قبل، لكن الأمر كان واضحًا، فقد ولدت الفتاة عند ضفاف محيط. ظل بريتر يشاهد الأمواج تعبر من

فوقه. الأمواج وهم، لكنه كان يراها ويسمعها بكل وضوح. كان يرى جدران الحجره عبرها.

وقف يلهث وسط العاصفة التي خلقتها ثمانية، بينما راحت هي تنهه وتبكي في غضب.

صاح:

- الكعك المحلى!

طلب مكافأتها، حيث استطاعت أن تبقى على الوهم الذي صنعته لعدة دقائق. مد يده جواره، فسمع صوت أحد المساعدين يعدو تجاهه ويضع في يده الحلوى التي تفضلها ثمانية؛ هوستيس.

كان يأتي لها بحلواها المفضلة من وقت لآخر كي تكف عن السؤال عن رفيق حجرتها الذي لم يجلبه لها بعد. نوبات ثورتها لا تُطاق وعليه إخمادها بأي طريقة.

نجاحها المذهل كان هدية نهاية الأسبوع بالنسبة له، خاصة بعد نجاح تيري كذلك في مهمتها، وإثبات أن بوسعه التحكم في عقلها رويدًا رويدًا.

- ثمانية!

تقدم منها بريتر بحذر. سال الدم من أنفها وصولًا إلى فمها مُختلطًا بدموعها. وضع كفه على كتفها مُردفًا:

- لدي شيء لك.

ولولت الفتاة وتكسرت الأمواج من حولهم بقوة أكبر.

- كلا.. كلا.. لا أستطيع التوقف، لا أستطيع!

وضع الحلوى في يدها وانتظر. أطبقت كفها عليها، تكاد تسحقها، ثم

تهاوت على رُكبتها واختفى الوهم.

ركع كي يناولها المنشفة، فتجاهلته راجفة، وراحت تمزق غلاف الحلوى وتغرس أسنانها الصغيرة فيها، وتلوث شفيتها بالحشو الأبيض والشوكولاتة. عليه أن يُعلمها الانضباط، لكنها لا تنصاع إلا للحلوى.

كانت تزداد قوة، لكنها ما زالت تطيعه.. حتى الآن.

هذا هو الأمر الواقع الآن، وفي يوم سيسيتر عليها. عليه بالصبر.

أنهت الطفلة على الحلوى وسألته في قلق:

- متى ستعود السيدة لزيارتي.

سألها بريتر في حيرة:

- تعنين دكتورة باركس؟

لم يُدرك أن الطبيبة تزور كالي، لكن الأمر لم يُفاجئه، فالنساء لهن سحرهن مع الأطفال، ولا يستطعن مقاومتهم.

- كلا، ليست الدكتورة.

عبس وسأل:

- من إداً؟

- لا أستطيع أن أقول لك. هذا سر!

أمسك بريتر بذراعها وأعادها إلى حجرتها، حيث أبقاها مُستيقظة لثلاث عشرة ساعة تالية، مانعاً عنها النوم. قاومته قدر استطاعتها، لكن في النهاية قالت:

- السيدة التي ترتدي زي المرضى. جاءني مرة واحدة وقالت لي أنها ستأتي مُجدداً.

- صفيها لي.

- جميلة. كانت لطيفة. هذا سر!

- لقد فعلت خيراً بإخباري، فلا أسرار بيني وبينك.

نظرت إليه ثمانية بعينين صافيتين نظرة تعني «هناك أسرار بيننا». كانت خائفة من أن يسمع أفكارها، لكنها أبدت خوفها حين تركها أخيراً لتتعم ببعض النوم.

حين عاد إلى حجرة التحكّم طلب من الطاقم مراجعة الكاميرات التي تُراقب حجرة ثمانية، وتسجيل اسم كل من دخل وخرج إلى هذا الجناح المعزول.

ثمانية تصير أقوى، ولن يُغامر بأن يُفسد شخص خطه.

الفصل الخامس

لا تُبالي

نوفمبر 1969

بلومينجتون - إنديانا

-١-

كان الطبق الرئيسي في المطعم الليلة شطائر اللحم والبطاطس المقلية. تصاعدت روائح اللحم المشوي والقلي، مُختلطة بعطور رواد المطعم ورائحة عرقهم.

أجبرت الجامعة طلابها على مشاهدة خطاب الرئيس نيكسون للأمة، وكان هذا سيوقف التظاهرات أو يُخفف من حدتها. رأَت تيري أن الحكومة تخدع نفسها.

لم تكن تعمل الليلة، لذا جلست مع الآخرين تُشاهد الخطاب وسط الزحام، ولم يكن ثمة مكان على الطاولة تضع عليه دفاترها. لم تشتك، فقد جلس أغلب الطلبة أرضًا بعد أن امتلأت المقاعد.

كان التلفاز في المطعم صغيراً حتى يصعب رؤيته هو نفسه، وكان قد أُحضر إلى مطعم الجامعة على منضدة ذات عجلات ووُضع في مقدمة المكان.

المفترض أن يقابلها آندرو هنا، لكنه لم يظهر بعد. كانت قد اتصلت به من هاتف السُّكن ورد عليها ديف. كان حانقًا بشأن فرض الجامعة على الطلبة إظهار الاحترام لنيكسون. ربما قرر آندرو عدم الحضور للمشاهدة كنوع من أنواع الاحتجاج. عامة لن يلاحظ أحد غيابه.

نادت ستايسي وقد علا صوتها فوق صوت الصخب:

- تيري!

دفعت نفسها بين الناس ودسَّت جسدها بين تيري والغريب الجالس

جوارها بدلاً من أن تجلس في مؤخرة القاعة، ثم جلست على الطاولة نفسها. أردفت وهي تميل نحو تيري مُتجاهلة النظرات القذرة التي كان من حولها يرمقونها بها:

- اتصل أندرو، وقال...

صاح صوت له طابعٌ إداري أمر عبر المايكروفون:

- هدوء من فضلكم!

ثم وضع صاحب الصوت المايكروفون أمام التلفاز، وضبطه على أعلى قُدرة لديه. ظهر نيكسون بجهته العريضة وأنفه المُكْوَر على الشاشة في المكتب البيضاوي. قال بصوت مُضخَّم مزعج:

- عمتم مساءً، رفاقي الأمريكيون.

همست ستايسي:

- يقول أندرو أنهم قادمون.

- حسناً.

لم تفهم تيري الجدية في صوت ستايسي كأنها تُبلغها أمراً طارئاً. التفت شاب أمامهما إليهما وهمس:

- صمتاً!

أخرجت ستايسي لسانها له، لكنه لم يرها. استمر نيكسون في شرح أسباب تواجد الأمريكان في فايتنام، ومتى سيعودون من هناك. ظل الجمع ينصت في توتر.

انفتحت الأبواب في مقدمة المطعم، واندفع منها ثلاثة رجال. ارتعبت تيري حين رأتهم يرتدون أفنعة الهالوين التنكرية؛ شخصية فرانكنشتاين، وشخصية الرئيس نيكسون نفسه، وسوبرمان. الرجال الثلاثة يرتدون أفنعة مما كان يرتديها الحضور في حفل أندرو.

رفعت ستايسي حاجبها وقالت لتيري:

- أخبرتك!

وقف المحتجون الثلاثة أمام التلفاز، يداً بيد. نزل المدير عن المنصة وطالبهم بالرحيل، ثم طلب الأمن. علا صوت ديف من خلف قناع

- لا تنتصوا إليه، كفا كذبًا! أنهوا الحرب!

صاح بعض الطلبة يساندون هذا الرأي: «أنهوا الحرب!»، بينما تصاعدت احتجاجات تُطالب بالصمت والإنصات إلى حديث الرئيس. وقف الجميع متمللمين. حاولت تيري الدفع بنفسها وسط الزحام نحو المقدمة، لكن الأمن كان قد سبقها إلى الثلاثة المُتَنكِرين المُحتجين. لم يكن من جاء هو أمن الجامعة، بل الأمن العام.. الشرطة.

كان آخر ما صاح به أندرو قبل أن يُقيدوه هو شعار قد أراه لتيري من قبل: «سَيَنجُو فروودو!»

هزت تيري رأسها، وأفعم ملامحها الفخر.

كانت تعشقه، وكان كلاهما بطلًا، ثوريًا.. مُغفلاً.

وصلت تيري إلى قسم الشرطة بعد انتهاء الخطاب بنصف ساعة، وقد نَبَّه المدير عليهم أن من سيغادر القاعة قبل انتهاء خطاب الرئيس سيلحق بالمُحتجين الثلاثة. ستُقرَّعها بيكي لو ألقوا القبض عليها. لذا، انتظرت في دُعر بينما نيكسون يدافع عن موقفه وقراراته السياسية، وكيف أن الراضين لها أقلية يصطادون في الماء العُكِر. ثم عادت بعد انتهاء الخطاب إلى بيتها لتجمع كل ما تملك من مال لدفع كفالة إخراج أندرو من الحبس.

انتظرت تيري في استقبال قسم الشرطة -وهو مكان كئيب ذُكرها بالمُختبر- بينما الناس يروحون ويجيئون، بعضهم يرتدي زي الشرطة المُوحَّد.

رمقها الضابط العبوس خلف مكتب الاستقبال وسألها:

- أنت هنا بخصوص من؟

قامت تيري واقفة، محتضنة حقيبتها:

- أندرو ريتش.

1 -شعار شائع في الستينيات بين الهيبيز نتيجة رواج رواية سيد الخواتم وأجواء التظاهرات والاحتجاجات والثورة.

- وُجِّهت إليه تهمة إزعاج السُّلم العام، والتعدي على ممتلكات الغير. تريد الجامعة مُعاقبته ورفيقه.

كان هذا ما تخشاه، فقد كان في فترة اختبار ومراقبة منذ البداية.

ركزي على المشكلة الحالية..

- كم كفالتة؟

- مائة دولار.

مبلغ ضخم! لكن كان الولوج لحسابها البنكي الخاص سهل، فقد كانت تحتفظ بما تدخره في ظرف في دُرج ملابسها الداخلية. سيكلفها دفع الكفالة كل المال الذي ادخرته من تجارب المُختبر، لكن الأمر يستحق.

- سأدفع نقدًا.

- جيد، فأنا لن آخذ شيئًا من شابة دون موافقة ولي أمرها.

- أبواي متوفيان.

نظر إلى الأوراق على مكتبه وقال:

- تعازي لك.

عدت تيري المال وأعطته للضابط الذي قال لها:

- اجلسي هناك وانتظري قليلًا.

ترددت قليلًا قبل أن تقول:

- سأنتظر إيصال الاستلام.

رفع حاجبيه المنُعدين تأفُّقًا، لكنه كتب لها إيصالًا ثم أشار إلى قاعة

الانتظار.

- سأرسل أحدهم ليُحضره.

جلست تيري لقرابة نصف ساعة أخرى قبل أن ترى شخصًا قدامًا برفقة ضابط، ولم تُفكر ما قد يظنونه بها، فقط اندفعت نحو آندرو تُعانقه.

قال بصوت خفيض:

- صغيرتي.. ليتك تركتني أبيت الليلة، فالكفالة باهظة.

- لن يحدث هذا.

قَبِلْتُ خده، وأمسكت بكفه وسارا نحو البوابة. القرب منه كان حيويًا بالنسبة لها.

لنخرج من هذا المكان.

- ما كان عليهم أن يُلقوا القبض عليك.

- كنا نعرف أن هذا سيحدث على الأغلب.

خرجنا من قسم الشرطة، وتنشقت تيري الهواء النقي بعمق وكأنها هي من قضت الساعتين داخل زنزانة.
قال آندرو:

- ربما تتساءلين عما حدث ودفعتني لما فعلت. حاولتُ الاتصال بك. استفزتني الأوامر بضرورة مشاهدة الخطاب. لقد كانوا يريدون إجبارنا على التظاهر بأن ما يقوله ذو قيمة. كان علينا فعل شيء.
- أعرف.

تيري كانت ببساطة تعرف.. تفهم.

- فكرت فيك وفي المُختبر.. وفي شجاعَتِكَ. لن يكون ما يحدث معك هو النهاية.

كان يفكر فيها، وكانت تعرف أن ما تمر به لن ينتهي على خير. أردف آندرو:

- لتعودي معي إلى بيتي. لقد انتهى الأمر.

وكانا يعرفان أن الأمر لن ينتهي عند هذا الحد، وراحت العواقب تتعلق بهما كالظلال. ظلا صامتين في سيارة تيري المُستعملة المُتهالكة طيلة الطريق إلى شقة آندرو وديف.

كان ديف وصديقه قد قررا المبيت في الحبس، وظنت تيري أن هذا قد لا يكون قرارهما، بل هما مجبران عليه لرفض أهلها دفع الكفالة. أوقفت تيري السيارة وتركت المُحرك يعمل. التفت لها آندرو ومَس خدها بكفه قائلاً:

- يا مُنقذتي.. هلا سمحتِ لي أن أقنعك بالمبيت عندي الليلة؟

ظل السؤال مُعلقًا، ثقیلاً بينهما. كانت ترى احتياجه لرفقتها في عينيه،

وكذلك كانت تحتاجه.

- ظننتك لن تطلب مني المبيت.

أغلقت المُحرك وتبعته إلى شقته، إلى حجرة نومه، تتعانق شفّتها
وتقول كل ما لم تُبح به الكلمات. الخطر لا يكمن في أي مكان يتماس
فيها جسداهما. قد يريد العالم التفريق بينهما، وإفساد عالمهما. التهديد
الحقيقي في ما ستفعله الكُلية لتأديب أندرو، وفي ما يخطط له بريتر
وفي قوة المُختبر لو قررت تيري تحديه.

لذا، فقد حاربا العالم الخارجي بالطريقة الوحيدة التي يقدران عليها:
بالتظاهر بأنهما غير موجودين.

قطعت تيري قطعة من فطيرة هوسبير وأوصلتها لآخر زبائن لها في تلك الليلة، ثم عادت إلى الكاونتر وتبادلت نظرة مع لوري النادلة الأخرى في وردية النهار، والتي تصنع كل الفطائر.

- انتهت ورديتي.

قالت المرأة الأكبر سنًا:

- بالطبع يا عزيزتي، اجلسي مع أصدقائك واستمتعي.

حملت تيري مقعدًا ووضعتَه عند الطاولة حيث يجلس كين وجلوريا وآليس وأنדרو في انتظار انتهاء عملها. كانت قد وضعت المشروبات والمأكولات أمامهم من قبل، فقد كانت تعلم بقدمهم. دون تمهيد سألتها آليس:

- لمَ طلبتِ مقابلتنا؟ هل وانتكِ فكرة؟

مازحها أندرو:

- أختي الطفلة! تعلمين أن الأفكار نواتيها دومًا.

قالت تيري مُخفضةً صوتها:

- لدي فكرة، إن وافقتم عليها. كنت أتساءل.. لو افترضنا أنني وجدت

طريقة للولوج إلى الجناح الذي تعيش فيه كالي.

قالت آليس:

- أعتقد أن في وسعي المساعدة. لاحظت الأرقام التي يُدخلها بريتر

على لوحة المفاتيح. تسعة، خمسة، ستة، ثلاثة، تسعة، ستة. نفس

الأرقام في كل مرة. ربما تعمل على كل الأقفال الرقمية في المُختبر. جربها

لربما أدخلتك إلى حيث تريدین.

بعد صمت قصير، قالت تيري:

- آليس.. لن تكفي عن مفاجأتي.. اكتبي لي الرقم كي أحفظه.

ضحكت آليس في حرج وقالت:

- بالتأكيد. كل ما هنالك أنني ألاحظ الأشياء.

سألت جلوريا:

- ما الخطوة التالية في خطتك؟

- بعد أن حللنا أمر الأبواب الموصدة، أحتاج أن يصنع أحدكم تمويهًا حتى أستطيع البحث عن الفتاة والحديث إليها. إن لم أجد لها في موضعها، يمكنني استكمال التسلل في الجناح والبحث عن مكتب بريز وإلقاء نظرة على محتوياته. تعلمون أننا لن نستطيع...

سألها أندرو:

- هل أنت واثقة من ذلك؟

شعرت تيري كأنها عصبٌ مكشوف، وقالت في توتر:

- أولاً، ثمة طفلة مُحترجة تشارك في تجارب ما ولا نعلم إن كانت تلك التجارب آمنة.

أكملت جلوريا كلام تيري:

- وثانيًا، الأمر لن يكون بتلك السهولة. ربما تكون عواقب فعلتنا طردنا من كلياتنا.. هذا لو تركونا نرحل من الأساس.

سأل أندرو غاضبًا:

- ماذا تعني بـ"لو تركونا نرحل"؟

أمسكت تيري بكفه تذكره أن عليه أن يُبقي صوته منخفضًا، فانصاع وأردف:

- لديكم حقوق.. أنتم أمريكيون!

ابتسمت جلوريا في قلق وقالت:

- لو أن الحكومة متورطة، فلا حقوق لنا.

ابتلع أندرو ما قالت وغمغم:

- لا يعجبني ما يجري هنا.

قالت جلوريا:

- مرحبًا بك في نادي المنبوذين، فأنا رئيسة مجلس إدارته!

قاطعتها أليس:

- سأفعل ما تريد يا تيري، فأنا أتوق لتفكيك هذا المصعد المُستفز!

مكتبة
t.me/t_pdf

ربما أستطيع أن أقنعهم بذلك.

قال آندرو مُجددًا:

- أليس لا تدرس في الجامعة.

تنحنت جلوريا ثم قالت:

- لا يمكننا الارتكان إلى هذه النقطة. هؤلاء قوم ذوو نفوذ.

اعتدلت أليس في جلستها وهتفت:

- لا تُجادلي وكأن ليس لي خيار. لن أهجركم، ويمكن أن أقوم بالتمويه

الذي تحتاجه تيري.

أخيرا تكلم كين:

- كلا.. أنت لديك ما تقلقين بشأنه. أنا سأقوم بالتمويه.

تساءلت أليس في شك:

- أنت؟

ضحك كين وقال:

- أنا بارعٌ في التشيت! كما أن العقار لا يؤثر بي. كل ما يفعله هو أنه

يصيبني بالنعاس. مُرافقِي في التجارب شاب مُستجد. أنا حتى لا أعرف

ما دوري في هذه التجارب، ولا ما سبب وجودي هناك سوى أن عليّ

التواجد.

تهتدت أليس، وقالت تيري شاعرة أن خيوط اجتماعهم تفلت من

بين يديها:

- حسنًا، لو أنك ستقوم بالتمويه فلا تنم! يمكننا ضبط التوقيت.

سأسال كالي عن «بابا»، وعمما يفعلونه معها. لكن.. ماذا لو وجدت

مكتب بريزر ولم أجد الفتاة؟ ليتني أعرف نوعية المعلومات التي يمكنها

أن تُفيدنا.

استندت جلوريا بكوعِها إلى الطاولة وقالت:

- ربما أستطيع المساعدة في هذا الجزء. لو استطعتم أن تُدخلوني هذا

المكتب، سأبحث عن المستندات التي تصف بروتوكول ونظام التجارب،

وسجلات الحالات.

ثم عقدت حاجبيها وأضافت:

- قبل كل هذا، علينا أن نجد مفتاح المكتب. برينر ليس أحمق، وكل العلماء يحتفظون بسجلاتهم السرية في خزائن أو أدراج مُغلقة.

قالت آليس:

- يمكنني فتح الأقفال.

كلامٌ فراغ، لكن...

قالت تيري:

- أعتقد أنه يستخف بنا، ومع كل الحماية التي يوفرها المختبر في هوكينز، لن يقلق بصدد حماية مستنداته أو إخفائها خلف أقفال. لفت جلوريا أصبعيها السبابة والوسطى حول بعضهما، علامة الأمل، وقالت:

- أعتقد أنني أستطيع أخذ عينة من العقار الذي يعطوننا إياه. سنحلله ونعرف مكوناته، فربما نحتاجه كدليل إدانة.

وافقتها تيري. رفعت جلوريا حاجبيها وأردفت:

- لدينا الآن خطة واهية محفوفة بالمخاطر!

- أوافقك!

قالتها تيري وهي تفكر أن خطة واهية أفضل من لا شيء. وكزت آليس ذراع أندرو قائلة:

- قرأت عن احتجاجك، يا أخي الأكبر. لا أصدق أنه أُعْتُقِلت! كل شيء

على ما يرام الآن؟

صدق اهتمامها أثلج قلب تيري وأسعده، وكانت جلستها معهم هي الخمس دقائق الوحيدة خلال يومها التي قضتها دون القلق عليه. قال أندرو:

- أنا بخير.

أضافت تيري:

- سيقابل العميد مع محاميه يوم الجمعة. نأمل أن ينجو مما حدث.

نظر إليها أندرو شاكرًا، ورفعت جلوريا أصبعيها المنعقدتين في أملٍ

مرة أخرى. أردفت تيري:

- أجل، نحتاج إلى كل أملٍ الآن.

كان كين هو آخر من نزل من الحافلة الصغيرة، وركض كي يلحق بالآخرين ليدخلوا إلى المُختبر سويًا.

العملية كلها صارت روتينية مألوفة لديه كخط يده؛ الخروج من المدينة، ثم حقول الذُّرة، ثم الغابة، ثم سور الأسلاك الشائكة والمطبات.. مطب، اثنان، ثلاثة! ثم يذفون إلى نقاط التفتيش ثم يدخلون المُختبر ليتناولوا عقار هلوسة. كان قد رأى ما سيحدث في لقطات سريعة أمام عينيه قبل أن ينتقلوا حتى إلى المُختبر في أول مرة. لا يصدق رفاقه أنه يملك قدرات روحانية، لكن لا يهمه ما يصدق الآخرون.

الحقيقة أنه لم يرَ الوحوش، لكنه شعر بها تُقحم نفسها في صدره. زارته أحلام مُختلطة بشذرات من الواقع، بلمحاتٍ من النوايا. كل هذا كان يأتيه دون أن يتوقع، وكان هذا غريبًا، لكنه اعتاد ألا يفاجأ إن وافته اللمحات أو لم تواته.

لم يكن يكذب حين أخبر رفاقه أن علاقتهم ستكون مهمة، وكان هذا هو أغلب ما يعرفه بشأنهم.

لذا، فمن المؤكد أنه يتفهَّم تكذيب الناس لكونه يملك قدرات روحانية. ربما لا يملك تلك القدرات فعلاً، ربما يوجد وصفٌ وتفسيرٌ آخر لحالته.

مراسم إدخالهم إلى المُختبر صارت كذلك مألوفة لديه، امرأتان تمسحان بطاقات هويتهم الإلكترونية، ودائمًا ما يأتي دور كين في النهاية. السائق يلعب دور المُرافِق لا أكثر؛ يوصلهم حتى المصعد حيث يقابله بريتر أو أحد أفراد الطاقم. السائق نفسه كان أحد مُساعدي بريتر، وهو لا يفارقه هو وتيري أثناء تجاربهما. وكان اليوم هو يوم تنفيذ الخطة.

بمجرد أن دخل كين إلى الحجرة المخصصة له، بدأ في الصراخ والشكوى حول الحوائط التي تنزف. التفت إليه المُساعد في قلق، فهتف كين:

- أنت تنزف! الحوائط تقطر دمًا!

قال الرجل:

- اهدأ!

هدر صوت كين:

- اضغط زر جرس الطوارئ! عليك أن تُخبر الجميع! غُزاة! ألا ترى

الدماء؟!

وقف الرجل ينظر حوله بحثًا عن غوث، لكنهما كانا وحدهما. أخرج كين كيسًا من حلوى «زوت- زي»، وكان قد اشترى ثلاثة أكياس واحتفظ بها في درج في مسكنه حتى تحين لحظة الصفر. اللحظة التي تحتاج فيها تيري لتمويه.

راح يملأ قبضته من الحلوى خلسة ويأكل شاعرًا بالطعم الحمضي الفوّار للّب قطع السكاكر، ثم يرفع رأسه لأعلى ويفتح فمه لسمع المُساعد صوت الفوران ويرى الرغوة المنفجرة من بين شفّتيه. كين يتظاهر بالإصابة بنوبة صرع.

كان المُساعد المُستجد مُنعدم الخبرة، فنظر إلى كين في ذعر وصاح:

- لقد أصيب بالسُّعار!

واندفع خارجًا من الباب. ظل كين يصرخ محاولًا ألا يضحك:

- الدماء! الدماء!

ثم ركض خارجًا إلى الرُدْهة وأطلق جهاز إنذار الحريق، وعاد سريعًا إلى حجّرتِه وواصل ابتلاعه للحلوى ذات اللّب الفوّار والتشُنْج على الأرض. انطلق الإنذار، حتى عاد المُساعد أخيرًا مع طبيبة طويلة أَلقت نظرة على كين وقالت:

- علينا إحضار دكتور بريتر.

تجمد المُساعد مكانه، فوكزته مُردفة:

- استدع بريتر! واطلب منه أن يُحضِر عقارًا مُهدئًا.

قلب كين وجهه تجاه الأرض كي يستطيع الضحك.

اذهبي يا تيري، اذهبي! إنك تقدرين على فعلها..

اكتشفت تيري أن الخطط المشتركة تجعل كل شيء يبدو مُختلفًا. قلَّ الجِمل من فوق كتفيها وازداد في آن. الجميع يؤمن أن بريتر يعبث بشيء ليس عليه العبث به، أكد هذا مقابلتها بكالي ووحوش آليس وصعقها بالكهرباء. كل ما يحدث دفع تيري للبحث عن أصل كل هذا.

لن يوافق أحد على تجارب تعتمد على عقاقير هلوسة، هذا وحده كفيل بهدم كل شيء على رؤوسهم. لكن تيري كانت تعرف أنهم بحاجة إلى دليل لا يُدحض، فشهادتهم لا تكفي، بالإضافة إلى أنهم لا يملكون أي فكرة عما يحدث في المُختبر.

وعدها كين أنها ستعرف حين يبدأ في التمويه، وقد اتفقا أن يبدأ الخطة بعد حقنهم بالعقار مباشرة حتى يكون لديها فرصة للتركيز، قبل أن ينحدر وعيها في النهاية إلى الآثار الجانبية للعقار. صدق كين وعده، وانطلق جهاز إنذار الحريق. قرع مُساعدُ باب الحجره حيث تجلس وتساءل بريتر:

- هل ثمة حالة طوارئ؟ حريق؟

كان بريتر سعيدًا بتقرير تيري عن زراعتها لجهاز التنصت، وقد كان يعلم بنجاحها من قبل التقرير.

بارك الله تفكير جلوريا الذي السريع.

دخل المُساعد الشاب وقال مُرتبًا:

- آه.. لا أعتقد. لكن إحدى الحالات في وضع طارئ. أرسلتني دكتورة باركس كي أستدعيك.. آه.. هي تطلب منك أن تجلب بعض العقاقير المُهدئة.

انحنى بريتر على تيري الجالسة على فراشها وقال:

- أريدك أن تمكثي مكانك وتسترخي. صوت إنذار الحريق مجرد وهم في عقلك.

رددت خلفه:

- مجرد وهم في عقلي.. موسيقى جميلة.

- هيا بنا.

أشار بريئر للمُساعد كي يتبعه. تابعت تيري تحركهما من خلف جفنيها نصف المُغمضين، ومجرد أن خرجا من الباب، قامت من جلستها. كانت الردهة مُكتظة بالعاملين المشغولين بالتساؤل عما حدث، وإن كان ثمة ضرورة للإخلاء أم لا. مر أحد أفراد الأمن بتيري وقال للجمع أن لا ضرورة للهلع، فقد انطلق الإنذار بفعل فاعل ولا يوجد أي أمرٍ طارئ، وأنهم سيغلقون جهاز الإنذار قريبًا.

أطرقت رأسها وهرعت نحو الرواق، لمحت آليس تُطل من حجرتها، باسمة، وجهاز ضخم يبدو مثل جهاز التنفس الصناعي جوارها. كان الطريق إلى حجرة كالي محفورًا في عقلها، لكنها ضلت حتى كادت تياس أن تجد الممر الذي تُريد. في النهاية وجدته وهرعت إليه تُدخل الأرقام التي أعطتها لها آليس على اللوحة الإلكترونية سريعًا.

انطلقت صفارة قصيرة من الجهاز، ثم انفتح الباب. اندفعت تيري خلاله وراحت تبحث عن الحجرة ذات السيرير المُزدوج، والطاولة الصغيرة المتناثر فوقها أقلام التلوين. لكنها لم تجد كالي فيها ولا في أي مكانٍ آخر. على الأقل ثمة احتمال أنها لا تُقيم هنا..

لكن تيري لم تستطع إبعاد الفكرة المروعة عن عقلها، فكرة أنهم يقيمون تجاربهم على طفلة.

كانت الخطوة التالية في خطتها هي البحث عن مكتب بريئر. لو أن كالي تناديه "بابا" فمكتبه قريب من حجرتها، أليس كذلك؟ إما أنها ابنته، وإما حالة مهمة لديه بشكلٍ أو بآخر.

تراجعت تيري ودخلت الرواق الثاني، فقابلت فورًا بابًا آخر ذا أرقام سرية، نجحت الأرقام لديها في فتحه. شجعها ما رآته خلف الباب، فقد كان الرواق يحوي مكاتب لا حجرات فحوص. وكان معلقًا على كل باب لافتة صغيرة تحمل اسم صاحب المكتب.

راحت تنظر إلى اللافتات الواحدة تلو الأخرى وهي تدعو الله أن تكف الحروف عن التراقص أمام عينيها، لكن عقار الهلوسة كان له رأي آخر.

دكتور: مارتِن بريتر.

مررت أصابعها على الأحرف كي تتأكد مما تراه.

حمدًا لله!

أدارت المقبض فانفتح الباب. توقف صوت جرس الإنذار فجأة، لكنها كانت تعلم أن كين قادر على التمويه لفترة أطول. مع ذلك، فالوقت أمامها ما زال محدودًا، وعليها ألا تترك مجالاً كي يعرف بريتر بخططهم.. ليس بعد..

جربت فتح الدرج الأوسط من مكتبه، لكنه كان موصدًا.

جلوريا كانت مُحققة..

لكن، كم يحوي هذا الدرج من ملفات؟ كان هناك خزانة ملفات خشبية طويلة جوار مكتبه. تلت صلاة سريعة في سرها وجذبت الدرج الثاني منها.

انفتح فورًا، وراحت تُقلب بين الملفات المُعَنَوَنة: «إم كي ألترا» و«المشروع النيلي». بالإضافة إلى ملفات تحمل أختام «سري للغاية». لم تكن عناوين الملفات تعني شيئًا بالنسبة لتيري، فبدأت في البحث عما طلبته جلوريا، فلم تجد شيئًا.

انتقلت إلى الدرج التالي، وكانت الملفات تحمل عناوين: «100»، «200»، «300» حتى «010». وترافق الأرقام عبارة «المشروع النيلي».

داخل الملفات رأت المزيد من أختام «سري للغاية»، لكن المدون في الصفحات هو ما أنبأها بالمزيد عن ماهية تلك الملفات. كانت أطوال وأوزان الحالات قليلة، ثم رأت أعمار الحالات الموصوفة في الملفات؛ أربعة أعوام، ستة أعوام، ثمانيه أعوام!

لو أن لهذا معنى، فكالي ليست الطفلة الوحيدة المتورطة. لكن فيم تورطت تحديدًا؟! الملاحظات عن كل حالة تُركز على تطور نتائجها، ولم

يكن ثمة تطور ملحوظ إلا في حالة رقم 800، والتي كُتب عنها ملاحظات مُشجعة.. حذرة..

ليس لديك وقت لقراءة كل هذا..
أغلقت الدُرج..

تعالَت دقات قلبها وهي تغادر المكتب، وتهرع إلى المُنعطف عند نهاية الرواق، مُتعبقة خطواتها. غامرت بالبحث عن كالي مُجددًا، ووجدتها جالسة إلى طاولتها ترسم، مُرتدية زي المستشفيات.

قبل أن تقرر تيري الباب، قبضت كف على ذراعها، فلم ترها كالي قبل أن يسحبها رجل إلى الردهة. سألتها:

- ماذا تفعلين هنا؟! هذا قطاع محظور!

بحثت في عقلها عن حجة، ووجدت أن كين قد منحها التغطية المثالية على ما تفعل. أجابته:

- سمعت جرس الإنذار وكنت أحاول اتباع إجراءات الإخلاء.

ضغط على ذراعها أكثر وهو يسأل:

- لكن كيف وصلتِ هنا؟!

- لا أذكر، تبعت أحد العاملين على ما أظن.

لم تستطع تيري أن تعرف إن كانت إجابتها أقنعتة.

كان على آليس أن تُسيطر على رغبتها في التصفيق والضحك حين انطلق صوت جرس الإنذار. وكان قبلها بلحظات قد دخل عليها مُساعدٌ صغير السن مذعور، وطلب من دكتورة باركس أن تأتي معه لتفحص إحدى الحالات الأخرى.
كين..

لقد نجح في خطته! كانت آليس قد أرهقت عقلها أثناء الطريق في التفكير في خطط بديلة حال فشله. كانت الخطط تطفو أمام عينيها مكتوبة بخط اليد من تأثير العقار.

لم يصعقوها بالكهرباء اليوم، وهذا يعني أنها لن ترى الوحوش كذلك. لقد مر أسبوعان منذ آخر جلسة.. ربما رحلت الوحوش.

أغلقت عينيها واستسلمت لصوت الجرس، ويا له من صوت مُصر، يصعب تجاهله، عالٍ ووقح، مناسب للوظيفة التي اختاروه من أجلها. لاحظت فور انقطاع الصوت، لكنها لم تُدرك كم مر من الوقت. عادت دكتورة باركس وقد علا وجهها التشتت. ماذا لو احتاجت تيري المزيد من الوقت؟

قالت آليس وهي بعد تفكر في الخطط البديلة:

- أريد مقابلة دكتور بريّن. لدي ما أقوله له.

عبست دكتورة باركس وقالت:

- لا أظنها فكرة صائبة.

ثم نظرت من فوق كتفها إلى المُساعد الواقف عند الباب، فدخل.

قالت له آليس:

- اذهب وأحضر دكتور بريّن، لدي ما أفعله وأحتاج إلى الكهرباء.

نَسيت أن تنظر إلى الساعة، لكن عليها أن توفر المزيد من الوقت

لتيري بأي شكل. صاحت فيه:

- أحضر بريّن.

قالت دكتورة باركس:

- اذهب.

وغادر المُساعد. نظرت آليس نحو الآلة التي تُجسّد أحلك كوابيسها. لطالما كانت تظن أن الآلات خيِّرة، لكنها تعلمت هنا أمورًا ما كان لها أن تعرفها؛ كل ما يصنعه الإنسان يجد له استخدامًا مؤذيًا.

قالت آليس لدكتورة باركس:

- صلي الجهاز بالكهرباء.

زمتْ الدكتورة شفيتها وهزت رأسها مُغمِمة لنفسها:

- من غير الطبيعي أن تطلب الحالة الصعق بالكهرباء.

دخل دكتور بريّنر، يعلو وجهه الضيق.

-ماذا؟!

- اصعقني بالكهرباء وسأصف لك الوحوش.. أعتقد أنها.. حقيقية.

حل الاهتمام محل الضيق على ملامح بريّنر. ثبتتْ دكتورة باركس

الأقطاب عند صدغي آليس وقد أطلت الشفقة من عينيها.

لا تُشفقي عليّ، فأنا أخدعكم اليوم!

تحملتْ آليس التيار الكهربائي الذي سرى في جسدها، وبدأت في وصف

ما ترى؛ لمحات من غابة خلف الضباب كانت قد سارت خلالها هي

وأبناء عمها من قبل، قطيع من الكلاب نصف البرية، نصف الأليفة

التي تعيش حول المرآب الذي تعمل فيه آليس. لم يكن ثمة وحوش في

البداية، لكن الكلاب لم تظل كما هي، بل تحولت إلى مخلوقات تقف

على أربع، تنبح، تعوي كالوحوش، تحيطها هالات من ألوان الطيف.

- كل هذا رائع.

قالها دكتور بريّنر، ولم يكن يؤمن أن الوحوش حقيقية. ربما كان مُحققًا،

فلا تملك آليس تأكيدًا. أردف:

- عليّ أن أعود إلى حالتي. سأنتظر تقريرًا شاملًا لأي شيء هام يحدث

اليوم.

أرهقت آليس محاولتها المستمرة للتركيز والاحتفاظ بالوعي. بمجرد أن

أزالت دكتورة باركس الأقطاب، غفت آليس، أو هكذا تمّنت، ورأت تيري

تُصعق بالكهرباء بدلًا منها، وشخصًا يشبه بريّنر جوارها وهي تصرخ

وتصرخ وتصرخ.

نوت جلوريا التسلل من حُجرتها للبحث عن المكان الذي يحفظون فيه المخزون الرئيسي من العقاقير المُستخدمة في التجارب. لكن حين أدارت مقبض الباب، وجدته مُوصدا، حتى وجرس الإنذار لا يكُف عن العواء.

لا يوجد حريق حقيقي..

قالتها لنفسها، وعدت الدقائق التي سيستغرقونها لتذكُرها والقدوم إليها.
عشر دقائق..

عشر دقائق مرت عليها وهي جالسة في حجرة الفحص، منزعجة قلقة. وحين وصل دكتور جرين الأحمق، توقعت أن يصفُوهم جميعا -هي ورفاقها- في صفٍ واحد، ثم.. ولم تعرف ماذا قد يفعلون بهم بعدها.

أخبرها الطبيب أن الإنذار كاذب، ولم تعبأ بسؤاله عن الباب الموصد. على العموم، لم يضع يومها سُدى؛ فقد استطاعت أن تحتفظ بجرعتها من عقار الهلوسة في جيبها، وزيفت الانتشاء الذين يتوقعونه منها بعد تناوله.

كانت مرتابة قلقة، حتى أن دكتور جرين اعتبر ارتيابها هذا جزءًا من تأثير العقار، وبدأ في إخضاعها لجلسة استجواب، فقد كان يظن حقًا أنه يُحرز تقدمًا في تأكيد فعالية الاستجواب تحت تأثير العقاقير.
لذا جارته لتؤكد مهاراتها..

بالطبع لم ينطق أحدهم في طريق العودة، وانتظروا حتى نزلوا من الحافلة وذهب كل إلى سيارته، ورحل السائق، ثم التقوا مرة أخرى تحت الضوء الشحيح لمصباح ساحة الانتظار. قالت تيري مُبقية على صوتها مُنخفضًا:

- هلا حَيِّينا رجل الساعة؟! -

انحنى كين، ثانيًا ذراعه أمام خصره، بينما صَفَّق الجميع بلا حماسٍ حقيقي للمرح. كانت جلوريا تُفكر في أنهم يحتاجون أولاً لمعرفة إن كان ما حصلت عليه تيري يستحق المغامرة.

تأرجح آليس واقفةً على أطراف أصابعها ثم على كعبيها مرارًا وهي تقول في عصبية:

- حسنًا؟

أشفقت عليها جلوريا فسألت:

- هل وجدتِ شيئًا؟

- أجل، لكنني لا أعرف معناه بعد.

سألت آليس:

- وماذا وجدتِ؟

- أعتقد أنهم يُجرون تجارب على الأطفال عمومًا، وليس فقط على

كالي. لكنني لا أعرف طبيعة تلك التجارب.

أيًا كان ما توقعوه، لم يكن أبدًا ما أخبرتهم به تيري. وضعت جلوريا كفيها على معدتها المضطربة، وتذكرت كيف كانت حبيسة حجرة الفحص. لا يمكن ائتمان أولئك القوم على الأطفال. سألت:

- ماذا وجدتِ يا تيري؟

- ملفات، كما توقعتِ، تحوي بيانات أطفال مشاركين في تجارب باسم

«المشروع النيلي». لم يكن ثمة وقت كي أبحث عن ملحوظات تفصيلية في الملفات. قرأت فقط بعض الملحوظات بخصوص ما حققتة التجارب.

ثم أعلنت تيري في كآبة:

- رأيت كالي مُجددًا، لكنني لم أتمكن من محادثتها. كانت تبدو بخير،

لكن.. كان جليًا أن ثمة شيئًا يحدث.

قالت آليس وصوتها مُفعم بالصدق:

- سنعرف ماذا يجري.

سألت تيري جلوريا:

- وهل وصلتِ لشيء؟

ركزت جلوريا نظرها على آليس وسألتها:

- هل يمكن أن تُعلميني كيفية فتح الأقفال؟

أومات آليس عاقدة حاجبيها وقالت:

- أجل، أتريدن فتح قفل من النوعية المُستخدمة في المُختبر؟

شعرت جلوريا بالارتياح نوعًا، وقالت:

- أجل، لقد أغلقوا عليّ حجرة الفحص أثناء انطلاق جرس الإنذار.

بالطبع لم أستطع البحث عن هدي، لكنني خبأت جرعة العقار في جيبِي.

سأحاول مرة أخرى الأسبوع القادم.

تساءلت آليس:

- هل سنعود إذًا؟

- لا نملك الخيار. لم يتغير شيء.

قالت تيري في تصميم:

- لكننا على الأقل عرفنا أين نبحث عن أدلة. الأرقام التي أعطتنيها

آليس نجحت في فتح البوابات، ولن أياس.

هتفت جلوريا:

- لن يياس أحدنا.

صاح كين:

- اللعنة!

كانت بقعتان من الضوء تقتربان منهم؛ أضواء كشافي حافلة صغيرة

في الظلام. لم تستطع جلوريا تبين إن كانت حافلة هوكينز قد عادت.

قالت تيري:

- علينا الانصراف، خذوا حذرکم.

ترددت آليس وهي تقول لتيري:

- هل أنتِ بخير؟

- بخير، لا تقلقي عليّ.

وتساءلت جلوريا عن السبب الذي دفع آليس لهذا السؤال.

دخل دكتور بريئر حجرة المراقبة في الثامنة والنصف مساءً. صفوف محطات الاستماع مُكتظة بالعاملين المُنشغلين. قام العامل الذي اتصل بدكتور بريئر، وأشار إليه بالجلوس مكانه ووضع السماعات على أذني بريئر قائلاً:

- تتحدثان منذ خمس دقائق.

سمع بريئر صوتي امرأتين لا يعرفهما، تسألان أسئلة لا يهتم بها، لكنه انتظر. كانت كالي تمر بنوبة استياء عارمة أثناء زيارته لها بعد رحيل الحالات. يومه كان مُربكاً إذ راحوا يرسلونه هنا وهناك، ولم يعرف بعد سبب كل هذا الارتباك، لكن قلبه يُحدثه أن شيئاً لم يكن على ما يُرام. حالته الخاصة، تيري آيفز، وُجِدت تجول في الأرجاء بعيداً عن المكان الذي تركها فيه. قالت أنها تبعت أحد العاملين إلى جناح مؤمن، لكنها كانت بالتحديد بالقرب من حجرة كالي. الشاب المدعو كين مر بنوبة تشنُّج، ولم يجدوا عليه أي أعراض بعدها تؤكد إصابته بها. كان بريئر قد اعتاد على غرابة فتاة الميكانيكا الريفية، لكنها اليوم بالذات بدأت في طلب جلسة كهرباء.

الوحيدة التي لم تفعل ما يريب هي تلك الفتاة دارسة الأحياء، لكن نتائج جلستها والمعلومات التي أفصحت بها خلالها بسهولة أقلقت بريئر.

كان قد أمر بمراقبة خطوط الهاتف في مسكن تيري آيفز وشقة حبيبها. ثمة شيء لا يُريحه في البراءة التي كانت تتعامل بها بعد عودتها إلى حجرة الكشف. والآن، يسمع مكاملة بينها وبين أختها المُقيمة في لارابي. - تيري، أنت بالكاد تتحدثين إلي وأنتِ المُتصلة. ماذا بكِ؟ أتشعرين

بالقلق حيال جلسة أندرو في الجامعة؟ متى ستكون؟
- غداً.

- أتمنى أن يمر كل شيء على خير، ليته فُكّر قبل أن يفعل.
صوت قرقعة في الخط.

- أندرو فكر جيداً، وكان عليه أن يتخذ موقفاً.

- لا أعرف لمَ لا يُبقي رأسه مُنخفضًا ويمتن لفرصته في التعليم. هو لن يوقف الحرب عن طريق ارتداء قناع واقتحام المطعم.
ظهر ضيق تيري في صوتها وهي تقول:
- ربما لن يستطيع إيقاف الحرب، لكن ما فعله أفضل من الاستسلام والسمت.

تنهدت أختها وقالت:

- هنا نختلف.

سمع برينر كل ما احتاج إلى سماعه، فخلع السماعات ووضعها مكانها وهو يقوم.

- أشكرك. أكمل الاستماع إلى المكالمة. ما اسم حبيبها؟

- أندرو ريتش.

نادى واحدًا آخر من العاملين:

- سيدي؟

كانت الحجرة المُرفقة بمركز مراقبة خطوط الهاتف تحوي تسجيلات كاميرات المراقبة، والتي تُبين ما يحدث في حجرة ثمانية على مدار اليوم، وتبين زوارها وساعة الزيارة. تفريغ التسجيلات مُهلك للوقت حتى مع قيام ثلاثة رجال بهذه المهمة.

سار برينر حتى وصل شاشة تعرض صورة ثابتة، رأى فيها تيري تجلس مع ثمانية حول الطاولة الصغيرة، وكانت ترتدي زي المُستشفى. سأل:

- متى كان ذلك؟

- منذ أسبوعين.

كان قد استخف بإمكاناتها، وعليه أن يُعيدها لسيطرته. السبيل الأمثل لذلك هو تشتيتها، وتوجيه اهتماماتها إلى مشاكل أكبر. هو يعرف بمن تهتم، فقد باحت له بكل شيء. الحل واضح.

- أحسنتم يا رجال.

قالها وعاد إلى مكتبه بالطابق العلوي، وبمجرد وصوله، اتصل برقم في العاصمة، بالرجل الذي في مقدوره فعل أي شيء، وكان دكتور برينر يحب تلك النوعية من الرجال.

- سأطلب منك معروفًا بخصوص شاب يُدعى أندرو ريتش.

جلست تيري مع ديف على الأريكة في انتظار أندرو. كانت قد جاءت فور انتهاء محاضرتها، قلقة بخصوص الحُكم عليه.

قال ديف للمرة الثالثة:

- سيكون بخير. عقابهم لي لم يكن أكثر من قرصة أذن.

والدا ديف أرسلوا مُحامي العائلة ليتواصل مع الجامعة بالنيابة عن الشابين، وقد نجح في إزاحة التهم الجنائية عن سجلهما في الجامعة، وقال المحامي «علينا تشجيع الهيئات الطلابية التي تشارك في أعمال العصيان المدني في هذا العصر».

ذهب ظن تيري أيضًا إلى أن والدي ديف قد كتبوا شيئًا مبالغ محترم كتبرع للكلية. لن تسعد عائلة أندرو بوقوعه في مشاكل أخرى لاحقًا، ولم يكونوا يشجعون أعمال العصيان المدني، لكنهم كانوا يعشقون أندرو ويغفرون له أخطاءه. بالطبع لم تكن تملك عائلة أندرو المال الذي ينعم به ديف منذ ولادته، لكنه كان مألًا كافيًا لمُسانده ابنهم. استطاع زميلهم الثالث النجاة من هذا المأزق بشكلٍ ما.

لذا، لم تعرف تيري سر توترها هذا، فالمنطق يقول أن أندرو سيكون بخير. لكن لم لا تصدق معدتها المضطربة هذا؟ لعله نقاشها مع بيكي ليلة أمس.

فتح أندرو الباب ودخل، وتوجه إلى المطبخ لتناول علبة بيرة، ثم عاد وأسند رأسه إلى فخذ تيري، ونظر إليها.

- مرحبًا.. يا له من منظر جميل.

ابتسمت بالكاد وقالت:

- شكرًا! أنت تقتلنا ببرودك، ماذا حدث؟!

غمز بعينه، ثم اعتدل جالسًا، وفتح علبة البيرة ورشف منها، ثم قال:

- طُردت!

شعرت تيري بالتنميل يسري في أطرافها، وسألت:

- لحظة، خرجت؟!

تساءل ديف في صدمة:

- طُردت؟ تعني طردوك؟!

راحت كفاً تيري ترتعشان، ولم تقدر على السيطرة عليهما:

- قل لي أنك تمزح!

ضحك أندرو:

- ليتني أمزح! كنت أعلم بالعواقب، وأقبلها.

- القرعة التي سيختارون عن طريقها من سيرسلون إلى الجيش

الأسبوع القادم!

علمت تيري أنها لن تُساعده في شيء بقولها، لكن الكلمات خرجت

منها قبل أن توقفها. رأت أمام عينيها أندرو في زي الجيش. لا يمكن أن

يحدث هذا.

قال أندرو:

- أعرف. علينا أن نأمل أن حظي السيء مؤقت. يمكنني أن أعيد قيدي

في الدراسة بعد ستة أشهر، فقط أأمل أن أنجو من التجنيد حتى وقتها.

لم تعهد تيري ديف صامتًا هكذا. ستة أشهر ستكون كدهر بالنسبة

لهم، خاصة مع موضوع التجنيد هذا. قالت لأندرو أخيراً:

- يمكنك الذهاب إلى كندا.

- كلا، عائلتي هنا، وأنا أعرف ما أفعل. كنت أعرف بالعواقب ولن

أكون خائناً لبلدي.

هز ديف رأسه مرة أخرى وقال:

- هذا ليس عدلاً يا رجل. يمكن لمحامينا أن يجري اتصالات أخرى..

هذا خطأي.

- كلا، لا داعي، أنا سأتحمل مسؤولية أفعالي.

ملأ الفخر قلب تيري، ذات الفخر الذي شعرت به في المطعم لكن

بشكل أعمق. ربما أفسده أبواه بالتدليل، ربما عاش حياة أسهل من

حياتها، لكنه تجاوز كل هذا وصار رجلاً حقيقيًا.

اندفعت تيري قائلة:

- أحبك.

ابتسم أندرو ابتسامة حقيقية وهمس:

- وأنا أيضًا أحبك يا صغيرتي. أترين؟ اليوم لم يكن كله سيئًا.

لكنه كان سيئًا، فالانتصارات الصغيرة بالكاد تصمد أمام المعارك

الكبرى. كان يومًا سيئًا بحق.

الفصل السادس

هدايا العقل

ديسمبر 9691

بلومينجتون، إنديانا.

- ١ -

راحت تيري تراقب قدوم سيارة آليس عبر نافذة إحدى كبائن المطعم. بمجرد أن ظهرت، وقفت تيري ولوّحت بذراعها مودّعة رفاقها في العمل.

- أراكم غدًا يا رفاق.

ثم هرعت لمقابلة آليس التي سألتها:

- هل تأخرتُ؟

- بالضبط في موعدك كالعادة.

وابتسمت تيري. كانت آليس قد تطوعت أن تمر على تيري بعد انتهاء عملهما، وكانتا ستتوجهان بعدها إلى شقة ديف وأندرو ليشاهدوا الاقتراع الذي سيحدد المجندين في التلفاز. لم يكن التجمع احتفالاً، كان اجتماعاً للأصدقاء فقد كانت المناسبة حساسة لا تحتفل بالمرح.

قالت آليس:

- لن تستطيع جلوريا القدوم، فأبناء كنيستها سيشاهدون الاقتراع

سويًا.

- هل طلبتِ من كين الحضور؟

- كلا، لكن إن كان يملك قدرات رُوحانية فهو يعلم النتيجة مُسبقًا ولا

يحتاج للمشاهدة، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أن لديه إعفاء من التجنيد للدراسة.

قادت آليس السيارة عبر الطريق السريع. سألت تيري:
- كيف كان العمل؟

كانتا تُدرّسان، ولم تكونا معتادتين على الدردشة في العموم، خاصة مع طبيعة آليس المُتحفظة. إن كان هذا يعني شيئاً، فهو يعني أن آليس تعتبر تيري شخصاً قريباً إلى قلبها، تشعر معها براحة. ابتسّمت تيري مرة أخرى وقالت:

- كان يوماً حافلاً، وأنت؟

حكّت آليس خدها الملوّث بآثار شحومٍ وقالت:

- جاءتنا سيارة مُعطلة أمضيت معها اليوم بأكمله، لكنها في النهاية خضعت لسحري.

لم تعتد تيري على الطريقة التي يعمل بها عقل آليس قط.

- فعلت خيراً بانصياعها!

- بالضبط!

انعطفت آليس إلى طريقٍ غير مألوف لتيري، فسألته الأخيرة:

- طريق مختصر؟ الاقتراع سيبدأ في الثامنة.

ظلت تيري قلقة طيلة اليوم، حتى شعرت كأن روحها خرجت من جسدها وراحت ترقبها من بعيد. قالت آليس:

- لو لم تُسر الأمور بشكل جيد، فلدي عائلة في كندا.. أبناء عمومة. لا أقول أن أندرو جبان أو شيء من هذا..

ضحكت تيري..

- ليته كذلك. كان الفرار إلى كندا هو اقتراحي الأول. لكنني أعرف أنه سيتقبّل أي عاقبة لقراراته.

- أعتقد هذا. يا للرجال! حتى الصالحون منهم يجعلون الحياة أكثر صعوبة!

قالتها بلهجة تقريرية يقينية، وكانت تيري تود أن تعرف أكثر عن

تجارب آليس مع الرجال، لكنهما كانتا قد وصلتتا للشارع المنشود. لتكن تلك دردشة يومٍ آخرٍ إذًا.

أوقفت آليس السيارة وخرجت الفتاتان منها. قالت آليس وهي ترتدي معطفها:

- ما زال أمام البث خمس دقائق.

هرعتا إلى الشقة صامتتين، وحين وصلتتا الباب، مدت آليس يدها إلى المقرعة في نفس الوقت الذي أدارت فيه تيري المقبض. هتفت الأولى:

- سندخل!

استقبلهما أندرو وبادر بتقبيل خد تيري، ومصافحة آليس.

- مرحبًا أختي الصغيرة. وصلتما في الموعد بالضبط.

كانت هيئته مُنمقة، فمنذ طُرد من الجامعة وهو يتقدم لوظائف مختلفة، وحضر مقابلة عمل لتوظيفه في الإدارة الليلية لنُزُلٍ محلي. لكن تيري كانت ترى الهالات حول عينيه من الأرق والقلق.

قال ديف لأندرو مشيرًا إلى الأريكة:

- رجال القوات المسلحة بالغو سن الرشد يجلسون على الأريكة. هذا قانون.

توقفت ستايسي عن العبث بالتلفاز لتُحيي تيري وآليس.

قال أندرو لديف وهو يجلس وتيري على الأريكة:

- وكذا صديقاتهم.

وجلست آليس جوار تيري. بدأ البث، فلم يقدر أحدهم على إخفاء قلقه، ووضعت تيري كفها على كف أندرو. رفعت ستايسي صوت التلفاز وقد صدح صوت المذيع "روجر مَد" على الهواء مباشرة من مكتب الخدمات الانتقائية بالعاصمة. كانت مراسم الاقتراع الذي يتم لأول مرة منذ سبع وعشرين عامًا على وشك البدء.

هتفت ستايسي:

- اسمعوني.. روجر مَد في غاية الوسامة!

قاطعها ديف:

- يا للقرف! الرجل في سن والدك!

قالت ستايسي غير مُبالية:

- لكن هذا لا يمنع أنه وسيم للغاية! ما رأيك يا تيري؟

ضحكت تيري بلا حماس وأجابت:

- لا أرى ذلك.

سألت ستايسي آليس:

- وماذا عنك؟

حاولت آليس أن يكون صوتها مُحايدًا وهي تقول:

- لكل ذوقه.

- إذًا روجر مَد ذوقي وحدي! هل يعرف أحد كيف يسير أمر هذا

الاقتراع؟

بدأ مَد في الشرح كأنها سمعها. ثمّة حوض أسماء زجاجي ضخم مليء

بكبسولات زرقاء، في كل كبسولة رقم يشير إلى تاريخ يوم محدد في العام.

سيختارون كبسولة في كل مرة، وكل من هو مولودٌ في ذلك اليوم سيتم

استدعاؤه للتجنيد.

ضغط أندرو على كف تيري وقال:

- ها هم يسحبون أول رقم.

اختار رجل كبسولة زرقاء، وناولها لرجل من الجالسين خلف المكاتب.

ولم يتحدث أحد في انتظار فتح الكبسولة والإفصاح عما بها. قرأ الرجل:

- الرابع عشر من سبتمبر.

كتب أحدهم الرقم على لوحة، وبدأ سحب كبسولة أخرى. حبست

تيري أنفاسها ولم تعرف ماذا تقول. ضغط أندرو على كفها ففعلت

مثله. سأل ديف:

- هل منكم من مواليد الرابع عشر من سبتمبر؟ لنجعله لعبة شُرب،

من يُذْكر تاريخ ميلاده يشرب.

قال أندرو:

- سأشرب أنا.. تاريخ ميلادي الرابع عشر من سبتمبر.

سحب كفه من كف تيري ببطء وأردف:

- يبدو أنني خيارهم الأول.

خيمت سحابة صمت مُرعبة. قال ديف:

- صديقي؟!

وانفجر في البكاء. قال أندرو بصوت مُجهَد:

- يا رجل، لا عليك، كل شيء سيكون على ما يرام.

صاح ديف:

- لن يكون شيء على ما يرام!

قامت تيري وأمسكت بكف أندرو هاتفة:

- ستايسي، آليس، سأخذ أندرو للخارج لدقائق. هل يمكنكما مساعدة

ديف على التماسك؟

كل شيء كان يدور من حولها، لكنها صارت خبيرة الآن. لم يكن ما تمر

به من أثر المُخدر، بل هو عاملها ينهار. أغلق أندرو الباب من خلفهما،

ووقف خارج المنزل يتصاعد البخار من فميهما. قالت تيري:

- أنا آسفة يا حبيبي.

ثم تعانقا. قال أندرو:

- أعرف.

- لسنا واثقين حتى الآن مما سيحدث.

حاولت التسرية عنه، فhez رأسه وضحك في مرارة.

- نحن واثقان. أمامي شهران تقريبًا. طُردتُ من الدراسة وسأكون من

أوائل المطلوبين.

انغلقت حنجرة تيري. كانت في حاجة للحديث معه، في حاجة للتسرية

عنه، لكن لم يكن ثمة ما يُقال.

- عليّ أن أواسيك.

ضحك أندرو مُحرِّكًا حاجبيه لأعلى وأسفل:

- سأجد لك أفكارًا لمواساتي!

ضحكت ودفعتة مُداعبةً:

- كيف يمكنك المزاح في ظروف كهذه؟

- ما نفع الوجود؟

كان كلامه منطقيًا، ولم يكن شيء منطقي سوى هذا. عادا إلى الداخل وبكى ديف مرة أخرى. أمضت تيري ليلتها معه، تدور أفكارها حول الوقت المتبقي لهما معًا.

طَفَّت آليس في الفضاء، وتساءلت إن كانت في حاجة للمس الأرض التي تحيا عليها الوحوش ويبيكي فوقها أصدقاؤها. لكنها لم تكن بحاجة لذلك، فالمرء لا يتجول في أحلامه على قدميه، خاصة تلك الأحلام التي تسببها الكهرباء وجرعات المهلوسات.

كانت تأمل في أن تخوض رؤية أخرى عن تيري، غير واثقة إن كانت حُلْمًا أم هلوسة أم حقيقة أم خليطًا من كل هذا. لو أنها استطاعت العودة مرة أخرى لعرفت حقيقة ما رأت. لكن عقلها لم يتعاون معها.

تتطاير أوراق الأشجار الجافة حولها كما تطير هي، مُحاطة بأغصان تجذبها وورود تكسو الحوائط على جانبيها. كل شيء كان ضبابيًا مشوشًا كأنها في حلم، أو رحلة هلوسة.

ثمّة باب مُتدلٍ، مشقوق إلى نصفين من المُنتصف كقلبٍ في فيلم رسوم متحركة. من خلفه تبدّت ساحة لعب من مكان مألوفٍ لديها. المدرسة؟ الكنيسة؟ وزال المنظر قبل أن تتعرف المكان وتوالت على عقلها صور غير واضحة لفترة طويلة. ماذا تعني تلك الصور؟ لم تفهم آليس منها شيئًا، ولم ترَ فيها تيري.

لكنها رأت شخصًا آخر، وجه بريتر.. رگزت عليه حتى زال التشويش، وتبينت حدود وجهه وتجاعيده، والقسوة على ملامحه. أمامها كانت فتاة نحيلة بشعر بني قصير كالصبية، ترتدي زي المستشفيات، وتعتمر خوذة ذات أسلاك. خلعت الفتاة الخوذة، ورأت على ذراعها وشمًا برقم 110.

ما هذا الذي تشهد؟ أجل، «تشهد» هي الكلمة الأنسب، فقد كانت كشاهدة على جريمة. طفلة من أطفال المشروع النيلي كما قالت تيري، لا بد أنها كذلك.

فجأة وجدت نفسها في رواقٍ طويل، ورأت الفتاة ترفع ذراعًا نحيلة،

وتطيح بأحد العاملين إلى الحائط دون لمسه. كيف هذا؟!

ثم بدأت الرؤية في التلاشي ثم الاختفاء.

فتحت آليس عينيها لتجد نفسها في حجرة الفحص بالمُختبر، والجهاز الذي يُصدر التيار الكهربائي يُبعد عنها. قالت فوراً:
- هذا المكان خبيث.

ظلت تُفكر في الفتاة البريئة مع أشر المخلوقات؛ بريئة. تُرى ماذا كان يفعل بها؟ هل ما رأته حقيقة؟

لم تلق دكتورة باركس بالأ إلى ما قالت به بشأن حُبث المكان، وبدأت في قياس نبض آليس قائلة:

- سأقيس نبضك.

كرهت تيري الذهاب إلى المُختبر هذا الأسبوع. كرهت الابتعاد عن أندرو بينما كل لحظة بينهما قد تكون الأخيرة. في الواقع لم تكن تلك هي الحقيقة، فلا يزال أمامه وقت حتى يستدعوه للكشف الطبي، ومن ثم إرساله إلى فايترام.

أعطاهها بريتر كوبًا من سائلٍ مُر، ابتلعتَه ومدت كفها لتأخذ قرص عقار الهلوسة المُعتاد. وضعتَه على لسانها مُتجاهلة الطعم الكيميائي اللاذع.

سألها بريتر وكأنه يهتم فعلاً لأمرها:

- أئمة شيء يضايقك؟

كانت تيري تُخطط لسؤاله عن الطفلة، عن الأطفال. لكن قلبها كان مُعتلاً هذا الأسبوع، وعقلها مُنشغلاً بآندرو. كانت أضعف من أن تخوض حربًا أخرى. أنهت استحلاب القرص وبصقت بقاياها في سلة مهملات أعطوها لها، ثم قالت:

- لا شيء أود الحديث عنه.

لم تكن فتاة تتعلق بالرجال. في المرحلة الثانوية كان ينتقل إعجابها من شاب لآخر بسهولة، ولم تتصور أن تتعلق بآندرو إلى هذا الحد.

ستايسي هي من عرفتهما إلى بعضهما، وظنت أنه سيروق لها. حين رآته تيري لم يُعجبها؛ فقد كان وسيماً أكثر من اللازم، ذا رموش طويلة وشعر بني مُنسدل، وسيارة نظيفة مُنمقة. كانت موقنة أنه إما سخيّف وإما ممل وإما أناني يُكثر الحديث عن نفسه.

لكن آندرو تحدث عن السياسة، والأخبار، والكتب، والموسيقى. كان يهتم لشأنها وينصت لكلامها. كان يحمل همّ العالم وهمّها. كان بارعاً في التقبيل كذلك. شعرت براحة معه منذ أول دقيقة نطق فيها.

لم يتحدث قط عن الزواج، أو عن علاقة طويلة الأجل، لكنهما كانا مُتفاهمين، لذا ظلّا معاً.

كان عليهما أن يتحدثا عن علاقتهما وماهيتها، لكن تيري لم تكن مُستعدة، ولن تُجبر أندرو على شيء. ستجلس هنا وتتعاطى عقارًا مُهلوسًا، وترتحل إلى عالم الأحلام. قطع بريّنر أفكارها كنصل سكين قائلًا:
- تمّدي.

تمّدت، ولم تكن قد نامت تقريبًا خلال الليالي السابقة التي قضتها في شقة أندرو. حين أخبرها أن سكن الطلبة ربما يلاحظ غيابها ويعترض عليه، ضحكت وقالت أن المُختبر سيُخرجها من أي ورطة تقع فيها، فقد كان يريد عقلها بأي ثمن ولن يسمح بعقابها أو فصلها من الدراسة. كانت مُتعبة حتى أن التمدد على الفراش كان أفضل اقتراح مر عليها اليوم. أغمضت عينيها وتساءلت إن كان في مقدورها النوم أثناء رحلة الهلوسة. سترى إن كان هذا مُمكنًا.

أزعجها صوت جرّ على الأرض، فتحت عينيها لترى بريّنر يجلس على الكرسي الذي جره كي يكون مُلاصقًا لفراشها. سألته:
- ماذا يحدث؟

- سنجرب شيئًا مُختلفًا.

أشار بريّنر للمساعد كي يقترب وأردف:

- خُذ عينة من دمها.

قامت تيري مُتسائلة:

- دمي؟

- هذه هي أول جلسة في الشهر، أتذكرين؟ نود أن نتحرى دومًا تركيز العقار في دمك، ونتأكد من أنك بخير وصحة ولا تعانين من أي رد فعل سيء لأي مما نجربه معًا.

جعل بريّنر الأمر يبدو منطقيًا، وقد تذكرت هي أنهم قد سحبوا منها عينة دم قبل شهر. أومأت وجفّ ريقها. أحضر المُساعد ثلاثة أنابيب، وثبت المحقن في ذراعها وراح يسحب الدم ليملاً الأنبوب الأول. ثم تابع ملء الأنابيب الأخرى بينما انقلبت معدة تيري، فقد كانت

تخشى المحاقن.

أيًا كان ما أعطاه لها بريتر من أدوية هذا الأسبوع، فهو مؤثر سريع المفعول. عادة ما كان العقار القديم يحتاج إلى وقت أكبر ليبدأ مفعوله. وأمام عينيها راحت عجلات تدور وتدور، ثم سمعت بابًا يُفتح ثم يُغلق. غالبًا المُساعد قد غادر الحجرة. قال بريتر:

- والآن، لديكِ أسئلة من أجلي. أتودين سؤالًا عن شيء؟

كانت تود أن تسأل، لكن لسانها صار ثقيلًا. قالت:

- أهذه خُدعة؟

- لا أعرف، أهي خُدعة؟ ماذا تريدان أن تعرفي؟

- أريد أن أعرف، ماذا تفعلون هنا؟ ماذا عن...

وشعرت تيري أنه قد أوقع بها..

- سأفسد التجارب لو أخبرتك. لكن أريدك أن تثقي في أن ما فعله هنا حيوي من أجل سلامة الأمة، ولا يمكن إيقافه تحت أي ظرف. أتفهمين؟

- كلا، لا أفهم.

أجابت بصراحة، لكن هل قصدت ما قالت؟ جزء منها عاد يفكر في أندرو، فقد كان هذا أقل رُعبًا مما يحدث الآن. قال بريتر:

- ليس من دورك أن تفهمي يا تيري. أتفهمين هذا على الأقل؟ ستكون ثمّة عواقب لأفعالك وعليكِ أن تتذكري ذلك.

صمت هنيهة، ثم اقترب منها وأضاف بعضًا من التعاطف على صوته:

- أعرف أنكِ تلقيتِ أبناءً سيئة عن حبيبك.

حتى مع دوران العجلات عند رُكني عينيها شعرت أن له صلة بما حدث لأندرو، وإلا فكيف عرف بما حدث ما لم يكن...

مُجددًا انزلت الكلمات من شفيتها دون قصدٍ وقالت:

- أنت فعلتها.

حدق بريتر في وجهها وقال:

- أراهن أنك لن تعرفي ما ستفعلينه من دونه. قولها.. قولي أنك

لن تعرفي.

لم تقدر على منع نفسها من الحديث وهي تقول:

- لن أعرف ماذا سأفعل دون أندرو.

ابتسم وقال:

- ستعرفين ما يجب فعله. والآن، أغلقي عينيك كفتاةٍ مُطيعَةٍ وغوصي

أعمق. لقد انتهيت منك.. لليوم فقط.

أغمضت عينيها وانزلت إلى حُلْمٍ يقظة..

غوصي.. غوصي ابتعدي عنه قدر استطاعتك..

من حولها تبدى فضاء، يحيطها من كل مكان، ومن الأمكان. هاوية

حالكة. وكانت قدماها في الماء.

ما تشعر به بدا حقيقيًا لا كأوهام عقاير الهلوسة، ولا كالذكريات.

كان المكان آمنًا، أكثر أمنًا مما كانت فيه، أليس كذلك؟

يد وُضعت على كتفها أعادتها إلى الواقع. توقعت أن تكون كف بريتر،

لكنها كانت كالي. جلست تيري سريعًا، عيناها مُتسعَتان تبحث عن

بريتر، لكنه لم يكن في الجوار.

لمست كف كالي، وكانت الفتاة حقيقية. قالت الطفلة:

- لم تأت مُجددًا لزيارتي.

بذلت تيري جهدها كي تفهم ما حدث وما يحدث. ما زال نظرها

زائغًا كأنها تنظر لأطباق تدور على أطراف أصابع عارضٍ مسرحي..

لا توقع الأطباق.. لا تكسرهما..

سألها كالي:

- ما بك؟ هل أنت مريضة؟

بحثت تيري عن الأسئلة المهمة، وقالت:

- الرجل الذي تنادينه بابا.. من هو؟ أبوك؟

- هو بابا.

قالتها كالي وكان الإجابة واضحة، والسؤال غبي. ثم أخفضت صوتها

وأضافت:

- هو لا يعرف أنني هنا.

يا إلهي!

- لكن هذا خطر!

والم تستطع تيري تذكّر السبب لكون ما تفعله كالي خطرًا.

- سأجرك مرة أخرى، لكن لا يمكن أن ندعه يعرف أنك تحدثيني.

رفعت الطفلة كتفًا لأعلى وقالت:

- هو يعرف كل شيء. لا يستطيع أحد إخفاء شيء عن بابا.

هزت تيري رأسها وقالت:

- كلا، لا يمكن أن يعرف كل شيء، هو مجرد رجل. هل يؤذيك؟

عبست كالي، لكنها لم تُجِب. قالت تيري موضحةً:

- لو أنه يؤذيك، فيمكنني مساعدتك.

هزت الطفلة رأسها وقالت:

- لا أعتقد أنك تستطيعين مساعدتي، لكنني أستطيع مساعدتك.

نما حقل من أزهار دوار الشمس حولهما، ومن فوقه سطع قوس

قزح. قالت تيري منبهرة:

- هذا مذهل! كيف فعلتها؟!

دارت تيري حول نفسها منبهرة، ثم نظرت إلى كالي التي تمسح الدماء

عن أنفها. أغلقت الطفلة عينيها، فراحت الأزهار تتمايل، وازداد سطوح

قوس قزح حتى ألم عيني تيري. قالت كالي وهي تنتحب:

- سأؤذيك.. عليّ أن أرحل.

رفعت تيري ذراعها لتغطي عينيها من الضوء الساطع، وشرع قلبها

ينبض بعنف في صدرها. كان هذا لا يُصدق لكنها كانت تعرف أنه

حقيقي.

- لا تهتمي.. ما هذا؟ وكيف تفعلين ذلك؟

- من السهل فعله، ومن الصعب إيقافه. عليّ أن أرحل.

- انتظري!

مدت تيري يدها نحو الطفلة، فتمصلت منها، وبدأت ظلال في التسلل

حولهما، ظلال بلا ملامح. صرخت الفتاة:

- كلا!

رأت تيري في عيني كالي حاجتها للرحيل، فقالت غير واثقة:

- يمكنني مُساعدتك.

لكن الطفلة انصرفت وأغلقت الباب خلفها، واختفت برحيلها الظلال.

وقف بريتر على الجانب الآخر من زجاج مُعتم يشاهد ما يجري مع تيري وثمانية. أزهار دوار الشمس كانت لمسة شاعرية من ثمانية، يمكنها أن تتظاهر كما تشاء أنها غير مُنجذبة لتيري، لكنها كشفت تعلقها بها بما فعلت الآن، وكان تعبيرها عن المحبة أكبر من قدرتها على التحكم كعادتها.

لم يكن لديه ما يُشغل ثمانية غير ذلك، وقد قدمت له تيري خدمة. سيدعهما تلعبان ما دامت رجحت كفة المصلحة على كفة المخاطر. ولم تكن كالي المعزولة تريد شيئاً سوى الصحبة، العائلة. وقد وعدا هذا. لم يفهم بريتر الأطفال لأنه لم يشعر قط أنه كان طفلاً.

فكر في طرد تيري، لكنه كان قد بذل مجهوداً كبيراً معها، وقد بدأت تلين بالفعل مؤخراً، خاصة مع رحيل حبيبها إلى الحرب. كسرهما سيكون مُرضياً له.

اليوم قد أعطاها مصل الحقيقة ممزوجاً بجرعة عقار الهلوسة كي يستطيع بث في عقلها ما يريد. ثم سمح بزيارة ثمانية لها وقد أوحى إليها أنها تسلمت بإرادتها، وعليه أن يتظاهر بالغضب حين يكتشف ما فعلت.

سمع طرقة على الباب من خلفه، ودخل مُساعده إلى حجرة المُراقبة، تضيء عيناه بالأخبار الجديدة التي يحملها بين الأوراق. سأله بريتر:

- ماذا حدث؟

- لن تصدق!

أعطاه الأوراق، وقرأ بريتر نتائج تحليل دم تيري. كل شيء كان طبيعياً مع ارتفاع بسيط متوقع في ضغط الدم. ثم رأى ما كان يقصده المُساعد، فقال تعجب:

- تيري حامل!

والآن قد تتحول تيري إلى دجاجة تبيض ذهباً على أكثر من صعيد.

هنأ نفسه على إبعاد أبي الجنين عن الطريق. اليوم سيقدم لثمانية الكعك الذي تحبه، وسيخبرها أنه سيفي بوعدده وسيمنحها صديقًا.. صديقًا مميزًا.

كانت نظريته تتلخص في أن القدرات الخارقة قد تتعاضم تحت ظروف خاصة مناسبة، لكنه كان مُضطربًا للعمل مع الحالات المُتاحة غير الموهوبة. أما هذا الجنين في بطن تيري فيمكنه العمل على تطويل قدراته من الآن في الرحم وخلال كل يوم من أيام حياته، وسيتأكد من أنه سيكون مُميزًا.

سأله المُساعد:

- هل سنُسرِّحُها؟

كان الرجل جنديًا ممتازًا، لكن لم يكن أذكي من قابلهم بريتر. المهم أنه كان يؤدي عمله دون أسئلة.

نتائج المراقبة أفصحت أن الأربع حالات قد صاروا مُقربين من بعضهم، وهذا يسترعي المزيد من الانتباه. غالبًا ما ستمكث آليس أكثر في المُختبر حين يصل استخدام الكهرباء معها نقطة اللا عودة. ليس واثقًا بشأن حالة تيري والآخرين.. لكنه لن يترك الطفل يفر من بين يديه.

أجاب بريتر سؤال مُساعده:

- على العكس. نحتاج إلى زيادة عدد جلساتها وشدتها ابتداءً من الأسبوع القادم. نريد أن نُبقيها قريبة، ولا تخبر أحدًا آخر بما أخبرتني.
- أمرك يا سيدي.

عرفت تيري في اللحظة التي وقعت فيها عيناها على آليس أن شيئاً مُحرزاً قد حدث لها أيضاً. كانت تتشاغل بحمّلات الأوفرول الذي ترتديه وتطرق برأسها هنا وهناك خلال سيرهم في الرواق مُتجهين نحو الحافلة الصغيرة. كانت تجارب اليوم قد أرهقتهم جميعاً، ما عدا آليس. سألتها تيري هامسة:

- ماذا بكِ؟

كانت تيري تتوق للخروج في أسرع وقت، فلم تكن تستطيع التنفس بحرية إلا خارج هذا المكان. عادت إليها ذكرى أزهار دوّار الشمس وقوس قزح والظلال الغامضة. كيف فعلت كالي هذا؟ وما هو المكان المُظلم الغريب الذي زارته اليوم؟ جزء من هلوستها بدا لها مستحيلاً وحقيقياً في ذات الوقت.

لم يعد العالم كما كان حين وصلوا في الصباح.

ذكرى أندرو بثت الدفء في نفسها، وتساءلت عما يفعل الآن، ثم ألمها قلبها حين تذكّرت ما فعله بريتر به، وأنه سيرحل قريباً. إن كان قادراً على إرسال أندرو للحرب، فما هي حدود قدرته إذًا؟!

أجابت آليس سؤال تيري:

- سأحكي لاحقاً.

قال كين:

- أسرعاً، سيدتي.

وأدركت تيري أنهما قد تخلفتا عن المجموعة بمسافة كبيرة. طوقت كتفي آليس بذراعها وأسرعنا، وبمجرد أن خرجنا من المبنى، تنشّقت الهواء النقي باستمتاع كأنه عطر.

لم يكن ثمة ما يُقال في حضرة السائق طيلة الطريق المُحاط بالحقول المُظلمة المُتسارعة. لاحظت تيري مرتين أن السائق كان يحدق فيها عبر المرآة الأمامية أثناء تظاهرها بالنوم. كان تظاهراً سهلاً بعد يومها الحافل الثقيل، وربما أنها قد نامت فعلاً للحظات.

حين وصلوا ساحة انتظار السيارات بالحرم الجامعي، نزل السائق

وفتح لهم باب الحافلة. كانوا قد وصلوا في وقتٍ متأخر عما اعتادوه، ولم يكن ثمة أحدٌ سواهم. لكن تيري لم تُرد أن تُغامر وتتحدث في الساحة في حال عودة الحافلة مرة أخرى مثل ما حدث سابقًا.

قالت أليس بعد رحيل الحافلة:

- علينا أن نجلس سويًا في مكان بعيد. أذهب عند أندرو؟

هزّت تيري رأسها رافضة وقالت:

- لا أريد أن أثقل عليه أكثر.

اقترحت جلوريا:

- يمكن أن نذهب إلى منزل والدي. لكنني أخشى أنهما لن يتركانا وحدنا فترة كافية كي نتحدث.

ثم نظرت نحو كين مُردفة:

- غير مسموح لي أو لتيري باستضافة رجال في مساكننا الجامعية.

- وغير مسموح لي كذلك باستضافة نساء، أو أي ضيوف في وقتٍ متأخر

كهذا.

راحت تيري تُفكر في مكانٍ آخر، حتى هتفت أليس:

- يمكننا الذهاب لورشة عمي. معي مفتاح.

لم يعترض أحد، وسرعان ما راحت قافلة السيارات تتحرك. تيري وكين

يركبون مع جلوريا سيارتها، يتبعون أليس وسيارتها القوية العتيقة إلى أطراف المدينة.

سألت تيري كين:

- هل ستكون أليس على ما يُرام؟

تمتّت أن يكون لديه إجابة، إجابة مُطمئنة. الحقيقة أن سبب ركوبها

معه سيارة جلوريا كان فرصة سؤاله عن مصير أليس لا أكثر. أجابها:

- لا أعرف حتى الآن، وأتمنى لو أنني أعرف.

قالت جلوريا:

- وأنا أيضًا.. أعتقد أننا وصلنا.

ظهرت أمامهم لافتة صدئة ضخمة في نهاية الطريق الترابي، تُعلن

وصولهم إلى «ورشة جونسون لإصلاح وصيانة المُعدّات الثقيلة».

لم تحاول تيري من قبل تخيّل الورشة التي تعمل بها تيري، لكنها

توقعت مكانا مثل الذي تُصلح فيه هي سيارتها. ما أمامها كان مخزناً عملاقاً مُحاطاً بالجرارات والبلدوزرات المُفككة، والشاحنات العملاقة التي تستطيع سحق سيارتها بعجلة واحدة منها.

غريبٌ أن بدا لها المكان كمقبرةٍ مُعدّاتٍ ثقيلة في هذا الظلام والصمت. أفيقي يا تيري! ركزي في الواقع!

ربما كان ما تراه وتشعر به جِراء ما تبقى في دمها من عقّار الهلوسة، وما فعلته كالي أمامها من مُستحيلات.

الظلام يجثم على مدخل الورشة ولا يقدر المصباح الوحيد على تبديده. لا بد أن آليس تعرف طريقها غيباً، فهي لم تتردد أو تتعثّر في سيرها. رأتها تيري تدخل ثم بعد ثوانٍ أضيئت الأنوار وانفتح الباب العريض. قال كين :

- تفضلاً، سأدخل بعدكما.

دخلت تيري وجلوريا، فقد كان الباب عريضاً ليسع دخولهما سوياً، وصفّرت تيري لدى مرأى المزيد من المُعدات العملاقة الشاهقة بالداخل وقد بدت أكبر تحت السقف الذي يجثم عليها. كانت رائحة المكان تفوح بالزيت والعرق والإصرار.

لقد أصلحت آليس هذا، واجتهدت في ذلك.. آليس عبقرية.

قالت تيري:

- هذا.. هذا حقاً عمل مبهّر!

عقدت آليس كفيها في حرج وقالت:

- أعرف أن هذا لا يُقارن بأن يكون المرء جامعياً..

هتفت جلوريا:

- عملك مُذهّل!

- لا داعي للمجاملات.

- ثمة علم في عملك هذا.. الكثير من العلم!

أومأت آليس وهي تُطلق سراح كفيها. كانت قلقة من أن يسخروا منها.. آليس القوية الهشة.

إعجاب أصدقائها طمأنها ومنحها الثقة، ولم يكن على الأرض من هو مثلهم في عينيها.

تيري، تمالكي نفسك!

قال كين وهو يغمز لآليس:

- ذكريني أن آتي لك بمذياعي، فهو يحتاج إلى تصليح!

ضمت آليس أصبعيها السبابة والإبهام وفركتهما ببعضهما وهي تقول:

- بالطبع، سيكلفك هذا عشرة دولارات!

قلّت حدة التوتر بمزاحهما. دارت آليس بعينيها في المكان وأضافت:

- أخشى أننا لا نملك مقاعد كافية. يؤمن عمي أن المقاعد تُغري

أصحاب المُعدات بالجلوس ومراقبة عملنا وإضاعة وقتنا.

ثم أشارت إلى الأرضية الأسمنتية وجلست مُستنده إلى عجلة جرار عملاق.

حذا الآخرون حذوها؛ فجلست تيري جوارها على الأرض الباردة مُتكئة

على ذراعها، وصعدت جلوريا إلى كرسي أحد الجرارات متوسطة الحجم،

وتربع كين جوار تيري التي قالت حين لم يبادر أحدهم بالحديث:

- حسناً.. نحن هنا لسبب. بريتر يعرف شيئاً، فقد.. فقد هددني وقد

فهمت من كلامه أن له علاقة بما حدث لآندرو.

قالت آليس:

- مستحيل، فقد تم اختيار آندرو بناءً على اقتراحٍ عشوائي!

مسح كين شفتيه وقال:

- تقول الصحف أن الأمر لم يكن عشوائياً كما يبدو.

أضافت جلوريا:

- كما قلت من قبل، أولئك أشخاص ذوو سُلطة.

اجتاح تيري شعور مُرعب بالذنب وقالت:

- أنا من تسببت له في هذا!؟!

أجابت جلوريا فوراً:

- كلا، لم يقل أحدنا هذا! بالتأكيد لسبب السبب.

قالت تيري وقد هدأت نوعاً:

- ثمة شيء آخر أريد إخباركم به. لكن، آليس، ألا تودين الحديث؟

رفعت آليس رأسها وقالت:

- رأيت ما قد يكون أسوأ من الوحوش.

مكتبة

t.me/t_pdf

سأل كين باهتمام:

- ماذا رأيتِ؟

- كان بريتر مع تلك الطفلة..

وبدأت آليس في سرد ما رآته من أمر بريتر والطفلة ذات رداء المُستشفيات، والخوذة على رأسها، والوشم الذي يحمل رقم 011 على ذراعها، والقوى التي تتمتع بها وكيف دفعت رجلاً بإشارة من يدها.

- بدت لي كتجربة ما، لست واثقة لكن ما رأيتُه كان حقيقياً جداً!

ذُكر تيري الرقم 011 بالأرقام التي رأيتها في الملفات في مكتب بريتر.

أيعني هذا أن كالي لها رقم هي الأخرى؟

- زارتني كالي اليوم. لديها قوى أعجز عن وصفها.

وحكت تيري باختصار لقاءهما والقدرات التي أظهرتها الطفلة، ثم

قالت لآليس:

- أنا أصدق ما رأيتُه.

قالت جلوريا مُفكرة:

- إممم.. وكيف كانت تبدو هذه الفتاة يا آليس؟

- شعرها قصير كشعر أشقائي الصبية، كأنه كان مخلوقاً بالكامل وبدأ

في النمو مؤخراً. كانت تعاني خالتي من السرطان و.. ربما.. كانت الفتاة

نحيلة لكن صحتها بدت جيدة.

أغلقت آليس عينيها ثم فتحتها وأردفت:

- عمرها حوالي اثنتي عشرة أو ثلاثة عشر عاماً. شاحبة.. عيناها

واسعتان ثاقبتان.

قطبت تيري، وكانت تظن أن آليس قد رأت كالي لا طفلة أخرى.

سألته جلوريا:

- ماذا عن كالي؟

- كلا، ليست هي من رأت آليس. لا يمكن أن تكون هي، فكالي أصغر

سنًا.

ووقفت على رُكبتها ورفعت ذراعها لتبين لهم طول كالي، وأضافت:

- أظنها في عمر خمس سنوات، داكنة البشرة، شعرها أسود يصل إلى

كتفها. هذا يؤكد وجود عدد من الأطفال هناك. لماذا تسألين؟

- القوى التي وصفتهاها.. لم أسمع بشيء كهذا قط. لكن إن كان ثمة قوى كهذه، فقدرات الفتاتين مختلفتين، لا يمكن لشخص واحد امتلاك القدرتين معًا.

سألها كين:

- عرفت هذا من قراءتك الروايات المصورة؟

- وماذا في ذلك؟

قالت تيري وهي بعد ذاهلة:

- غريب أنك رأيت رقم 011، بينما الأرقام المذكورة في الملفات تنتهي عند الرقم 010.

قالت جلوريا:

- على الأغلب ما زال يستقبل حالاتٍ جديدة.

هتفت آليس في حماس وحنق:

- علينا إيقاف ما يحدث، الرجل يستغل الأطفال!

- أوافق..

قالت تيري وهي تشعر أن ثمة شيئًا هامًا ناقصًا. سألت:

- آليس، أتظنين أنك تمارسين الإسقاط النجمي؟¹

قالت جلوريا:

- أتعنين أن آليس رأت ما يحدث وقت حدوثه في مكان آخر بعيد عنها؟ رأت الفتاة وبريتر؟

ضحكت آليس دون قصد وقالت:

- ربما. لم أفكر كثيرًا في كيفية حدوث الأمر.

تمنت تيري لو يعرفون كيف يحدث أي من هذا، فقد كانوا في منطقة لم تُستكشف من قبل. قالت لهم:

- ثمة ما نفعله، لا بد أن نعرف عدد الأطفال هناك وماذا يفعل بريتر بهم. قالت كالي أن بريتر لا يؤذيها، لكنها في الخامسة وربما لا تستطيع تمييز الإيذاء. علينا التخطيط لمهمة إنقاذ.

1 - الإسقاط النجمي هو القدرة على فصل الروح عن الجسد وإرسالها إلى مكان آخر بشكل مؤقت.

قال كين برفق:

- لكننا بعد غير متأكدين إن كان بريئر والد كالي، وإنقاذنا لها ربما يُعد اختطافًا.

- لديك حق.

ثم قالت تيري لآليس:

- هل يمكنك رؤية ما رأيته مرة أخرى؟

- ليس لدي قدرة على التحكم في ما أرى.

- حاولي، فهو لديه كل ما يتفوق به علينا، وعلينا استغلال ما نملك.

ثم أضافت في لهجة واثقة:

- لن يُسهّل علينا طريق البحث عن إجابات.

أومأت آليس موافقة، ثم قامت واقفة ومدت يدها هاتفة:

- لو أننا رفقة كرفقة الخاتم في رواية سيد الخواتم، فأنا أود أن أقوم

بشخصية جالادرييل!

فعلت تيري مثلها وقالت:

- لكن جالادرييل ليست ضمن رفقة الخاتم.

- لا يهم. الروايات قليلة الشخصيات النسائية. أريد أن أكون جالادرييل!

قام كين هاتفًا:

- وبريئر هو العدو.

تبعتهم جلوريا واقفة وقالت:

- أنا الوحيدة التي لم تقرأ الرواية؟!

قال كين وآليس في وقت واحد:

- أجل!

أومأت آليس إليهم وقالت:

- ضعوا أيديكم فوق يدي.

ففعلوا، وسأل كين:

- والآن ماذا سنفعل؟

قالت تيري وقد تذكرت أيام المدرسة وفريق كرة القدم:

- نقول معًا: من أجل رفقة المُختبر!

1 - جالادرييل: شخصية ملكة من الجن في ثلاثية سيد الخواتم.

تصاعدت الضحكات القلقة، ضحكات من النوعية التي تنطلق حين لا يكون ثمة شيء مُضحك على الإطلاق.

بعد أسبوعٍ آخر، أغمضت تيري عينيها وانتظرت بدء مفعول العقار. ظلت مُتَعَبَةً خلال الأسبوع الماضي، لكن طاقة من نوع ما سرت فيها آخر يومين، غالبًا بسبب الترقُّب. تُرى هل ستستطيع الذهاب إلى عالم العدم والفراغ مثل المرة السابقة؟

كان بريئر مُهْتَمًّا بها هذه المرة وأعطاهَا مُقَوِّيات تواظب على تناولها في المنزل. وكان هذا جديدًا عليها.

- بعض الأدوية التي نستخدمها لها أعراض جانبية منها انتفاخ البطن والقيء. لو زرتِ الطبيب العادي لن يستطيع فعل شيء لإيقاف الأعراض لأنه لن يعرف مُسببها. على العموم المقوِّيات ستساعد عقلك على التعافي مما تخوضينه معنا هنا.

- آه.. شكرًا.

وعضَّت لسانها كي لا تسأله عن كنه الذي يخوضونه هنا، وعن الأطفال، أيتناولون المقوِّيات أيضًا؟ على أية حال، ستتخلص من تلك الأقراص بمجرد أن تصل إلى بيتها.

عزلت تيري تركيزها عن محاولات اختراق بريئر وأوامره أن تغوص أعمق، وراحت تُرْكُز على نفسها، وعلى الابتعاد أكثر، وأكثر..

رأت نفسها تسافر عبر صحراء، سرعان ما تحولت تحت قدميها إلى أرضية الرواق خارج حجرتها، ثم إلى جليد جمَّد قدميها وجعلها ترتجف. أول ماء وصلت إليه كان عند الشاطئ، والرمال تدخل بين أصابع قدميها. كانت هذه ذكرى إجازة صيفية.

كانت أسرتها قد استأجرت مسكنًا مشتركًا مع واحد من رفاق أبيها في الجيش وأسرته. تنصتت تيري على حديث ربتي الأسترين ليلاً وقد جلستا في الخارج مُتقاربتَي الرأسين، بعد أن نام أبناؤهما بعد يوم طويل ممتع. كانت المرأتان قد نسيتا أن تيري لم تمارس الغطس مع الأولاد صباحًا، لذا لم تكن نائمة، وتسَلَّلت لتسمع ما تقولان.

- كوابيس؟

- كوابيس شنيعة حتى أنه أحيانا لا يستطيع النوم بسببها لأيام.

- وهل يُخرج توتره هذا عليك؟ أو على البنيتين؟

كان ما قيل قد شكّل فكرتها عن حياة الكبار، وأدركت خلال رحلة المخدر أن تلك الفكرة كانت صحيحة، حياة الكبار توتر مُستمر، لكن الواقع أغرب.

هنا أحاطها الظلام الذي كانت تبحث عنه، اللامكان وكل مكان. كم استغرقت من الوقت حتى تصل إليه؟ لم يكن لديها فكرة. لكن الذكريات وذلك النسيج الذي يضمها.. بشكل ما اعتبرت تيري الذكريات وعالم الهدم متشابهين، هم مُتسعٌ لجمع شمل الناس. لا رائحة.. لا طعم..

ولم يكن ثمة شيء هنا سوى تيري، حتى رأت وجهًا أمامها..
جلوريا.. نور وسط العتمة..

وامرأة أخرى تجلس مُغمضة العينين. همست تيري:

- جلوريا، استيقظي..

لم يبدُ عليها أنها رأت أو سمعت تيري، ثم اختفت فجأة. أكملت تيري سيرها، شاعرة برذاذ الماء على قدميها، لكنها لم تر شيئًا آخر، كانت وحيدة.

ثم فتحت تيري عينيها وتظاهرت أنها تحكي ماضيها وذاكراته لبرينر. كلما قلّ ما يعرفه عن هذا المكان الذي وجدت، وعن قدراتها المُستجدة، كان هذا أفضل.

لم يغادر برينر الحجرة، ولم تجد طريقة للذهاب إلى كالي.

أحالت الحرارة المتصاعدة من الفرن المنزل إلى مكانٍ دافئٍ مُريح. تصاعد من المذياع صوت أغاني عيد الميلاد المجيد، وللحظة شعرت تيري أن كل شيء على ما يرام.

قال أندرو:

- لا تفعلها مرة أخرى. لا تقتليه!

أمسكت تيري بواحدة من بسكويات الزنجبيل المُشكَّل على هيئة جسد بشري كرتوني، وقضمت رأسها. هز أندرو رأسه في حزن وقال:

- مسكين السيد زنجبيل.

تساءلت تيري بفم مليء بالحلوى:

- سيد زنجبيل؟

- اسمه بسكويت، ولقب عائلته زنجبيل. أو كان كذلك حتى مات مُتأثراً بفقد رأسه!

انفجرت تيري في الضحك.

مُختبر هوكينز كان قد أخذ إجازة لأسبوعين أثناء موسم عيد الميلاد المجيد. كانت تيري تتلهف على العودة للتجارب كي تستكشف أكثر العالم الجديد، وفي نفس الوقت تريد أن تنعم بإجازتها. أندرو سيرحل ليقضي الأعياد مع عائلته، وستقضي مع بيكي رأس السنة في منزل والديهما الراحلين.

نادت بيكي من الغرفة المجاورة:

- هل أدخل؟ هل كنتما تقبلاًن بعضكما؟

قالت تيري ضاحكة:

- يمكنني أن أقبله وأضحك في نفس الوقت.

مال أندرو عليها مُقبلاً أنفها وقالت:

- يمكن ذلك مع بعض التمرين.

- أنا آتية، أريد البدء في طهو البطاطس.

كانت بيكي في حالة مزاجية أفضل من المعتاد، فكانت أول أعياد تمر بهما بعد وفاة والديهما مؤلمة لها. لكن وجود أندرو معهما أشعرها أن المنزل لم يعد خاويًا إلى هذا الحد. اتفقت بيكي مع أختها على الذهاب إلى السينما كي تشغلا وقتيهما، وتشاهدا فيلم «بتش كاسيدي وطفل رقصة الشمس»، كانت بيكي تحب أفلام روبرت ريدفورد.

قال أندرو وهو يجذب تيري إلى غرفة المعيشة:

- تعالي هنا لحظة..

تلاأت الأضواء فوق شجرة عيد الميلاد الصناعية، والتي يعلوها تمثال الملاك الذي كانت عائلة تيري تعلقه في كل عام منذ أن وعت هي على العالم. وتحت الشجرة تناثرت عدة صناديق مغلقة بورق الهدايا الملون. انحنى أندرو وأخذ علبة متوسطة الحجم وقال لتيري:

- أريد أن أعطيك واحدة من هداياك بمفردنا.

كانت تعرف أنه لف العلبة بنفسه، وأنها إن قلبتها ستجد كُتلاً من الورق والشريط اللاصق بالأسفل، لكن منظر الهدية كان مقبولاً من الجهة التي تراها. حثها أندرو على فتحها، وكانت تُحب فتح الهدايا. مزقت الغلاف ثم شهقت في فرحة عارمة:

- كاميرا تصوير فوري! هذا كثير!

- ستحتاجينها في مهمتك. وتعرفين.. إن أرسلت لي خطابات، فيمكنك إرفاق صور لك بها؛ أريد أن أراك وأنا بعيد.

حرقتم الدموع رُكني عيني تيري، وضاحت حنجرتها.

- لا أريدك أن ترحل.

- ولا أنا.

كانت هدية جيدة، حتى ولو لم تكن أكثر شيء يريده كلاهما.

الفصل السابع

إلى الغابة

يناير 0791
بلومينجتون، إنديانا.

- ١ -

انتظرت آليس في الظلام جوار الباب داخل الورشة. شعرت بتوتر إيجابي، بلا أثر سلبي كالمعتاد. كانت قد توصلت لطريقة تستحق المحاولة لاستخدام رؤاها في مساعدة رفاقها. كانوا قد شجعوها وخططوا للمقابلة قبل أول عودة لهم إلى التجارب بعد انتهاء الإجازات.

لذا، فقد اختبأت في الورشة منتظرة رؤية كشافات سياراتهم عند الموعد المتفق عليه؛ في تمام الحادية عشرة ليلاً. بمجرد أن سمعت صوت خطواتهم تقترب، أنارت المكان وقفزت أمامهم وهي تصيح:

- بو!

تعالت شهقة، ودخلت جلوريا وهي تضع كفها على قلبها وتقول:

- مبروك، لقد تسببت في أزمة قلبية بنجاح!

وكزت آليس كتف جلوريا وقالت:

- هذه مجرد مُزحة! وقد علمتك في مقابلها كيفية فتح قفل باب.

- هذا صحيح!

ثم استندت جلوريا إلى الباب وصاحت في رفاقها:

- آليس تمر بنوبة مزاجية عجيبة، توقعوا مفاجآت!

قال كين:

- كنت أعرف ما ستفعله مُسبقاً.

رفعت جلوريا وآليس أعينهما إلى أعلى ساخرتين، وقالت الأولى بصوتٍ خفيض:

- وأنا الذي كنت أظن أن رفقة شخص ذي قوى روحانية ستكون مفيدة.

قالت آليس:

- يروق لي!

- الرجل فعلاً مُحبب إلى النفس كطحلب نادر!

دخلت تيري مع كين. كان قد مرَّ أسبوعان ونصف منذ أن تقابلوا جميعاً. أسبوعان ونصف بلا حافلة صغيرة ولا مُختبر ولا كهرباء ولا وحوش. قال كين:

- لا يصح أن نتحدثا عن شخص في غير حضوره.

رفعت تيري صحيفة عليها فطيرة مُغطاه بالميرانج وهتفت:

- ها نحن في اجتماع الرفقة الثاني، وقد أحضرت لك فطيرة.

سألت آليس:

- وماذا عن أندرو؟

وجمت تيري وقالت:

- لم أستطع أن أخبره بشأن بريتر ومشروعنا. سيقلق عليّ فور رحيله.

وضعت جلوريا كفاً حانية على ذراع تيري وقالت:

- أنت تُسدين له معروفاً.

أحضر كين من السيارة مجموعة من الأطباق الورقية وأربع شوكات

من البلاستيك وهتف:

- وأنا أسديت لكم معروفاً، وجلبت ما نأكل به الفطيرة.

همست تيري:

- أنا لم أخبره أنني سأجلب فطيرة!

أخذت آليس شوكة من فوق الطبق العلوي وغرستها في الفطيرة

مباشرة، ثم دست قطعة في فمها.

- أوه! فطيرة بالباترسكوتش!

سأل كين:

- وما هو الباترسكوتش؟

أجابت آليس:

- هو الجنة!

فسرت جلوريا:

- هو خليط من السكر البني والزبد في الغالب مع بعض الفانيليا.

نظروا إليها بأعين مُتعجبة، فأردفت:

- الخبز هو نوع من أنواع الكيمياء!

لم تصدقها آليس تفسيرها وهتفت:

- أنت تخبئين عنا مواهب دفيئة أكثر من أي شخص عرفته يا جلوريا

أزهار!

- ليس أكثر مما تخبئين يا آليس جونسون!

- أيتها الرفقة، قدما تيري آيفز مُتعبة من الوقوف في المطعم طيلة

اليوم، هلا جلسنا؟

جلست تيري في نفس المكان الذي جلست فيه المرة السابقة، واحتل

كل منهم موقعه القديم كذلك. فكرت آليس كثيراً بشأن دعوتهم

للمجيء مرة أخرى، فقد كانت تعشق الورشة برائحة الزيوت والشحم

التي تفوح منها، والمُعدّات التي أمضت حياتها بينها. الورشة هي العالم

الذي لا يسخر أحد منها فيه.

الجرار الذي استندت إليه آليس من أسبوعين قد عاد إلى أصحابه،

ووقفت في مكانه مُعدّة لسحق الجرانيت. أراحت آليس ظهرها إليها

ووضعت الفطيرة بحرص أمامها.

رأت آليس أن تيري مُتعبة أكثر من آخر مرة قابلتها فيها، وتمنّت أنها

وأندرو قد استطاعا تمضية وقت طويل معاً خلال الإجازة. حلمت أنهما

قد تزوجا، وأن واحدة من أبناء عمها في كندا هي التي تحمل سلة

الأزهار في زفافهما. غريب، أليس كذلك؟ بدا الحلم واقعياً للغاية، وقد

استيقظت منه مبتسمة، ثم زالت بسمتها حين تذكرت أن أندرو سيرحل

في أي وقت، فالاستدعاءات ستبدأ قريبًا.

وضع كين الأطباق جانبًا، وأخذ كل منهم شوكة وجلس متربّعًا أمام الفطيرة. لحسن الحظ أن جلوريا كانت ترتدي بنطالًا. كانت هي أول من تحدث قائلةً:

- أتمنى لو لا نعود إلى المُختبر مطلقًا.

ابتلعت آليس ما في فمها وقالت:

- لكن علينا العودة. كنت أفكر في طريقة تُمكنني من التحكم في ما أرى واستغلاله لصالحنا كما قالت تيري. لا أظن أن أحدكم قادر على الغوص أعمق مما أغوص أنا، وقد أخبرتكم أنني عاجزة عن السيطرة على هذا، حتى الآن على الأقل.

كُونت آليس نظرية عن قدرتها على رؤية ما وراء الحُجُب، وأن موهبتها آخذة في التطور، وأن زيادة جرعة الكهرباء تُمكنها من رؤية المزيد.

- لو أنني أستطيع أن أصف لكم ما أراه بالضبط، لوفرننا على أنفسنا ما يضيع في الحكي والوصف. علينا القيام برحلة فعليّة لاستكشاف الحقائق.

دست تيري قطعة من الفطيرة في فمها ثم سألت:

- وكيف نفعل ذلك؟

- هل تصدقون أنني أرى ما أراه؟

آليس تعرف أنهم قد أخبروها أنهم يصدقونها، لكنها كانت ستتفهم الموقف أكثر لو لم يصدقوها. أردفت:

- أتصدقون أنني رأيت الفتاة والوحوش؟

لم تتردد تيري قبل أن تُجيب:

- أصدقك.

وأومات جلوريا مُوافقةً. وضعت تيري شوكتها جانبًا وأردفت:

- لديك طريقة لرؤية ما رأيت مرة أخرى، أليس كذلك؟

هنا جاءت اللحظة الحاسمة. دَسّت آليس أصبعيها في عُروتي حزام

الأوفرول الذي ترتديه وقالت:

- أجل، لكنني كنت آمل أن...

ونظرت نحو كين مُردفة:

- أن يكون لديه فكرة أفضل. لا أظن أن فكري ستروق لكم.

هز كين رأسه وقال:

- ليست لدي أفكار، فلا يمكنني استغلال موهبتي بهذا الشكل.

- وكيف يمكن استغلالها إذًا؟

كانت آليس تُريد أن تعرف على الأقل شيئًا عن موهبته تلك. سألته

في عصبية، فرد عليها بهدوء زاد إعجابها به:

- يواتيني شعور، أو أفكار مكتملة أوقن بأنها ليست مجرد أفكار؛ بل

حقائق. مثلما حدث يوم أن شعرت بأن عليّ شراء جريدة، ووجدت فيها

إعلان التطوع في التجارب. لاحقًا خطر في عقلي صورة أربعة أشخاص

وفكرة أن كلاً منهم سيكون مهمًا للآخر. لا أستطيع التوضيح أكثر من

هذا.. آسف.

- كلا، أنا الآسفة.

أرادت آليس أن تُخبرهم بخطتها كما هي. الخطة مهمة بالنسبة لها

وعليها الدفاع عنها. سألت جلوريا كين:

- أتخشى أحيانًا من بعض الأفكار التي تواتيك؟

- أجل.

سألت تيري مُثبتة نظرها عليه:

- أفكار عنا؟

- ليس بعد.

- حسنًا.

ثم أشارت تيري إلى آليس مُردفة:

- هيا، أخبرينا عن فكرتك لنناقشها.

لن يحبوا تلك الفكرة، لكنها أفضل ما توصلت إليه. هي تفهم في

المعدات والأجهزة، ويمكنها اختراق تلك التي في المُختبر وفهم طريقة

عملها، وكيف تخلق التأثير الذي يفتح عقلها بشكل أعمق. إن فلحت في هذا، فستنال صدمة كهربية هائلة.

أخذت آليس نَفْسًا عميقًا وقالت:

- الفكرة تتطلب كهرباء.

قالت تيري:

- كنتِ مُحقة، بالفعل لا تعجبني الفكرة. أكملني.

- لا أجد حلاً آخر سوى هذا، فأنا لا أرى تلك الرؤى إلا تحت تأثير

المُخدر والصدمة الكهربائية.

راحت آليس تُحدق في نصف الفطيرة أمامها، بزینتها التي تشبه قمم

الجبال البيضاء. كانت تخشى أن تنظر إلى الآخرين فيدركون كم تشعر

بالسُخف. كلمة «رؤى» أشعرتها كأنها في أهمية جني أو كائن خُرافي

بالنسبة لهم، ولم تكن كذلك.

لم يقاطعها أحد، فأكملت:

- لو استطعتم تدبير أمر صدمة كهربية هنا، سأقدر أنا على الرؤية،

وستكونون جوارى تدونون الملاحظات.

صاحت تيري:

- لن يحدث هذا، لن أعرضك للخطر أبدًا، لن أصعقك بالكهرباء!

- هذا ما في وسعي فعله، ولن يمكنني العيش دون أن أعرف مصير

تلك الفتاتين، وما إن كانتا تعانيان. في إمكاني إنقاذهما مما أعانيه أنا كل

أسبوع. أريد أن أفعل شيئًا.

رفعت جلوريا كفها كي تمنع آليس من الجدل، وقالت:

- كيف تثقين أن ما تريدين فعله يستحق المُغامرة؟ هل أنت موقنة أن

الأطفال هناك يحتاجون إلى مساعدة؟ كل ما لدينا هو مجرد استنتاجات

وشعور داخلي لا يمكن أن نبني عليه حقيقة.

زال بعض التوتر عن آليس بعد تصريح جلوريا العقلاني، وقالت:

- متأكدة بنسبة خمس وثمانين بالمائة.

- يمكن أن أجري بعض الأبحاث عن مستويات الكهرباء الآمنة.

تجاهلت آليس هذا، فهي قادرة على معرفة أي مستوى يناسبها.
قالت تيري:

- لكننا نضع آليس في منطقة الخطر؟
قال كين بهدوء:

- هي بالفعل في خطر. كلنا كذلك.
قالت آليس لتيري في رجاء:

- لو أن علينا إنهاء تواجدنا هناك في أقرب وقت، فخطتي تستحق التجربة. أنت تعلمين أنني مُحقة، المكان خطِر وأنت تعرفين ما فعله بريئر بأندرو.
وبكِ..

ضمت تيري كفيها وقالت:

- لا يمكن أن نُغامر بهذا في المُختبر. لا يمكن أن ندع بريئر يكشف خطتنا. نعرف كيف يعامل حالاته، هو يعتبر الوحوش التي ترينها مجرد مشاكل في التخدير، أو أنه يستمتع برؤيتك تتعذبين لا أكثر. لو أنه عرف أنك رأيتَه والأطفال ماذا سيفعل بك؟ فكرة أن لديك موهبة كتلك ستجعله يتمسك بك أكثر، وربما يتحفّظ عليك في المُختبر.

قالت جلوريا:

- لكن جهاز الكهرباء في المُختبر!

أدارت تيري عينيها في الورشة من حولهم ثم قالت:

- آليس، أستطيعين صنع جهاز مُشابه؟

- هل أستطيع؟

فكّرت آليس في الأمر. جزء من خطتها هو معرفة تكوين الأجهزة في المُختبر. أكملت:

- أستطيع صنع ما هو أفضل منها. تفكرون في إجراء التجربة هنا؟
ومن أين سنحصل على العقار المُخدر؟

قالت جلوريا:

- الجرعة التي خبأتها ما زالت معي.

داعبت تيري شفتها وقالت:

- أرى أن مكان تواجدك أثناء التجربة سيؤثر في رؤيتك لما رأيته في المختبر. ربما ترين شيئاً آخر في مكان قريب من الورشة. علينا أن نُجري تجربتنا في هوكينز.

همهمت جلوريا:

- لكنني كنت أظنك تريدان ألا نُجري التجربة هناك.

- كنت قد فحصت خريطة المكان في المكتبة، بعد أن فشلت في إيجاد أي معلومة عن بريز، وقد بيّنت غابة مفتوحة قريبة. لو أننا أجرينا تجربتنا فيها وقربنا مكاننا قدر الإمكان من سور المختبر...

قاطعتها أليس:

- لو أننا سنجري التجربة في الغابة، عليّ تصميم الجهاز بحيث لا يحتاج إلى مصدر تيار كهربائي سلكي.

سألت تيري:

- وهل هذه مُشكلة؟

- بل تحدٍ.. فرصة لإظهار قدراتي.

قالت جلوريا:

- تبدو كخطة جيدة مجنونة! سأحتاج إلى بضعة أيام أبحث فيها عن البروتوكولات الأمثل للقيام بالتجربة. متى سنقوم بها؟

أمسكت تيري بشوكتها وقالت:

- بمجرد أن تنتهي أليس من صنع الجهاز، ما لم تخطر ببالنا فكرة أفضل.

قال كين:

- لن تخطر ببالنا فكرة أفضل.

سرت القشعريرة في جسد أليس، قشعريرة من نوع خبيث..

جلست تيري مُغمضة العينين على مقعد في حجرة الكشف بالمختبر. قادها برينز عبر تمارين للتخيل والتجسيد المرئي، تتمركز حول تركيزها على أجزاء من جسدها وتخيله في أتم قوة وصحة. لم تفهم لأي غرض كانت تلك التمارين، لكنها كانت سهلة.

أنهى التمارين سريعًا، وتركها كي تغوص أعمق.

وجدت نفسها مرة أخرى وسط العدم، الا مكان وكل مكان، وحدها.

كانت تحاول أن تجد شخصًا آخر، كما وجدت جلوريا من قبل، لكن محاولاتها باءت بالفشل، ولم تجد حتى ضوءًا من أي نوع.

رغم وجهة فكرة أليس، لكن تيري كرهت صعقها بالكهرباء، فحاولت أن تجد مخرجًا أو خطة بديلة، لكنها فشلت أيضًا.

فجأة، ظهرت كالي أمامها، قادمة من وسط السواد. رمشت تيري متأكدة أنها تهلوس. لكن الطفلة ظلت مكانها، مُحاطة بالظلام.

سألتها تيري في عقلها، وهي تمد يدها نحوها:

- كالي؟

- أنا هنا.. هل أحلم؟

- ربما؟

من يدري؟

الحديث إلى كالي في عقلها، مع مراقبة برينز لها، أعطى التجربة تشويقًا خاصًا؛ ظاهرًا، كانت تيري ساكنة، مُقيدة، مُغمضة العينين، ولا يعلم أحد ما يدور بداخلها.

أنزلت تيري يدها؛ فلم تكن تريد إخافة كالي، وسألت بشكل طبيعي:

- كيف كان يومك؟

كانت كالي في حالة مزاجية سيئة. قالت:

- أصنع صورًا من أجل بابا.

- كما صنعت لي صور دوار الشمس وقوس قزح؟

- كلا..

ورفعت يدها ممسكةً بقلم تلوين. لمحت تيري وشمًا على ذراع الطفلة يحمل الرقم 800.

- أنا أرسم صورًا، أما ما صنعته لك فكان «وهمات».

حاولت تيري ألا تُظهر الذعر الذي أصابها من مرأى الرقم، وسألتها:

- "وهمات"؟ آه.. تقصدين أوهامًا.

- أجل، هذا ما قلت.

لم تُعاشر تيري الكثير من الأطفال، لكنها كانت تعرف أن الجدل مع طفل في تلك الحالة المزاجية السيئة أمر غير مُستحب. عليها أن تُسايرها بخفة أكثر.

- هل عرف بابا أننا تحدثنا؟ أم لا يزال لقائنا سرًا بيننا؟

- قُلْتُ لك أن بابا يعرف كل شيء. لا يمكننا أن نحفظ سرًا بعيدًا عن

بابا.

تصاعد الخوف في نفس تيري، وحاولت أن تحجبه عن الطفلة. هل أخبرته أنها تسللت للقائها من قبل؟ والأسوأ: هل شجعها هو على الذهاب للقائها؟

راقبتها كالي في شك الأطفال حين يرتابون في أن شخصًا يحاول استخلاص معلومات منهم. لو أنها ضغطت عليها، فلن تثق بها الطفلة مرة أخرى.

الآن لا تحتاج كالي للتسلل كي تلتقى تيري..

حدّقت تيري في عيني كالي كي تستطيع الطفلة أن ترى فيهما الصدق،

وقالت:

- أعرف أن المكان الذي نحن فيه يبدو حقيقيًا، لكن بابا لا يعرف

أننا نتحدث هنا. الطريقة الوحيدة كي يعرف بما يجري هي أن تخبريه.

صمتت الطفلة للحظات طويلة، ثم قالت:

- سأفعل ما أقدر عليه.

ثم أردفت بحماس وهي تنظر إلى تيري:

- هل لديكِ أصدقاء؟

- نحن أصدقاء.. أنا وأنت. ألسنا كذلك؟

ابتسمت كالي في سعادة واضحة وقالت:

- أنا أريد أصدقاء أكثر من أي شيءٍ آخر. هل لديك أصدقاء آخرون؟

- أوه، أجل! بعضهم معنا في المُختبر اليوم.

نظرت كالي حولها وسط اللا شيء وكل شيء، فأوضحت تيري:

- لا أعني أنهم هنا "هنا"، لكنهم في المُختبر. ولدي أيضًا أصدقاء

آخرون؛ أندرو...

لماذا عانت كي تُخرج اسمه من بين شفيتها؟

لومي المُخدر، والجيش، والقرعة العشوائية، وبرينر..

لقد كانت عاطفية بشكل غير عادي هذه الأيام. ابتلعت ريقها

وأكملت:

- أندرو واحد من أقرب الناس إليّ.

صاحت كالي وهي تركل الماء تحت قدميها:

- هذا ظلم! لمّ لديك كل هؤلاء الأصدقاء؟ لست مميزة حتى. بابا

أخبرني أنه سيجلب لي صديقًا، لكنه وعدني من قبل ولم يفعل شيئًا.

كانت الطفلة غاضبة، وهذا حقها.

- أليس لديك أي أصدقاء؟

لماذا يُبقِيها برينر مُعزلة إن كان ثمة أطفال آخرون في المُختبر؟ إلهي!

كل ما عرفته عن برينر دفعها لمقتته أكثر. هزت كالي رأسها مُمنة ويسرة

وتقلّص وجهها وهي على شفا البكاء.

قالت تيري:

- هذا ظلمٌ حقًا. أنا سعيدة كوننا صديقتين، وقد حصلت أنتِ على

هذه الصداقة بمفردك، دون معونة بابا.

أومأت كالي، ثم قالت:

- عليّ أن أرحل.

كان لدى تيري المزيد من الأسئلة، فقالت:

- ستزوريني مرة أخرى حين تستطيعين؟

هزت كالي رأسها في عزم، ثم ألقت بنفسها بين ذراعي تيري التي
عانقتها بقوة، ثم انطلقت الفتاة نحو الظلام واختفت فيه.
يا لصمود تلك الطفلة! كم مر من الوقت وهي تحت سيطرة برينز؟
تراحمت الأسئلة في عقل تيري وشعرت بدمعة تنحدر على خدها متأثرة
بالعناق المفاجئ.
الأطفال مُرهقون، لكن.. رائعون!

جلس بريئر خلف مكتب عملاق من خشب البلوط، وكان كبيراً للحد الذي يستحق عنه موقعاً على الخريطة.

الحاجز بيني وبينك هو حاجز رمزي. نحن مُنفصلان باختلاف القوى. وقف رجل الأمن جوار كتف بريئر، وهي حيلة يتفادى بها العاملون النظر مباشرة في عينيه. قال:

- لقد التقوا في الورشة مرتين يا سيدي.

لكن بريئر رغم ذلك حدق في عيني رجل الأمن وقال:

- أليك تسجيل صوتي أو مصور؟

- أخشى أننا لا نملك أيّاً منهما. أرسلنا رجلاً من عندنا كي يحاول إقناع عم آليس جونسون بشراء كاميرات مُراقبة أمنية، لكن الرجل أخبره أن لديه كاميراته الخاصة المخبأة بعناية. لم نقدر على زرع أجهزة تنصت في ورشة مُراقبة من جميع الزوايا.

أخذ بريئر وقته كي يُعدّ الجواب، ثم قال:

- لذا.. فقد جئت تخبرني أن هذا الميكانيكي لديه أجهزة مُراقبة تفوق ما تملك أفضل أجهزة أمنية واستخباراتية على وجه الأرض؟

- لم أقل هذا يا سيدي.

صمت الرجل، وعندما لم يتكلم بريئر أكمل:

- لكن، أجل.. إن كنت تريد أن ترى الأمر من هذه الزاوية. كل ما هنالك أن مخاطرة انكشاف أمرنا لا تساوي أخذ بعض الصور لاجتماع طلبة جامعة سري. لقد نجحنا في زرع أجهزة تنصت في مسكني تيري آيفز وجلوريا أزهار الخاص والجامعي. هذه مواضع هامة.

- اخرج من هنا.

فتح الرجل فمه، ثم أغلقه مرة أخرى. توقع بريئر جدالاً، لكن الرجل هز رأسه وقال:

- أنت كما سمعت عنك.

- أنت لا تعرف عني أكثر من نصف الحقيقة.

لا يفهم بريتر أولئك المهتمين بالعلاقات بين الزملاء، ولا يهتم ما يظنه الآخرون فيه. لا يهتم احترامهم له، المهم هو احترامهم لسلطته.

- كذلك أيها الضابط...

توقف الرجل عند الباب، فأردف بريتر:

- توقّع نقلك من هنا. عملنا ذو طبيعة هامة وحساسة حتى وإن لم

تفهمها. المعلومات السرية سرية لسببٍ وجيه.

- أتوق إلى اليوم الذي يكشف فيه أحدهم حقيقة هذا السيرك.

خرج الرجل، وصفح الباب خلفه دون أن ينتظر ردًا. لكن لا يُهم،

فبرينز لم يكن ينتوي الرد من الأساس.

بالطبع يمكن أن يعطي بريتر لتيري مهمة زرع أجهزة تنصت في

الورشة، لكنه ما عاد يثق ألا تخبر الآخرين.

حان وقت الاطمئنان على ثمانية، التي ما انفكت ترسمه برفقتها

ومعهما شخص آخر برأس مُدوّر، ووجه يحمل علامة استفهام، يُمثل

الصديق الذي وعد بها به.

عليه أن يضيف تلك الرسومات إلى ملفها، لكن شيئًا فيها يدفعه

للغضب، فألقاها في سلة المهملات.

تقلّبت تيري في الفراش لترى وجه أندرو يحدق بها.

- هل كان الزّبد يسيل من فمي وأنا نائمة؟

- تعرفين أن هذا منظر مُحِبَّب لي.

- منظر مُقزز!

- أنت من تقولين هذا.

ابتسم، فسألت تيري:

- كم الساعة؟

- ما زال الوقت مُبكرًا.

وضعت تيري كفها على خده، وكانت تُفضل إرجاء القبلات لما بعد

أن يغسلا أسنانهما. فرائحة نَفَس الصباح لم يكن مما يُثيرها، وكان أندرو

يعرف هذا. سألته:

- لم أنت مُستيقظ إدًا؟ ألا يجب أن نعود للنوم؟

راح أندرو يحدق بها وبدا التردد على ملامحه. قالت:

- حبيبي؟ ما بك؟

- لا شيء. لقد كنت تتحدثين خلال نومك مرة أخرى.

ماذا كنت أقول؟!

- لطالما كنت أتحدث أثناء نومي. أعتقد أن ستايسي حذرتك بهذا

الشأن حين عرّفتك عليّ.

تذكّر ذلك اليوم، فابتسم ابتسامة واهية وقال:

- لقد حذرتني. في نومك، كنت تطلين مني ألا أرحل.

- و...؟

كانت تخشى أن تكون قد قالت شيئًا عن دور بريّنر في رحيل أندرو.

- كنت أيضًا تتحدثين عن كالي ودكتور بريّنر.

يبدو أن ما تخشاه لم يحدث.

- و...؟

- نحتاج أن نتحدث بشأن الجزء الأول.

بعدت تيري كفها عن خده وجلست، ضامة طرف الغطاء إلى صدرها وكأنه سيسقط إن تركته.

- حسناً.

- لا تفعلي ذلك.

واستند بظهره إلى ظهر السرير وأردف:

- حتى فرودو وسام يتجادلان أحياناً.

كانت تشعر بالدموع تحتشد خلف عينيها، تنتظر كلمة أخرى منه كي تهطل كالأمطار. لكنها لن تسمح لهذا بالحدوث، وعليها أن تظل قوية من أجله. ظل أبوها متماسكاً من أجل أمها، وظلت أمها متماسكة من أجل الجميع، وعلى تيري أن تحذو حذوهما.

هذه هي فرصتك، لا تخفقي..

- أقدّر أن قدميك ليستا مُشعرتين مثل سام.. لكن.. اضربني!

ظلت تذكّر وجهه حين التفت إليها، عيناه البنيتان جادتان، شعره

أشعث من النوم. قال:

- حسناً، لا أريد ذلك، لا أريد أيّاً مما سيحدث. لو في استطاعتي أن

أعود.

- لو لك أن تعود بالزمن، هل كنت ستفعل أي شيء بشكل مختلف؟

- على الأغلب لا. لا أريد أن أكون الشخص الذي يخشى فعل أي شيء

خوفاً من العواقب.

- أعرف.

تيري كانت مثله، ولا يحتاج لشرح ما يفكر فيه. فرد أندرو الملاءة

جواره كنوع من تفريغ التوتر:

- تحدثت إلى أمي، وتريدني أن أعود إلى المنزل قبل أن يستدعوني.

سأقضي وقتاً مع عائلتي وأجدادي، هم جميعاً هناك ولا يعرفون لم لم

أعد إلى المنزل طالما تركت الدراسة.

- لكنك تعمل.

وكان قد حصل على وظيفة الفندق.

- لا أحتاج إلى العمل الآن. أنا هنا من أجلك.

توقف عن الحديث وأخذ نَفَسًا عميقًا ثم أردف:

- وهذا يُشعرنى بالأناية. هكذا قالت أمي وهي مُحَقَّة.

غرقت تيري في الأفكار والمشاعر، كانت تتوقع شيئًا كهذا إن لم يكن اليوم فغداً، لكن ليس بهذه الطريقة، أن يخبرها أندرو أنه من الأناية أن يتصرفا كأن لم يتبق وقت يقضيانه معًا، لأنه بالفعل لم يتبق وقت. تصاعد غضبها تجاه والدته؛ ألا تعرف إلى أي حد يحبها وتحبه؟ ألا تعي لم يحتاجان إلى البقاء سوياً؟ لكنها تفهّمت مشاعر المرأة، وتمنّت لو لم تتفهمها.

لو أنها وبيكي علمتا أن أبويهما لن يعودا للمنزل مرة أخرى ليلتها، لغيرت بيكي كل ما كانت تفعل، ولقضت الأيام معهما بدلاً عن الدراسة مع أصدقائها أو حضور الحفلات. كانت لتشاركهما لعبة الـ"سكرايل" والـ"مونوبولي".

كل أب لشاب سيُرسَل إلى فاييتنام يعيش نفس الحالة المؤلمة، وفعلياً لا يوجد سبب مُقنع لتواجده هنا، عليه أن يذهب ليرى عائلته.

- هي مُحَقَّة.

- تيري؟

- أجل. عليك أن تعود للمنزل.

- أتقصدين ما تقولين؟

- لكن إن رحلت إلى فاييتنام دون أن تعود لتودعني، سأضطر إلى الذهاب إلى فاييتنام بنفسى لقتلك!

- سوداوية! أحبك.

- أنا سعيدة أننا اختلسنا بعض الوقت الأناي معًا.

مالت عليه، وتركت الملاءة.. فليذهب نَفَس الصباح إلى الجحيم. قال لها:

- وأنا سعيد أن هذا الوقت لم ينته بعد.

جلست جلوريا في مقعدها خلف أمها وراء الكاونتر. هداً أخيراً متجر الأزهار بعد زحام وقت الذروة، وصار المكان لهما. كان منزلهما على مسافة قريبة للغاية، لكن والديها أصرّا على أن يفصلا محل العمل عن المنزل. العمل كان المكان المفضل للحديث مع أمها عن الأمور الحساسة، فهكذا تضمن ألا تثور أمها أو يعلو صوتها في هذا المكان العام.

استدارت أمها في مقعدها الدوار وقالت:

- نسيت أن أخبرك يا عزيزتي أن القصة المصورة التي طلبتها قد وصلت، ووضعتها أبوك في متجر الهدايا.

- قصة الرجال إكس الجديدة وصلت؟ وتخبريني الآن!؟

لم تكن تلك القصص تُباع بشكل جيد، لذا فقد قلّص أبوها الأعداد التي يعرضها منها، وزاد من المعروض من قصص: المذهلون الأربعة والرجل العنكبوت، وكتب كاتي كين.

لم يناقشها أبوها في هذا القرار، لكنها أصرّت على أن يأتي لها على الأقل بنسخة واحدة من الرجال إكس.

كانت جين جراي، الفتاة التي تُحرك عن بُعد في القصص، هي شخصيتها المفضلة. ربما في يوم من الأيام ستكون هناك شخصية من الأبطال الخارقين تُشبه جلوريا، لكنها راضية الآن بجين.

- أنت وقصصك المصورة!

لم تكن لهجة أمها ساخرة، بل مُحبة. جلوريا مُدركة كم هي محظوظة بوالديها اللذين يشجعانها على اتباع اهتماماتها، والإيمان بأنها قادرة على فعل أي شيء. طالما اقتنعت بذلك، فيمكنها حمل اسم عائلة أزهار بفخر.

كانت العائلة من كبرى عائلات مجتمع الزوج، والحفاظ على مكانة العائلة في مجتمعهم غاية في الأهمية لدى جلوريا وأهلها. لذا، جلست

في مكانها بدلاً من الذهاب لتفقد قصتها المصورة.

قالت لأمها:

- كنت أفكر...

قاطعها أمها ضاحكة:

- أنت دومًا تُفكرين، ما الجديد؟!

- ماما! الأمر جاد.

التفتت لتواجه جلوريا، وتغيرت تعبيرات وجهها إلى الاهتمام وسألتها:

- ما الأمر يا عزيزتي؟

- أنا لا أقول أنني سأفعل ذلك، أنا فقط أفكر وأبحث.

- أنت تُثيرين قلقي!

رن الجرس المعلق فوق الباب، ودخل السيد جينكنز هاتفاً:

- ألما! هل أجد لديكِ باقة وردٍ جاهزة؟ لقد نسيت ذكرى لقائنا

الثالث!

كان أرمل، ويواعد امرأة عزباء من الكنيسة منذ ثلاثة أعوام. قامت

جلوريا وقالت له:

- سأحضره لك، أعرف ما الذي يناسبك.

جمعت بعضاً من أزهار التولب البنفسجية، ولفّتها في ورق خفيف

وربطتها بشريط من ساتان. نادى أمها على السيد جينكينز فهرع

يستلم باقته، ودفع ثمنها ورحل. التفتت إليها أمها وقالت:

- والآن، أكلمي.

كانت جلوريا قد قررت ألا تهتم، فقد كانت تعلم كيف سينقلب

الأمر في النهاية، لكنها أرادت كذلك أن تعرف إلى أي مدى يراقبهم بريتر،

إلى أي مدى سيقف أمامهم إن فكروا في ترك التجارب.

جامعة في كاليفورنيا عرضت عليها الدراسة كجزء من مبادرة تدعم

الطلاب الملونين. رغم أنها لا تنتوي الذهاب إلى أي مكان، لكن الفكرة

نفسها أشعرتها أن ثمة ملجأ تهرب إليه بعيداً عن يدي بريتر. كانت

واثقة أن الرجل ليس بروفيسور زافير¹ كي يساعد أي شخص، لكن أهو شير الرواية حقًا؟

- أتعرفين الجامعة في ويست كوست التي تدعم الطلاب الملونين؟ كنت أفكر في أن أطلب منهم المزيد من المعلومات عن شروط النقل إليهم.

اختارت أن تحكي لأمها مُفردة، كي تتصل بأبيها وتخبره، وبهذا يسمع بريئر حديثهما عن نية جلوريا. عقدت أمها حاجبيها وقالت:

- لكن ألسِ مُرتبطة بالأبحاث في هوكينز خلال هذا الفصل الدراسي؟ لماذا تريدين الانتقال؟

- لست واثقة أنني أريد ذلك. لكنني وجدت أن المُختبر ليس كما ظننته.

لم تُرد أن تشرح أكثر، فانتقلت إلى الحديث عن أمر آخر:

- أنا فقط أفكر في الخيارات المُتاحة أمامي.

بعد صمتٍ، قالت أمها:

- حسنًا. إن كان هذا ما تريدينه يا صغيرتي لتحصلي على مستوى الدراسة الذي تتمنيه، افعلي ما ترينه مُناسبًا. يمكنني مساعدتك في تحضير أوراق التقديم. أعتقد أن أوراقك في المنزل، أليس كذلك؟ الآن اذهبي واقراءي روايتك الغربية.

- شكرًا يا أمي.

قامت جلوريا إلى باب متجر الهدايا لتقابل والدها. لو احتج ستقدّر أمها على تليين عقله. وعلى كلٍ، لم تكن جلوريا تنوي الانتقال إلى أي مكان، بالرغم من ذلك الجزء الضئيل من روحها الذي كان يأمل في الالتحاق بجامعة تُقدّر النساء، وتسمح لمن هُن من أصولٍ إفريقية بالالتحاق بها، ودراسة العلوم حتى أعلى مستوياتها.

لكن..

لم تُرد جلوريا أن تترك بيتها ومسقط رأسها كي تُحقق مكانتها في العالم،

1 - بروفيسور زافير: شخصية من شخصيات قصص الرجال إكس، وهو مؤسس مدرسة لتدريب ذوي القدرات الخارقة.

وما عليها أن تفعل. كان هذا هو الصراع الدائر داخلها.

جزء من مُعضلتها أن أمثال دكتور مارتِن برينر يطبقون عليها ولا يسمحون بالتملُّص من قبضتهم أبدًا. ربما يقاومونه، وعليهم أن يفعلوا، لكنهم كذلك قد يخسرون. كانت تريد أن تعرف حدود قدراته في الإبقاء عليهم تحت طوعه.

لم تتوقع أن تكون قصصها المُصورة تدريبًا على الحياة الحقيقية، لكنها لم تتصور أن تقابل صديقة تخطط لرؤية خارقة عن طريق جهاز صعق كهربى منزلي الصنع.

امتلاك السلطة يضعك في دائرة الخطر، والقُرب من ذوي السلطة يضعك في ذات الدائرة، واكتشاف ذوي السلطة لمحاولات فرارك منهم تقحمك في خطر أكبر بكثير.

وكانت موقنة بذلك..

رفعت تيري قدمها عن مكابح السيارة كي تُبطئ سرعتها، فقد تطوعت بالقيادة كون سيارتها أقل لفتًا للنظر من باقي سياراتهم. من يرى السيارة واقفة عند حدود الغابة سيظنها مُعطلة وذهب سائقها لطلب المساعدة.

أشارت آليس من خلف الزجاج الأمامي للسيارة:
- يبدو هذا مكانًا معقولًا.

وكانت تقصد منعطفًا عند نهاية الطريق، ومن خلفه تبدأ الغابة وظلامها..

وما خلفها..

السور السُّلكي وكشافات الأمن.

مُختبر هوكينز الوطني.

فتحت تيري حقيبة السيارة الخلفية، قبل أن تعرف كيف ستُخرج الجهاز. أمسكته آليس مُغطى بشرشفٍ سميك يكشف عن شكل الجهاز غير المنتظم.

الجهاز الذي سيصعق آليس حرفيًا.

سألت:

- أين الكشافات؟

قال كين:

- الجميع في خدمة الفرد، والفرد في خدمة الجميع.

وأخرج الكشافات من حقيبة السيارة، وأعطى لكل منهم كشافًا عدا

آليس. سألت تيري:

- الدفتر؟

أجابت جلوريا:

- معي، وكذا قلمي المُفضل.

أنار كين كشافه وهتف:

- سأقودك.. سيري أمامي يا آليس وسوف أنير لك الطرق.

قطع شعاع الكشاف ظلّمة الغابة، بينما تقول آليس:

- يمكنني أن أحمل كشافًا بين أسناني. رأيتهم يفعلون ذلك في السينما.

- سأنير لك.

قطع كين الجدل، فاستسلمت آليس وبدأوا مسيرتهم. سألت تيري

جلوريا وهي تضيء كشافها بعد أن ازداد الظلام:

- متوترة؟

راحت الأغصان تلمسك بملابسهم، والبخار يتصاعد من أفواههم.

- للغاية.

- وأنا كذلك.

كانت تيري تشعر وكأن كهرباء تسري في جسدها. نظرت مُجتازة

حدود الضوء الصادر من كشافها، ورأت شخصين ينتظران؛ كين وآليس.

قالت تيري:

- لا أعرف.. آليس من الأفضل أن ندخل مسافة أكبر؟ عشرة أقدام

مئلاً؟

ونظرت إلى جذوع الأشجار مُردفة:

- الأشجار يصلها ضوء من الكشافات العالية للمُختبر.

أكملوا السير كمجموعة من الحمقى تُهاجمهم ظلالهم وأغصان

الأشجار. تذكرت تيري الغابة العتيقة والشجرة الشريرة التي كادت تقتل

الهوبيت في رواية سيد الخواتم. (ليتها سمعت نصيحة أندرو ولم تقرأ

فصل بومباديل وجولدبيري). قيادتها لرفقتها إلى الخطر لم يكن أمرًا

صائبًا، لكن إلى أين يتوجهون سوى إلى خطرٍ؟ ما الخيارات الأخرى؟

لسيت حتى في مركز القيادة.

لمحت مكانًا مُبسطًا وسط الأشجار أمام آليس وكين، وقالت همسًا:

- هذا مكانٌ مناسب.

وضعت آليس جهازها على الأرض، ومسحت جبينها. يبدو أن الجمل

كان ثقيلًا.

- جيد.. أعني، ليس جيداً.. أنتم تعلمون ما أقصد، هه؟
ما أقصد..

ابتسمت تيري لآليس في الظلام، وأغلقت كشافها.

- علينا أن نحافظ على الظلام والهدوء قدر استطاعتنا.

قال كين مُظهرًا جانبًا قياديًا لم يرينه من قبل:

- سنترك كشافًا واحدًا مُضاءً.

وضع الكشاف أرضًا لِيضيء جهاز آليس المُغطى. ثم أزاحت هي عنه

الغطاء، ورأت تيري لأول مرة الجهاز الذي سيوصلون آليس به. قالت

مازحة مُتوترة:

- أنا شاكرة للظلام الذي لا يتيح لي رؤية التفاصيل.

قالت جلوريا:

- أوه يا تيري، لا تَدُمي عملَ مُخترعٍ.

وضعت آليس يديها عند خصرها وقالت:

- كل ما أهتمني أنه يعمل بشكل صحيح، بغض النظر عن مظهره.

ثم اقتربت أكثر من الجهاز وهمست له:

- ثم أنني أراك جميلاً، لا تُنصت لما يقولون.

كان الجهاز عبارة عن أجزاء متفرقة من أجهزة أخرى موصولة إلى

بعضها على طريقة مسخ فرانكنشتاين. لم تتبين تيري ما هي تلك

الأجزاء وكيف تعمل. قالت آليس:

- لنبدأ.

قال كين:

- انتظري، عليك أن تنتظري حتى يبدأ تأثير العقار.

- أجل.. لديك حق.

أخرجت جلوريا من حقيبتها منديلاً فيه القرص الذي سرقته وأعطته

لآليس، التي وضعت في فمها بيد راجفة. أدركت تيري أن آليس رغم

شجاعتها المفرطة، فإنها كانت متوترة مثلهم. قالت:

- سنكون جوارك.

تمنت لو لم تُذكّرْها عبارتها بكلمات بريئٍ لها حين غمسها لأول مرة في حوض الحرمان الحسي.

- لا توتروني أكثر!

كانوا يُنفذون خططهم معًا، ويخاطرون معًا، لا كبريئٍ.

كانت آليس تتعرض لجلسات الكهرباء منذ شهر، وما زالت بخير.. ما زالت آليس. لكن عليهم أن يكونوا حريصين وأن يستغلوا تلك المُغامرة على أكمل وجه.

قالت آليس وهي تُعد الجهاز للتشغيل:

- سأريكم ما ستفعلون.

سحبت بعض الأقطاب المتصلة بمركز الجهاز وقالت:

- سرقتها من المُختبر!

لم تكف آليس عن إثارة ذهول تيري، فصاحت:

- كيف؟!

- عندما كنتُ أفكك أجهزتهم كي أعرف كيف تعمل.

أشارت آليس بأصبعها إلى صدغيها وقالت:

- الأقطاب تُثبّت هنا، وهنا.

أمسكت تيري أحد الأقطاب وشعرت بلمسه البارد البلاستيكي، وشعرت بانفصالٍ عن العالم وكأنها هي من تناولت المُخدر وحلّقت تشاهد هذا الجنون من أعلى.

أخذت جلوريا الأقطاب وثبتتها على صدغي آليس، ثم راحت الأخيرة تشرح لها خطوات توليد الكهرباء والتحكم فيها.

ترددت جلوريا قبل أن تقول:

- سنصعقك مرتين بشدة تيار منخفضة لسلامتك. لكم مرة يكررون

الصعق خلال جلساتك؟

- هذا سؤال مهم.

قالتها تيري حين لم تُجب آليس. فرشت الغطاء وجلست فوقه، ثم

أشارت لآليس كي تجلس جوارها.

سيتبع كين تعليمات جلوريا بشأن تشغيل الجهاز وتدوين الملاحظات، وستكون تيري سَنَدَ أليس وداعهما.

جلست أليس جوار تيري وقالت:

- على حسب.. عليكم صعقي مرتين الليلة.

ثم سحبت الغطاء حول كتفيها وكتفي تيري، وأردفت:

- أشعر أن مفعول العقار قد بدأ.. الأشجار تهمس. امنحوني خمس

دقائق ثم «السعوني».

قالت جلوريا ضاحكة:

- مُصطلح علمي جديد! السعوني!

ثم نظرت إلى ساعتها على ضوء الكشاف. قالت أليس:

- فليحك لي أحدكم حكاية حتى يحين الوقت. ماذا عن قصة أشباح؟

قالت تيري:

- مستحيل! لن نحكي قصص أشباح بينما نحن وسط الغابة المظلمة

وأنت موصولة بمحرك سيارة. فليحك أحدنا قصة لطيفة.

تساءل كين:

- ماذا عن قصة أشباح لطيفة؟

كان واقفاً جوار الجهاز، ثم ركع. قالت تيري:

- طالما لن تُفزع أليس، ولا تحكي عن محرك سيارة مسكون.

أفلتت ضحكة من أليس وقالت:

- هذا ليس مُحرك سيارة، لقد استخدمت بطارية سيارة فقط، لكنني

صنعت الجهاز من...

صفق كين بكفيه مُقاطِعاً:

- وقتُ الحكايات!

أحكمت تيري لف الغطاء حولها هي وأليس، ونسيت ما يفعلونه

وسبب وجودهم هناك. شعرت للحظات أنها في مُخيم أو نزهة خلوية،

وبدلاً عن نيران المخيمات كانوا مجتمعين حول جهاز صعق كهربي

منزلي الصنع.

قال كين:

- منزل عمتي وزوجها كان مسكونًا.

حذرته تيري وقد تبخرت أحلامها:

- من الأفضل ألا تكون قصة مرعبة.

- طالما لم تنتقلوا للعيش هناك، فلن تُخيفكم.

مال كين أمامًا، فأضاء الكشاف وجهه. لم تقدر تيري على المقاومة

فقاطعته مرة أخرى:

- أنا خائفة.

قالت جلوريا:

- لا أؤمن بوجود الأشباح.

همست آليس:

- أنا أؤمن بوجودها.

- عمّي وزوجها آما بوجودها، لأنهما عاشا مع شبح لمدة خمسين

عامًا. عمتي آما وزوجها العم بيل انتقلا إلى أول منزل اشترياه في

الثلاثينيات، وأظهر الشبح نفسه لهما من أول يوم. كان يُحب أن يُحرك

حذاءي عمتي آما في كل مكان، وينقلهما إلى الطابق العلوي أو السفلي.

كان أيضًا يخبئ حزام عمي بيل. وحين يخلدان إلى النوم، يظل يطرق

على الحوائط حتى تصيح عمتي فيه: اخرس!

سألت آليس:

- وكيف عرفت أنه شبح ذكر؟

- لا أعرف! سألت الجيرة، وبحثت عن مُلاك المنزل السابقين، ولم

تعرف من هو الشبح. كان مُزعجًا أغلب الوقت. ثم التحق عمي بيل

بالبحرية، وانتهى به الأمر في كوريا. قالت آما أنها شعرت بالاطمئنان

لوجود الشبح معها أثناء غياب زوجها!

قالت آليس:

- هذا لطيف للغاية.

- وعاد عمك بيل، أليس كذلك؟

حاولت تيري ألا تُدقق في الظلال حولهم، فقد شعرت أنها تتزايد طيلة الوقت.

- عاد.

قالت آليس وأنزلت الغطاء عنها لحظة ثم أعادته:

- أترون، هذه قصة جيدة.

- القصة لم تنتهِ بعد. بينما كان عمي بيل في كوريا، اشتبكت وحدته في معركة «شوزن ريزيفور». وقتها كانوا يستخدمون مصطلح "لفائف توتسي"¹ كناية عن قذائف الهاون. لذا كانوا يطالبون بالمزيد من لفائف التوتسي كي يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم. بعد يومين، سقطت عليهم مظلة الإمدادات، وهرعوا يفتحونها، ووجدوا...

- لفائف توتسي! أرسلوا لهم حلوى! أتمرح؟!

- كلا. عامل اللا سلكي أو أحد الطيارين لم يكن يعرف معنى المصطلح،

وظن أنهم يريدون حلوى.

فتحت آليس فمها، لكن كين قاطعها:

- حين عاد عمي بيل إلى منزله، صارت لفائف توتسي هي تيممة حظه، فقد عاش على أكلها أسابيع في عرض البحر، وظل يحتفظ بواحدة في جيبه دومًا. اقترحت عمتي أما أن يعطوا واحدة منها للشبح، فترك عمي الحلوى على المنضدة جوار الفراش. لم يسمعا أي طرقات ليلتها، وفي الصباح لم يجدا قطعة الحلوى. اعتادا على أن يتركا له واحدة كل ليلة فصار شبحًا مفيدًا، وبدلًا من أن يُخفي الأحذية والأحزمة، صارا يطلبان منه أن يجد أشياء مفقودة، فيحضرها لهما فورًا!

قالت تيري في تعجب:

- أشباح تحب الحلوى! هل جلبت معك أيًا منها؟ أقصد لفائف

التوتسي لا الأشباح!

- أعتقد أن قدراتي الروحانية لا تستطيع التنبؤ بنزوات آليس، فلم

أجلب منها شيئًا.

1 - حلوى ملفوفة بطعم الشوكولاتة كانت شهيرة في الولايات المتحدة منذ عام

1907.

ساد الصمت للحظات، وانتظرت تيري أن يطلب أحدهم قصة أخرى ويؤجلون بدء تجربتهم، لكنهم كانوا في الغابة من أجل التجربة لا سماع القصص. قالت آليس:

- آن وقت "لَسعي".

أمسكت بكف تيري وسألت جلوريا:

- تعرفين ما ستفعلين.

- أتمنى أن ينجح هذا.

أمسكت ذراع الجهاز وأردفت:

- مُستعدة؟

نظرت تيري إلى آليس في الظلام، ورأتها تومئ. قالت تيري نيابة عنها:

- مُستعدة.

ترددت جلوريا لوهلة، ثم شغلت الجهاز. شعرت تيري بجسد آليس ينتفض، وراحت أسنانها تصطك وهي تئن. ثم قالت من بين أسنانها ويدها ترتجفان:

- مرة أخرى.

صاحت تيري:

- كلا!

همهمت جلوريا في أسف:

- مرة أخرى.. أنا آسفة.

انتفضت آليس، وأنتت تيري. همست الأولى بصوت مُهتز:

- في البداية النار، ثم الزهرة.. ها قد بدأنا.

أغلقت جلوريا الجهاز، وأزالت الأقطاب، ثم جلست جوار الكشاف وأمسكت بدفترها وقلمها، وقالت:

- أنا مُستعدة.

انغلقت عينا آليس رغماً عنها، وقالت:

- أشعر أنه يحيط بي.

سألت تيري في رفق:

- ما هو؟

- العالم السفلي.. الأشجار مُحطمة، مُغطاة بشباك العناكب ومادة لزجة أخرى. الأبواغ تطير في الهواء حولي. حلم لا يزال جميلًا.. مؤقتًا. سرت القشعريرة في جسد تيري. سألت جلوريا:

- هل يمكن أن تتوجهي نحو المُختبر؟

استطاعت تيري أن تشعر بالرعب المُتسلل إلى صوتها، فقد بدأت تؤمن أن ما تراه أليس حقيقي.

- لا أعرف.. أحاول. هذه أكثر رؤاي وضوحًا.

ضحكت أليس ضحكة مُنطلقة غير مهمومة، ثم عادت إلى طبيعتها وأضافت:

- أنا أطيّر! أعبّر السياج.. أخترق تأمينهم.

ابتسم كين وتيري، وهزا رأسيهما في رضا. قالت جلوريا:
- استمري.

كانت الغابة الشتوية خالية من أي صوت إلا حركة الأغصان في الهواء. قالت أليس بعد دقيقة:

- ما زلت أطيّر.. لا أرى وحوشًا. يوجد عدد من السيارات غير المألوفة لي في ساحة الانتظار.

- غير مألوفة؟

لم تُجب أليس فورًا، لكنها أردفت:

- لا أستطيع تمييز أنواعها ولا تمييز الأماكن بشكل دقيق.

قالت تيري:

- حسنًا، استمري.

انتظروا لفترة حتى قالت أليس:

- أرى المُختبر، وكأنه مُختبر شبحي شفاف لكنه موجود. أنا عند باب الطابق السفلي. رجل في زي أمني يدخل منه.

قالت جلوريا:

- جيد.

قال كين بينما جلوريا تدوّن ما يُقال:

- هذه هي الجهة الشمالية إذًا.

أكملت آليس بصوتٍ حالم:

- ثمة لوحة مفاتيح إلكترونية من الخارج، لا يبدو أن عددًا كبيرًا من العاملين يستخدمونها. حسنًا.. أنا بالداخل الآن. رواق طويل يشبه أروقتنا. أشعر أن كل شيء يختفي، لا أعرف كم تبقى من الوقت لدي.
قالت تيري:

- ابحثي في العُرف. حاولي أن تجدي الأطفال.

أومات آليس وعيناها مُغمضتان، ثم قالت:

- ثمة رجال في هذه الغرفة.. حجرة مكتب كبيرة. مُتخلّقين حول.. جهاز غريب لم أر مثله من قبل. تبدو كآلة كتابة مُتصلة بها شاشة مُضاءة.. مكتوب عليها حروف.

صمتت هنيهة ثم أكملت:

- ثمة قطع صغيرة من الورق الأصفر مُثبتة على كل شيء. الرجل يضع شيئًا بلاستيكيًا مُربعًا في الجهاز.

دوّنت جلوريا ما قالته، ثم سألت:

- يمكنك قراءة ما على الشاشة؟

- كلا.. الرؤية مشوشة.. أشعر أنني أفقد الرؤية.

قالت تيري:

- أكلمي.

شهقت آليس، فسألت تيري:

- ماذا؟

- الفتاة! الفتاة موضوعة في آلة من نوع ما، يُشغّلها بريتر!

- أي نوعٍ من الآلات؟ أي فتاة؟

سألته جلوريا، فتقلص وجه آليس في محاولة للتركيز وقالت:

- الجهاز أكبر من أي جهاز رأيته، يبدو كأنبوب عملاق وهي ترقد على مُسطح في منتصفه. الأضواء تُحيطها. بريتر يأمرها أن تثبت. يبدو

عليها الذعر بوضوح.

سألت جلوريا:

- هل الفتاة ثمانية أم أحد عشر؟

غريب، تيري لم تُفكر في كالي أو الفتاة الغامضة على هذا النحو، وكأنهما مجرد رقمين. قالت آليس:

- أحد عشر. الفتاة تحرّكت وأثارت حنق بريتر فأبعدها.

قالت تيري:

- اتبعيها.

أومات جلوريا مُوافقةً. فأردفت آليس بهدوء:

- لا أستطيع.. أنا أفقد الرؤية.. لقد خرجت.

سألت تيري:

- إلى أين تذهب؟ هل ترين أي أطفال آخرين؟

- لا أستطيع أن أرى أي شيء.. لا أعرف. أنا آسفة.

راحت آليس تتأرجح أمامًا وخلفًا مُشتتة. مالت تيري نحوها لتهدئتها، لكن قاطعها ضوءٌ مُتحرك يمسح المكان من ناحية المُختبر، تبعه صوت رجل يصيح:

- أهذا هو القطاع المطلوب؟

صاح رجل آخر:

- هذا هو المكان الذي رأينا فيه الضوء.

- غالبًا هم شباب يتعاطون المخدرات.

- سنفزعهم حتى يطير ما يتعاطون عن أدمغتهم!

تقدم ضوء منهم خلال الأشجار. قالت تيري همسًا:

- علينا أن نرحل. أغلقوا الأنوار.

كانت جلوريا قد أطفأت الكشاف بالفعل، وجذبت تيري آليس كي

تقف على قدميها. سألت تيري:

- هل نأخذ الجهاز؟

قالت آليس:

- لا أستطيع حمله، ماذا يحدث؟

- أحدهم قادم.

- اتركوه. لو حملتموه من مكان غير صحيح ستحرقكم حرارته.

أمسك كين الغطاء ولف به الجاهز وهو يقول:

- لن يحرقنا.

ثم حمل الجهاز وأردف:

- جلوريا، تقدمينا.

الأضواء والأصوات تعلو، وتوقعت تيري أن تسمع صوت جهاز إنذار،

لكن شيئاً من هذا لم يحدث. أمسكت تيري بكفي آليس وجذبتها

بحذر خلال الأشجار، مُتوغلين أكثر في الظلام، بينما خطوات كين الثقيلة

تتبعهم. همس:

- انتظروا.

توقفت المجموعة، وسمعوا صوت أحد الرجلين يصيح في موضع

قريب منهم:

- أعتقد أنني سمعت صوتاً.

كانت تيري بالكاد تستطيع التنفس، ماذا سيحدث لو أمسكوهم؟

انحنى آليس ورأتها تيري تقبض على صخرة، وتلقها بعيداً نحو اليسار

عبر الأشجار، فسمعوا صوت ارتطامها العالي بشيء آخر.

تحرك الرجال إلى الموضع الذي ألقى تيري نحوه بالصخرة. التفتت

جلوريا واضعة أصبعها على شفيتها كي يصمت الجميع، ثم تحركوا

بسرعة وخفة نحو سيارة تيري. فتحت تيري حقيبة السيارة كي يضع

كين حمولته فيها، ثم ركبوا وانطلقت السيارة في اللحظة التي ابتعدت

فيها الأضواء المتحركة المنبعثة من برج مراقبة المُختبر نحو الغابة.

لم يتحدث أيهم حتى تأكدوا من أن أحداً لا يتبعهم. أخيراً قالت تيري:

- لقد فعلناها!

قالت جلوريا من المقعد الخلفي:

- بالكاد!

مكتبة
t.me/t_pdf

هتف كين الجالس جوار جلوريا:

- أبلتِ بلاءً عظيمًا يا آليس.

تنهدت آليس من مقعدها جوار تيري وقالت:

- لم أر ما يكفي أبدًا.

آخر ما أرادته تيري هي أن توافقها أنها لم تر ما يكفي، لذا هتفت:

- لكننا نجحنا، وهذا ما يهم.

تمنّت لو أن تلك هي الحقيقة. خيّم الصمت لشعورهم بالهزيمة. ماذا

استفادوا من تلك التجربة، ما الجديد؟

لا شيء تقريبًا..

المزيد من الأسرار.. المزيد من الأكاذيب

فبراير 0791

بلومينجتون، إنديانا.

-١-

افتقدت تيري الخصوصية النسبية التي كانت تشعر بها في منزل أندرو، خاصة في وقت كهذا، حيث تقف في رُدهة مسكن الطلبة المُزدحمة، تنتظر دورها في مكاملة لا تتعدى العشر دقائق قبل أن يُطالب شخص آخر باستخدام الهاتف وهو يرمقها شذراً.
قالت المرأة عبر الهاتف:

- مرحباً.

- مرحباً، سيدة ريتش.

تقافزت تيري من قدم إلى أخرى، التوتر يُشعرها أن بنطالها أضيّق من اللازم. كان عليها ارتداء تنورة اليوم، فالجورب السخيف المصنوع من النايلون تحت التنورة أفضل بمليون مرة مما اعتادت أن ترتديه من سراويل طيلة حياتها. خصر السروال نفسه كان يغوص في لحمها من الضيق.

هكذا يسيطر النظام الأبوي الذكوري على النساء، بتلك الأردية الضيقة المُعيقة.

سألت تيري والدة أندرو:

- هل يمكنني الحديث مع أندرو؟

- سأناديه لك.

كان صوت والدته يبدو وكأنها تعاني من البرد، لكن قبل أن تسألها تيري عن صحتها، كانت قد وضعت السماعة على المنضدة. أبعدت

تيري السماعه عن أذنها لثوانٍ بسبب صوت الاصطدام، ثم أعادتها وأمسكت بها بقوة أكبر وانتظرت.

بعد لحظات سمعت صوت أندرو الخفيض:

- صغيرتي! أحتاج أن أسمع صوتك.. قولي شيئًا.

- شيئًا!

صاح صوت ضحكته المألوفة في أذنها، وكانت أفضل صوت سمعته في حياتها. تمت تيري لو تنفرد به كي تحكي له رحلة «الرفقة» غير المُجدية إلى الغابة، لكنها كانت قد افتقدته وكفى. سألتها:

- ستبدأ محاضراتك اليوم؟

- بدأت أمس.

- وما زال غدا موعداك في المُختبر؟

- ما زال.

ترددت في الحديث، وأسندت رأسها إلى الجدار مُردفة:

- علينا ألا نناقش هذه الأمور عبر الهاتف.

- حسنًا أيتها المُرتابة.

ثم تغيرت لهجته إلى الجدية، فتحضرت لقلوبه:

- لدي ما أقول لك.

- دعني أخمن.. أنت من مواليد الرابع عشر من سبتمبر، وتم

اختيارك في أول الاقتراع العشوائي. الاحتجاجات ضد الحرب ألقته في الحرب نفسها.

- ظريفة! هذا ما أريد الحديث عنه.. تلقيت استدعاء للفحص الطبي.

هذه هي الضربة القاضية، فلم يكن أحد في مثل صحة أندرو. لا

أمل مُطلقًا في التسريح من الخدمة لسبب طبي، خاصة أنه لن يُزيّف

إصابة مثل المُرفهين الذين يتملصون من خدمة بلدهم، حتى لو كان

ذلك البلد يرسلهم إلى مهمةٍ مُميتة. سألته:

- متى ستذهب؟

- الأسبوع القادم. لن يرسلوني للحرب فورًا، لكن...

تنهدت تيري وقالت:

- لكنك ستذهب قريبًا. أتذكّر ما وعدتني به؟ لن تسافر قبل أن نلتقي.

- لا تقلقي. لكني لم أعتد على عدم رؤيتك لأسابيع هكذا.

- حسنًا.

خشيت تيري أن تبكي لو أكملت المكالمة، والبكاء آخر ما قد يحتاج أندرو لسماعه منها.

- عليّ أن أرحل. لدي محاضرة بعد خمس عشرة دقيقة، وأرى كليير وايت آتية تجاهي بأعينٍ ترمي بشررًا!

كانت كليير مُعتادة على الحديث إلى حبيبها والصيح فيه عبر الهاتف كل يوم في نفس الموعد. قال أندرو:

- أحبك يا صغيرتي.

- أنا أيضًا أحبك.

ثم أغلق الخط، فأعدت السماعة إلى مكانها ببطء، مُستعيدة صوت آخر عباراته لها.

من الصعب أن تتعامل كشخصٍ ناضج مع كل هذه الضغوط.

قادت تيري سيارتها وحيدة إلى الورشة هذه الليلة. كانت تريد أن تُفكر، والقيادة تساعدها على التركيز. خرجت من مسكنها قبل الموعد المُحدد بساعة كي تجوب الطُرق المُبسطة، وتُشغل المذياع على أعلى صوت وتغني معه وتبكي.

من المذياع تصاعد صوت أغنية إيفيس بريسلي «عقولٌ مُرتابة»، ورغم أن إيفيس لم يكن مُطربها المُفضل، فقد بكت أكثر من أي وقتٍ، ابتسمت من بين دموعها وهي تتذكر كم كان والداها يحبان أغانيه. كانا يحلمان بالذهاب إلى لاس فيجاس، ولو أنهما كانا حين، لحضرا حفلته فيها الآن.

كلمات الأغنية بالنسبة لتيري تدور حول الحبس وانعدام القدرة على المُغادرة.

تطهيرٌ نفسي..

حاولت أن تُخرج كل ألمها من جسدها خلال الرحلة.

حين وصلت الورشة، وجدت كين وجلوريا وآليس جالسين في مواضعهم المُعتادة، وأدركت أن الغناء لم يُطهرها بالكامل، فأغشتها المشاعر وانهمرت دموعها.

كانت جلوريا أول من لاحظ وصولها، فقامت لملاقاتها.

- ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟

فتحت ذراعيها، فألقت تيري بنفسها بينهما، وتحولت دموعها إلى بكاء عالٍ.

- آسفة.. لم...

ظهر كين وآليس خلف كتفي جلوريا، وسألتها آليس:

- تيري؟!!

هزت تيري رأسها ساخرة من سخفها وقالت:

- آسفة، حاولت التخلص من تلك المشاعر في الطريق قبل أن أصل

إليكم، لكن.. أندرو تلقى استدعاء للكشف الطبي.

قالت آليس:

- سأجلب لك بعض الماء، هذا ما فعله أمي حين يبكي أحد.

- فكرة معقولة.

أطلقت جلوريا تيري من بين ذراعيها، بينما اختفت آليس في ركن الورشة جوار المكتب، ثم عادت بكوبٍ ورقي مُفعم حتى الحافة، تنسكب محتوياته خارجًا، لكن تيري تناولته في لهفة، وهدأتها أول رشفة، فأفرغت نصف الكوب في جوفها.

- أشعر أنني أفضل.

قالت جلوريا مازحة:

- والدتك يا آليس تعرف الكثير من العلوم.

قالت آليس وهي بعد ترمق تيري:

- أمي تعرف أكثر مما اكتشفته كل العلوم مُجمعة.

كان كين قد ذهب إلى نفس الركن الذي عادت منه آليس، وجلب مقعدًا طلب من تيري أن تجلس عليه، فلم تَحْتَج.

الحمقى الهشون الذين ينهارون بين أذرع أصدقائهم يحصلون على مقاعد، هذه هي القاعدة. قالت آليس وهي تنظر إلى كين وجلوريا اللذين ينظران بدوريهما إلى تيري مُتعاطفين:

- نشعر بالأسى تجاه ما يحدث مع أندرو. الأمر أصبح واقعًا الآن.

أطرقت تيري إلى الأرض، أردفت آليس بصوتٍ هادئ:

- ما زال الفرار إلى كندا مُتاحًا.

- ليس مُتاحًا، أندرو لن يفر.

بحث تيري داخل نفسها، وأخرجت ما تبقى من تعقلٍ وأردفت:

- آسفة أنني أخرجت اجتماع الرفقة عن مساره. دعونا نعود إلى

العمل، هل توصل أحدكم إلى أفكار جديدة؟

كانوا قد اتفقوا على تحليل التفاصيل التي أخبرتهم بها آليس قبل أن يُقاطع عملهم في الغابة. بعد فترة من الصمت، بدت أن الإجابة: كلا، لم

يتوصل أحد لأفكار. رفعت جلوريا كفها وقالت:

- أعتقد أننا حصلنا على الجائزة الكبرى في تلك الليلة، أو أنني فقدت اتصالي بالواقع.

سألتها آليس:

- ماذا تعنين؟

جلبت جلوريا الدفتر الذي كانت تُدوّن فيها ملاحظاتها، وقالت:

- حسنًا.. اسمعوني.

قالت آليس:

- نكاد نموت شوقًا للسمع، أليس كذلك؟

- أجل.

قالتها تيري وهي تحاول ألا ترفع سقف آمالها، لكن يبدو أن تلك الآمال لها إرادة مُنفصلة. قالت جلوريا:

- ما أثار تساؤلاتي هو ما قُلْتِه في البداية من أنك لم تتعرفي أنواع بعض السيارات في ساحة الانتظار. ألا ترين أن هذا غريب؟

ضحكت آليس وقالت:

- لقد تربيت مع أشخاص السيارات هي كل حياتهم.

- لذا فقد بدا لي غريبًا أنك لم تكوني قادرة على تمييز طرز السيارات،

هل تذكرين كم سيارة كانت غريبة عليكِ؟

هزت آليس رأسها وقالت:

- لا أذكر كل التفاصيل بوضوح بعد انتهاء رحلتي الغربية، لذا كنت

في حاجة لحكي ما أراه وتدوينه. هل التذكُر ضروري؟

- كلا، فقط مسألة جمع للبيانات لا أكثر.

قال كين:

- أكملني.

- نذكُر أن آليس رأت شيئين غريبين حين دخلت المُختبر؛ وصفت آلة

كتابة ذات شاشة، وقطعة بلاستيكية توضع داخلها. ووصفت آلة تشبه

الأنبوب الضخم والفتاة راقدة بداخله. هل دونتُ كل شيء؟

لا تفهم تيري إلامَ تقود كل تلك الأسئلة، فقالت:

- أجل، أعتقد ذلك.

- على قدر علمي، لا شيء مما رأته آليس موجود بالفعل في العالم. بدت لي تلك الأشياء من عوالم النبوءات والخيال العلمي، شيء منها لم يُخترع بعد.

وتوقفت جلوريا عن الحديث، وكأنها قالت أهم شيء يمكن أن يُقال.

قال كين:

- أشعر بالغباء!

حاولت تيري أن توضح أكثر، لكن آليس سبقتها وقالت:

- في المرات التي رأيت بريترَ فيها خلال رؤاي، كان أكبر سنًا مما هو عليه الآن. لا أعرف كيف لم ألحظ هذا من قبل. أنتِ مُحقة!

وابتسمت جلوريا. قالت تيري:

- ماذا تعنيان؟ حقًا. أتقصدان أن...

قالت جلوريا:

- رؤى آليس مُستقبلية، ولا شيء منها يحدث الآن. كلها ستحدث في وقت ما من المستقبل.

سأل كين:

- حين تكون الوحوش حقيقية؟!

داعبته آليس ساخرة بتعبيرات وجهٍ مُضحكة، وقال جلوريا:

- يبدو الأمر كذلك.

كررت تيري:

- المستقبل؟ ما رأيك يا آليس؟

- سأفهم ما حدث من منظور مختلف الآن وهذا سيفسر الكثير.

استندت تيري إلى ظهر الكرسي، ساعدتها صلابته على التماسك. أخذت رشفة أخرى مما تبقى من الماء. لقد حصلوا على جواب لأسئلتهم، جواب عظيم. لكن..

المستقبل لم يكن سببًا كافيًا لكفهم عن منع بريترعما يفعل. المشكلة

الأساسية تفاقمت، لكن الحلول قد بدأت في الظهور كذلك.

- السؤال هو: كيف نغير المُستقبل؟ مُستحيل، أليس كذلك؟

نقلت نظرها إلى كين، وتوقعت أن يقول أن الأمور لا تسير بهذه الطريقة، لكنه ضحك وقال:

- ثمة أشياء لا يمكن تغييرها، وأشياء لم تُحسم بعد. من يستطيع الحُكم؟

قالت جلوريا:

- لا يمكننا الشكوى في كل مكان أن المستقبل مُظلم. هذا أمر لا يهم أحدًا سوانا.

هتفت تيري في ثقة:

- كلا، الأمر يهم سوانا. لا يمكن لبرينر أن يعرف قدرة آليس على رؤية المستقبل، على رؤية جزء من مستقبله.

وضعت جلوريا كفها على حنجرتها. يبدو أن تلك هي علامة إبداء القلق عندها.

- أتخيلين ما سيفعله لو عرف؟

اتسعت عينا آليس وهي تقول:

- لا أريد أن أتخيل. أنا.. أنا لم أخبركم يا رفاق أن الكهرباء التي عرضت نفسي لها أكثر بكثير من تلك التي يعرضوني لها في المُختبر، والجرعة الزائدة هي ما جعلتني أرى بوضوح. لكن لا أستطيع.

قالت تيري مُطمئنة:

- لن يعرف شيئًا عن قدرتك، ولن تُكرري تلك التجربة مرة أخرى. لكن.. لقد وجدت تلك الملفات في مكتب برينر المرة السابقة، ويمكنني العودة إليها مرة أخرى لجلب أدلة أكثر. هذا أقصى ما يمكنني التفكير فيه وقد علمنا عن الوحوش.. وعن التجارب التي يُجريها على الأطفال ذوي القدرات الخاصة. علينا أن نكرر المحاولة لوقف تلك التجارب.

قالت جلوريا:

- أو...

سألت تيري:

- أو؟

- أو يمكننا محاولة الهرب وعدم العودة مرة أخرى. لدي اختباراتي الخاصة لمعرفة مدى مقاومة بريتر لفكرة ابتعادنا. أظاهر بأنني أنتوي الانتقال لجامعة أخرى، وتوقعت أن يُظهر أي علامة على رفضه لذلك حين بدأت في تحضير الأوراق اللازمة، لكنه لم يفعل شيئًا. ملأ الأمل وجه آليس، وراحت تنظر إلى ثلاثتهم، لكن تيري لم تُرد أن ترفع آمالها. قالت:

- لن أستطيع مواجهة نفسي لو لم أمنع بريتر عما يفعل.

قالت جلوريا مُتفهمة ما قيل:

- أفهم، لكن ثقي بي.. علينا إيجاد مخرج لأنفسنا أولًا.

قال كين برفق:

- ليس علينا أن نغادر الآن. لا أعرف الكثير، لكنني أعرف أن الفرار لن يكون سهلًا. نحن مذعورون، ونكون حمقى لو لم نُذعر. قالت تيري بصوت مُرتجف، وقد كرهت ذلك:

- ولسنا حمقى. انظروا إلى استنتاج جلوريا! لدينا رفقتنا، وعلينا ألا ننسى ذلك. نحن أعظم حلفاء لأنفسنا.

أغشتها مشاعرها ولم تقدر على كتمانها. قالت آليس:

- لن يترك بريتر أحدنا يُغادر دون سببٍ وجيه. ولن يتوقف عما يفعله بالأطفال دون سببٍ وجيه كذلك. هذا منطقي، وعلينا خلق هذا السبب، مما يعني أن علينا مساعدة تيري في البحث عن أدلة ضده. سألت جلوريا:

- لكن، ماذا بعد ذلك؟

صعد قلب تيري إلى حلقها، وشعرت بسخونة خلف عينيها. جرعت الماء وقالت:

- سنعرف لاحقًا. يمكننا التواصل مع صحفي لتقصي الأمر.

رفعت جلوريا يدها عاليًا كأنها تُلقي نخبًا وقالت:

- في صحة الحمقى النبلاء إدا!!

قال كين:

- الأكثر نُبلًا، والأكثر حمقًا!

ودت تيري لو تُلقي نظرة إلى داخل عقله. لكن الحق أن معرفة المُستقبل لا تُساعد في إصلاح أي شيء بالفعل. قالت تيري:

- سيكون أمر الإلهاء والتمويهِ أصعب هذه المرة. بريتر لا يفارقني مؤخرًا.

مطت آليس شفيتها ثم قالت:

- هل يبدو منطقيًا أكثر أن يحاول أحد منا الوصول إلى مكتب بريتر بدلًا عنك؟

رفضت تيري الاقتراح فورًا هاتفةً:

- كلا. هو بالفعل غاضبٌ مني، والأفضل أن نُبعد الشبهات عنكم. لدي كاميرا تصوير فوري الآن، وأعتقد.. أعتقد أنني أستطيع إقناع كالي أن تُساعدنا.

لا تعرف تيري إن كان هذا ممكنًا بعد انفجار مشاعر الطفلة في آخر لقاء لهما، لكن من المفيد أن تجد لها ما تفعله، وعليها أن تفهم أن حريتها على المحك أيضًا.

لأجل أن تُساعدهم، تحتاج إلى أن تثق كالي بها.

- عليّ أن أعود إلى المنزل الآن لأنام، وإلا سأبكي أمام بريتر طيلة الجلسة غدًا. ربما أخسر طيلة الليل فهو يستحق إزعاجًا كهذا!
قالت آليس:

- لكنك لا تستحقين الإزعاج. سأفكر في شيء يمكن استغلاله أثناء جلساتي.

قامت آليس وأجبرت تيري على عناقٍ آخر. لفت ذراعيها من حول تيري، رائحة عرقها والشحوم أشعرتها بالراحة. ثم جاء كين ولف ذراعيه حولهما، ثم طوّقت جلوريا المجموعة الصغيرة وتمايلوا معًا..

قال كين لتيري:

- أنت أقوى مما تتصورين.

دعت تيري الله أن يكون لديه مواهب روحانية حقيقية، وكلامه مبني على واحدة من رؤاه للمستقبل. كانت في حاجة إلى أي قوى إضافية. انتهى العناق الجماعي حين بدأت آليس في غناء إحدى أغاني فريق البيتلز. ثم تفرّقوا كلا في اتجاه. استلقت تيري في فراش سكنها الجامعي الضيق ونامت فوراً. حلمت بالغبابة ومطاردة وحوش آليس لهم خلالها، واستيقظت قبل أن تعرف إن كانت قد نجت من برائتهم.

لم يعرف كين من سيجيب على طرقاته، أو كيف سيفسر مجيئه، لكنه كان محظوظًا.

أطل أندرو خلال الباب السلكي لمنزل والديه وهتف:

- كين؟! ماذا تفعل هنا؟

كان أندرو قد حلق شعره على الهيئة المُعتمَدة في الجيش. أضاء وجهه وهو ينظر إلى السيارة خلف كين وسأل:

- هل تيري معك؟

- كلا. أنا وحدي، وتيري لا تعرف أنني هنا، الأفضل الإبقاء على هذه الزيارة سرًا. حصلت على عنوانك من ديف.

بدت الحيرة على وجه أندرو وهو يخطو خارجًا عبر الباب، ويتركه لينغلق من خلفه.

- هل لي أن أسأل، لماذا؟

- ليس عليك أن تسأل حتى، أنا سأجيبك.

وجود كين في هذا المكان كان ثقيلًا عليه؛ فمنزل عائلة أندرو يُذكره بمنزل عائلته هو نفسه، ولم يزره منذ ثلاثة أعوام.

كان منزل عائلة ريتش مؤلفًا من طابقين، وشرفة ضخمة بها أرجوحة وأزهار شتوية تُشبه تلك التي في منزل أهل كين. قال أندرو:

- يمكنك الدخول. ستُحضّر لك أُمي شيئًا تأكله.

- هذا كرم منكما، لكن أيمكن أن نظل بالخارج الآن؟ أريد أن أتحدث.

- بالطبع.

وأشار أندرو نحو الأرجوحة، فجلسا عليها وتأرجحت بهما. قال كين:

- أشعر بغرابة في أن يوصل المرء أخبارًا سيئة وهو يتأرجح.

تنهد أندرو وقال:

- هذه هي نوعية الزيارة إذًا. لا أعرف إن كنت أصدق أن لديك قدرات روحانية، لكن هل أنت هنا كي تطلب مني ألا أذهب للتجنيد؟

أنزل كين قدمه على الأرض ليمنع الأرجوحة من الحركة وقال:

- لا تتضايق مني، فأنا لا أقلق بصدد هذا. حاولت أن أرى ما سيحدث

لك أنت وتيري، لكن كل ما لدي مجرد شعور. تيري تُكافح.

- تيري تُكافح؟

بدا أندرو مُتشككًا في البداية، ثم قَبِل ما قِيل مُضيفًا:

- أتوقع أن تُخفي عني شيئًا كهذا. ماذا في وسعي أن أفعل؟

لم يكن كين واثقًا أنه يفعل الصواب، لكنه قال:

- لهذا السبب أنا هنا. المفترض ألا أَدْخُل كما كانت تنصحنني أُمي

دومًا.

لكنه عرف الآن أن أمه لم تكن على حق.

- لكن إن كان تدخُّلك سيساعد تيري، فالأمر يستحق.

- أعتقد أن عليكما الانفصال أثناء غيابك في الحرب. راودني شعور قوي

أن هذا أفضل بالنسبة لمصلحتها.

ظل أندرو صامتًا وهلة، ثم قال:

- هل أنت واثق أنك لا تريد مواعدها؟

- واثق.

- حسنًا، إن لم أعد فلك مُباركتي على مواعدها. حسنًا.. سأفصل عنها.

- ببساطة؟!

توقع كين جدلاً أو مناقشة لا يستطيع الصمود أمامها.

- أعرف أنك تهتم لأمرها. لو أن هذا سيساعدها، فسأفعله. أرى أن

هذا عدل، وعليها أن تكون حرة حتى نرى ما سيحدث في الحرب. لقد

كنت أفكر في هذا الأمر بالفعل.

حدَّق كين في جانب وجه أندرو، مُحاولاً سبر أغوار مُستقبله، لكنه

للأسف لم يستطع.

عبرت نسمة هواء غير موجودة جوار تيري، تراقصت على أثرها الأشجار الشبحية حولها، واصطكَّت أوراقها كالأسنان. كانت ترى من خلال كل هذا فراشها في حجرة الكشف والأرضية المميزة للمُختبر. وُضعت كف على كتفها، وسمعت صوتاً يقول:

- آنسة أيفز؟

صوتُ شيطان، تبدو أسنانه ضخمةً في فمه وهو يتكلم.

- تيري، ماذا بكِ؟

- أنت تعرف..

قالتها تيري، أو ظنت أنها قالتها. من الصعب التأكد. ظل عقلها يجول اليوم حول الغابة والوحوش. دكتور بريتر أمامها يسألها أسئلة لا تُفِيد. كم مر من الوقت وهي ضائعة في غابات الهلاوس، خلف جدار شفاف يحجبها عن المُختبر؟ أربع ساعات؟ خمس؟ كانت خائفة أن تُغلق عينيها.

لم تكن قادرة على الذهاب إلى عالم العَدَم لترى إن كانت ستقابل كالي هناك وتتحدث إليها. العقار جعل تذكُر السبب الذي أرادت من أجله كالي زَلْقًا غير واضح.

اصطكَّت أوراق الشجر حولها مرة أخرى.

سأل المُساعد:

- هل نُعطِيها مُهدئًا؟

أمسك بريتر بمعصمها يقيس النبض، حاولت أن تُبعده، لكنه تمسَّك أكثر.

- دعني أذهب! الآن!

لمع شبح ابتسامته في عينيه الزرقاوين الباردتين وقال:

- وإلا...؟

قبضت تيري كفها، وفتحت فمها لتصرخ..

ثم أبعد يده ليضع سماعتي المسماع الطبي في أذنيه اللتين بدتا كأذني ذئب، وشرع يسمع قلبها. انتفضت وهو ينقل المسماع البارد إلى بطنها،

وعلا صوت دقات قلبها في أذنيها، فمدّت يدها تدفع عنها المسامع.

- استرخي!

قالها بريتر وتراجع، ثم قال للمُساعد:

- قياساتها الحيوية جيدة، النبض يتسارع، لكن لا شيء خارج تأثير الضغط العصبي أو عقار الهلوسة.

قالت تيري للمُساعد من خلف كتف بريتر:

- هو يعني أنني أخوض رحلة هلاوس قاسية.

قلّبت رأسها يُمنة ويسرة مُردفة:

- أريدكم أن تتركوني وشأني.

قال بريتر بنبرة مُستمتعة:

- سنكون معك حتى تستفيقي.

أكان مُستمتعًا حقًا أم أن عقلها يتلاعب بها؟

أيًا كان، فقد أغلقت تيري عينيها، ومن خلفهما بدأت تعدو وتصب

تركيزها على الابتعاد عن مارتين بريتر. بعد قليل نجحت في الهرب

خارج حدود الحجرة والغابة الكثيفة وأحاطها عالم العدم.

قدماها تعدوان على سطح الماء المُميّز للا مكان وكل مكان.

فتحت عينيها لترى الظلام الهادئ في كل اتجاه. ما زالت غاضبة،

تلهث في ضيق، لكن سُرعان ما بدأت تهدأ حين ظهرت كالي أمامها،

تتفافز نحوها، تنثرُ الظلام حولها والماء تحت قدميها.

تلك الطفلة البائسة مرت بما هو أقصى مما تتصور تيري.

دراسة تيري النظرية تؤهلها للتعامل مع الأطفال، لكن التنفيذ

العملي تحت وطأة عقار الهلوسة جعلها تشعر أن التعامل مع كالي

يشبه العبور وسط حقل ألغام معصوب العينين، خاصة بعد غضب

الطفلة آخر مرة بسبب كثرة أصدقاء تيري، ثم عناقها المفاجئ القوي.

تألّمت تيري من أجل الطفلة الغضبي اللطيفة الوحيدة.

حاولت إخفاء مدى ارتياحها كون كالي هنا؛ لم تكن تريد إرعاب

الطفلة. هتفت كالي:

- مرحبًا! طلبت منهم تقويمًا للتاريخ وقد جلبوه لي! أضع علامات

على الأيام، وعرفت أن أيام الخميس هي الأيام التي تأتي فيها.

قالتها في خجل، فانحنت تيري لتصل إلى مستوى طولها. لم تكن كالي تحب أن يمسه أحد، ما لم تُبادر هي، لذا ترددت تيري في تمسيد الشعر الأشعث خلف أذنيها. سألتها:

- أوجد صور في تقويمك؟

قفزت كالي قفزة صغيرة وهي تقول:

- لكل شهر صورة لحيوان، وحيوان شهر فبراير هو النمر.

- للنمر أسنان عملاقة!

- النمر تزار!

وقلّدت كالي صوت النمر وهي تتفافز حول تيري، ثم توقفت فجأة عن الحركة وقالت:

- اعتادت أمي أن تقلد صوت الزئير وهي تحكي لي قصصًا عن النمر، وقد أطلقت عليّ اسم معبودة هندية ترتدي جلد النمر وتقاتل بشراسة.

إدًا الفتاة لها منزل وأهل، سألتها تيري:

- وأين أمك الآن؟

- رحلت.

وتلاشى مرح كالي وهي تركل الماء في حزن:

- رحلت.. رحلت، رحلت!

قالت تيري:

- أمي رحلت كذلك.. كالي.. كم من الوقت مر عليك هنا؟

ثم أدركت تيري أنها سألت سؤالاً غير دقيق فأردفت:

- كم مر عليك وأنت برفقة دكتور بريتر؟

ما زال السؤال غير دقيق..

- أعني برفقة بابا؟

- لم يكن لدي تقويم من قبل، فلا أعرف.

- تقولين أنهم جلبوا لك تقويمًا، من هم؟

- مُساعدو بابا.

حاولت تيري أن تُسيطر على صوتها وهي تسأل:

- إدًا أنتِ تعيشين هنا؟

- هذا بيتي مؤقتًا..

أجل، مؤقتًا..

- هل يثور بابا عليك؟

أومأت كالي مُجيبة:

- طيلة الوقت. يثور كثيرًا جدًّا!

ثم ضحكت في مرح وأضافت:

- أحيانًا يُعطيني حلوى كي أهدأ، ولهذا جلب لي التقويم.. كي أهدأ!

لم تُرد تيري أن تطلب من الطفلة أي شيء قد يُغضب برينر منها، ثم خطر ببالها خاطر مُفزع. سألتها:

- هل.. يؤذيك؟ عندما يثور؟

فكّرت كالي ثم أجابت:

- كلا. هو فقط يكذب كثيرًا ولم يحضر لي أصدقاء كما وعدني. لكنه

أقسم أنه سيجلب لي أصدقاء قريبًا.

اعتبرت تيري أن إجابة كالي كانت بالنفي، وكان هذا غريبًا باعتبار

ما رآته آليس من إيذائه للطفلة الأخرى في المستقبل وإرسالها لمكان تُعاقب فيه.

لكن الفتاة لم تكن تكذب، ويبدو أنه لا يؤذيها بنفس الطريقة التي

تصورتها آليس، فهو يُسكنها في المُختبر وهذا إيذاءٌ كافٍ.

قررت تيري أن تُكمل حديثها:

- في لقائنا السابق أخبرتك عن أصدقائي، أتذكّرين؟ آليس، وكين،

وجلوريا. بابا يؤذينا، يُجبرنا على تعاطي أدوية لا نريد تعاطيها. نحن لا

نريد أن نأتي إلى هنا مُجددًا.

- هل ستتركيني؟

- نريد أن نخرج جميعًا من هنا.

وفكرت تيري في ما عساه يكون رمزًا مألوفًا عند الطفلة للعالم

الخارجي، فسألتها:

- أتريدن الذهاب لحديقة الحيوان؟ لتشاهدي نمرًا حقيقيًا؟

- أجل! وأريد مُقابلة أصدقائك أيضًا.

- في يومٍ ستفعلين. أريدك أن تحاولي الخروج من هنا، أن تُخرجينا

جميعًا من هذا المكان.

- لكن بابا لن يسمح بهذا.

قالت بحذر وهي تُراقب تعبيرات وجه كالي:

- ربما استطعنا إجباره. لمساعدتي ومساعدة أصدقائي، عليّ الذهاب إلى مكتب بابا في المرة القادمة التي أكون فيها هنا. هل تستطيعين تشتيته؟ أريدك أن تفعلي شيئًا لا يثير غضبه، لكن يُبقيه هو ومُساعديه بعيدًا عني لفترة.

صمتت كالي، غير مُفكرةً طويلًا. حين يئست تيري، قالت الطفلة أخيرًا:

- أستطيع فعل ذلك. بابا يستحق العقاب على كذبه.

- أجل! هو يستحق!

- حسنًا، عليّ الرحيل الآن.

وتقافزت كالي مُبتعدة دون أن تُتيح لتيري فرصة عناقها.

لماذا تشعر أن الأمور لن تسير بشكلٍ صحيح؟ كان عليها أن تكون مُحددة في طلبها وألا تسمح لكالي باستخدام قواها، لأنها بهذا الشكل ستكون مُستغلة مثل بريتر.

على أية حال، لديها أسبوع كامل تقلق فيه بشأن نجاح خطتها. عادت عبر العدم، تنثر الماء تحت قدميها بلا صوت، مُتخيلة مُورًا شبحية تتحرك حولها خلف الظلال.

كانوا في مُختبر هوكينز منذ ساعاتٍ وساعات، وأدركت آليس أن موعد رحيلهم قد اقترب. موعد الانصراف لم يكن قريبًا إلى هذا الحد، لكنها تمسّكت بالفكرة.

أنهت جلسة الكهرباء اليوم، وجلست عند حافة الفراش مُنتظرة انتهاء اليوم الحافل.

كانت آليس مُتحفظة مع الدكتورة باركس على غير المُعتاد، تُجيب عن أسئلتها بحرص وتختار كلماتها بدقة، ولم يبدُ أن المرأة قد لاحظت هذا.

فكرة أن يعرف بريتر ما رأته ويفهمه كانت مُفزعة للغاية، لكن عليها أن تظل قوية من أجل تيري والفتاة الصغيرة من المستقبل. لمحتها آليس مرة أخرى خلال رؤى اليوم، وكانت تُكرر عبارة ما كي تُرضي بريتر، ثم غشتها صور عقلية مُتلاحقة أبعدها عن المشهد.

كانت قد دفعت نفسها لأقصى حدود المغامرة في تلك الليلة في الغابة حتى شعرت أنها قد تأكلت. عليها التعامل بحرص اليوم والرفق بعقلها. تمنّت لو أن هناك طريقة تُخبر بها الفتاة من المستقبل أنها ليست وحدها، وأن آليس تُراقبها وتعاني من أجلها، وأن تيري تسعى لمُساعدتها، وأنهم جميعًا يعلمون بشأنها.

لكن بالطبع لم تكن ثمة طريقة.

غادرت دكتورة باركس مع مُساعدتها بعد أن سمعت آليس في مُكبر الصوت شخصًا يُكرر عبارة: «الرمز النيلي».

النيلي كلمة جميلة، لونها جميل.

النداء وبقايا عقار الهلوسة في جسدها أغرقا الحجرة حولها باللون البنفسجي المُزرق. حين انفتح الباب توقعت آليس أن تكون دكتورة باركس قد عادت لتُخبرها أن وقت الانصراف حان، لكن بدلًا منها وجدت فتاة صغيرة، ولم تكن الفتاة التي رأتها في رؤاها، كانت الطفلة التي وصفتها تيري. بشكلٍ ما لم تتخيلها آليس في رداء مشابه لما ترتديه

الآن. كانت أصغر حجمًا وسنًا من الفتاة التي رأتها في المستقبل.
قامت آليس من الفراش واقتربت منها، فرمى كان كل ذلك مجرد
هلوسة. قالت لها بعينين نصف مُغمضتين:
- كالي؟ أنتِ حقًا هنا؟
ابتسمت الطفلة لها وقالت:
- كيف عرفتِ اسمي؟!
ثم هزّت رأسها وأردفت:
- تيري أخبرتك. كنت أظنك مثلي. من أنتِ؟
قالت آليس ولم تستطع أن تُقاوم الابتسام:
- أنا آليس.

هذه ليست هلوسةً أو أوهامًا من أثر العقاقير. الطفلة في الحجرة
بالفعل. كيف؟

- هل مسموح لك بالتواجد هنا؟
أجابت كالي في مرح:
- كلا! هربت! أردتُ أن أقابل أصدقاء تيري. هي طلبت مني أن أقوم
بتشيت الأَطباء. هل أنا وأنتِ صديقتان الآن؟
- بالطبع نحن صديقتان! كنتُ أظن أن تيري طلبت منك أن تُشتتي
الأطباء الأسبوع القادم.

كانت هذه هي الخطة، هل تغيرت؟ رفعت الطفلة عينيها إلى أعلى
وهي تقول في ملل:
- سأفعلها مُجددًا.

خطر لآليس خاطرًا، فسألته:
- هل تتألمين عندما تصنعين الأوهام؟
- كلا. حسنًا.. أحيانًا ما أشعر بوخز في رأسي.
رأتها آليس تمسح ما تحت أنفها كأنها تزيل شيئًا، ثم أردفت:
- وأنزف بعض الدم.
- هل أنتِ مُصابة؟

اقتربت آليس منها عازمة على مُساعدتها إن كانت كذلك. أمسكت
بفك كالي واقتربت تفحص أنفها، تمصت كالي لكنها لم تفلح من الفك

من يد آليس المُعتادة على الإمساك بإخوتها الأصغر.

قالت كالي وهي تُقاوم:

- أنا لا أصنع "الوهومات" الآن! عمومًا الدم هو الثمن.

- أي ثمن؟

أبعدتها كالي وأجابت:

- هذا ما يقوله بابا. ثمن «الوهومات».

هتفت آليس وقد أدركت أنها الأكبر سنًا وعليها توعية الطفلة:

- ثمن؟ ليس عليك أن تدفعي أي ثمن. أنت طفلة!

عارضت كالي:

- أنتِ طفلة؟! أنت لا تعرفين شيئًا! أنتِ عادية!

وضعت آليس يدها على كتف الطفلة، وحرصت على ألا تستطيع

التملُّص منها وقالت:

- كالي، انظري إليّ. أنا أفهم وأنا لستُ عادية. هم يوصلونني بأجهزة

تتسبب لي في ألم شديد. هذا هو الثمن الذي أدفعه.. الثمن مُقابل ما

عليّ رؤيته.

سألت كالي وقد أثارت آليس اهتمامها:

- ما هي الأشياء التي ترينها؟

وبدأت آليس في إخبارها عن الوحوش والفتاة المُعذَّبة، ثم أضافت:

- أنتِ تخلقين أوهامًا.. أشياء غير موجودة، آليس كذلك؟ أما أنا فأرى

أشياء لم تحدث بعد، لكنها حقيقية. أنتِ تخلقين أوهامًا وأنا أرى رؤى.

حدقت كالي بها بعينين لامعتين وقالت:

- أوه.. أنتِ مثلي! لدي أصدقاء مثلي الآن! هل كين وجلوريا مثلي

أيضًا؟

شعرت آليس بكرٍ وهي تقول:

- كلا. لكننا جميعًا سنُساعِدك. لن تتركك تيري هنا.

- أحبك يا آليس! يمكن أن نصير مُورًا!

وزارت وهي تلوي ملامحها وتُطلق أصواتًا مُخيفة مُضحكة.

ضحكت آليس على الرغم من احتراق قلبها على الطفلة البائسة التي

يؤذيها بريتر. لم تشعر من قبل بغضبٍ حقيقي إلا الآن. قالت لكالي

وهي توخز بطنها مازحةً:

- حسنًا، سنكون نمورًا، لكن، أليس عليكِ العودة الآن إلى حيث يجب أن تكوني؟

أمسكت الطفلة يدها وأجابت:

- سأذهب. لو وجدني بابا هنا ستقعين في مُشكلة.

وأفلتت كالي يد آليس، ثم لَوَّحت لها وسارت نحو الباب. كانت صغيرة للغاية حتى أن آليس تبعثها لتساعدتها على فتحه.

احتجَّت كالي لمحاولة آليس وقالت:

- أنا قوية!

كان هذا منطقيًا، هي قادرة على فتح الباب وإلا كيف دخلت من الأساس. تحب آليس الفتيات العنيدات. قالت لها:

- أرى أنك قوية فعلاً.

وقفت كالي عند فرجة الباب للحظة كي تقول:

- سأراكِ الأسبوع المُقبل! لدي تقويم!

وأغلقت الباب خلفها، واختفى الإعصار المرح المُحير الذي يُدعى كالي.

- أين كنتِ؟! -

هتف بريترَ وثمانية تقترب من باب حجرتها آتية من جهة الرواق. أوماً لأفراد الأمن والمتحلقين حوله وقال:

- اتركونا وحدنا لحظات.

قالت كالي في عنادٍ واضح:

- ليس من شأنك!

رأى بريترَ كيف نظر الآخرون إلى ثمانية مُحدقين في بلاهة. عليه أن يُحاضرهم في كيفية التحكم في ردود الأفعال بشكل مُحترف خلال المواقف الحاسمة مثل استهزاء طفلة بطاقم العمل وخروجها من حجرتها المُغلقة.. مرةً أخرى.

كان يعرف أنها لم تذهب إلى تيري، لذا كان يخشى الأسوأ: أن تكون ثمانية قد هربت بشكل ما. قواها الخارقة كان تُشير إلى أنها ستحاول الهرب في يوم ما، وربما تنجح.. إلا إذا أطفأ رغبتها في ذلك. لهذا السبب كان يُعاملها برفق.

لم يأت لزيارتها منذ أيام، وكان عليه أن يتوقع هذه النتيجة.

سمح لشعوره بالقلق بالغوص إلى داخله والاختفاء مؤقتًا، كل ما هنالك أن الطفلة تحتاج إلى اهتمام أكثر ليس إلا. لم يصل الأمر إلى حد محاولة الهرب، إلى حد استخدام قواها ضده.

هي مجرد طفلة في الخامسة، وليست بالدهاء الكافي كي ترغب حتى في الهرب. عليه أن يثق أن بروتوكولاته ستفلح في الإبقاء على الوضع على ما هو عليه.

عندما صمتت، قال:

- الآن، أين كنتِ؟ أعرف أنك لم تذهبي لزيارة الأنسة آيفز لأنني كنت معها عندما انطلق جهاز الإنذار.

قالت ثمانية:

- كنت مُختبئة.

- أين؟

كانت عينا ثمانية دائرتين مُتسعيتين من اللون البني البريء. قالت مُبتعدة عنه:

- في مكانٍ قريب. أردت أن أراك وأنت تبحث عني وظننتك ستفرح لهذا.

- هل كنت تظنين أنني سأفرح لأنني لا أستطيع أن أجدك؟
سمع شهقة من خلفه، صادرة من أحد الأشخاص الذين لم يكن عليهم سماع ما يدور. لو عرف من هو سيطرده من المُختبر بشكل نهائي.

أكمل بريتر وهو يحملها بين ذراعيه:

- بالطبع لا. كنت أعلم أنك ستعودين. هل نحضر لك بعض الآيس كريم من المطعم؟

المطعم يقدم الآيس كريم للأطفال الموجودين، فمن السهل رشوتهم وكسب رضاهم. مُتعمهم بسيطة وذاكراتهم قصيرة. سيُعاقبها لاحقًا حين يتخلص ممن يُراقبونه، وستُعاقب بطريقة لن تنساها.

ترددت ثمانية قبل أن تسأل:

- هل نحن صديقان؟

لم يعرف بريتر بما يُجيب. لم تكن هذه من أسئلتها المعتادة، فأجاب بما ظنه معنى سؤالها:

- أنا أعمل على إيجاد صديق لك. أعدك.. قريبًا.

ظلت الطفلة ترمقه بطريقة لم تُعجبه، فقال:

- لكن أولًا، علينا أن نُحضر الآيس كريم.

- أجل يا بابا.

من منظر عينيها الناعستين أدرك بريتر أنها ستسقط نائمة قبل أن يصلا إلى المطعم. عليه أن يواظب على زيارتها كل يوم حتى لو لم يكن لديه ما يفعله معها.

يجب كذلك أن يُنفذ عقابها بنفسه، وعليه أن يحتفظ برسوماتها التالية وأن يُبقي الطفلة قريبة منه.

مرت ثلاثة أسابيع، وكاد فبراير أن ينتهي.

انتظرت تيري حضور كالي إلى عالم العدم خلال الجلسات السابقة، لكنها لم تأت. لم يحدث تمويه آخر لحث بريتر على مغادرة حجرتها بعد آخر مرة. كان عليهم الآن رسم خطة جديدة، لكن بدلاً من ذلك وجدوا أنفسهم مجتمعين تحت سماء صيفية وجو دافئ غير مُتوقَّع مُنغمسين في «ممارسات مُمتعة» كما تُطلق عليها آليس.

نظرت تيري إلى النسخة المُجدِّدة من سيارة قوية، مطلية بلون أحمر ناري ومنقوش على واجهتها الزجاجية الأمامية بالذهبي جناحان.

- هل هذه سيارتك؟ وكيف ستسعدنا جميعاً؟

رفعت آليس عينيها في ضيق ساخر وقالت:

- أجل أيتها الأميرة. ستسعدنا جميعاً.

ثم نظرت مُعتذرة نحو كين وجلوريا وأردفت:

- على الرغم من أن من سيجلس في المقعد الخلفي لن يجد مُستعاً كبيراً لساقيه.

قالت جلوريا:

- الرحلة رحلة تيري، وستحصل على المقعد الأمامي.

ذُكرت تيري الجميع هاتفة:

- تيري لا تُحب السيارات.

قالت آليس:

- الجميع يحبون سيارات فايربيرد، ما عدا الشيوعيون. عمي موافق

على دخولنا إلى «المحجر» وتجربة السباق بالسيارات.

و«المحجر» هو الاسم الذي يُطلقه المحليون على حلبة السباق التي أقيمت بها سباقات إندي 005. تذكُر تيري مشاهدة أبيها لتلك السباقات السنوية على شاشة التلفاز.

سأل كين آليس:

- هل هذه سيارة عمك؟

تذكرت تيري واحدة من أمنيات آليس التي أخبرتها بها في بداية
تعارفهما، فقالت:

- ظننتك ستشترين سيارة فايربيرد لنفسك. كم ينقصك من المال؟
- قررت أن أدخر المال لوقت حاجة.

مس كين الإطار الأمامي للسيارة بطرف حذائه الرياضي الأبيض المتسخ
مُقاومًا ركله واستفزاز آليس. قال:
- الطريق طويل، ربما أدخن بعض ال...
قاطعته آليس:

- تدخين الماريجوانا ممنوع في هذه السيارة. المركبة جديدة وليست
حتى سيارتي. عليّ غسلها كل أسبوع لمدة ثلاثة أشهر مقابل استعارتها
اليوم!

كان ترتيبها للحملة الاستكشافية لمضمار السباقات لطيف، لكن تيري
كانت تُفضل أن تنام قليلًا بدلًا من كل هذا.

كانت تيري قد توصلت لتفسير لعدم زيارة كالي لها، فوجودها مع
آليس ربما منعها من رؤيتها مرة أخرى. لا بد أن برينر اكتشف الأمر.
دعت الله أن تكون الطفلة بخير.

تلقت أمس كذلك مكاملة من أندرو يخبرها فيها أنه قادم لوداعها
خلال يومين. أقل من أربعين ساعة تفصلها عن وداع الشخص الذي
أحبته. دعت الله أن يعود سالمًا.

كل الضغوط تُحيق بها، والأمرُ أنها بلا حيلة تمامًا، ولم تشعر بهذا
الشعور المقيت من قبل. تيري آيفز كانت مُقاتلة، كانت كما أرادت
وأراد والداتها أن تكون. لن تُحب بيكي ما آلت إليه قرارات تيري، لكنها
كانت قد تمادت إلى الحد الذي تستحيل معه العودة.

أمرت آليس تيري وهي تشير إليها:

- أزيلني هذا العبوس عن وجهك، واركبي السيارة!

- حسنًا!

وأجبرت تيري فمها على الابتسام. تكدسوا داخل السيارة، وراحت
تيري تغير جلستها وصوت احتكاكها بجلد المقعد يتعالى وهي تحاول أن
تجد وضعًا مريحًا. قالت جلوريا:

- أشعر كأنني مهرج جالس في عربة أطفال!

- لا تُقارني هذه التُحفة الميكانيكية بسيارة مهرج! اسمعني هذه السيمفونية!

وأدارت آليس المُحرك فهدر باعثًا الحياة في الجسد المعدني. صاحت تيري:

- صوتها مزعج!

على الرغم من ذلك فعليها الاعتراف أن رائحة السيارة زكية. حرّكت آليس عصا نقل الحركة، واستدارت بالسيارة بسرعة فائقة لم ترق لتيري، لكنه كان تصرفًا رائجًا وقتها.

كانت تيري قلقة بشأن مخالفات السرعة، لكن آليس لم تكن قلقة لهذا الشأن. قطعت السيارة الطريق وكأنها تلتهمه، وبعد مرور عشرين دقيقة واستمرار ابتسامه آليس العريضة خلف المقود، بدأت تيري تشعر بالاستمتاع.

تبع الاستمتاع شعورٌ بالذنب، لكنها أبعدته، ليس عليها أن تشعر بالذنب كونها حية، سعيدة، تستمتع بينما تتظاهر أن كل الكوارث التي اجتمعت عليها غير موجودة.

لكن عليها ألا تتظاهر للأبد. مدت تيري يدها وأمسكت المقود كي تلفت نظر آليس، وحركت شفيتها بكلمة «شكرًا» غير مسموعة. ابتسمت آليس أكثر وهتفت:

- عفوًا!

ضحكات جلوريا وكين خلفها كانت كالموسيقى، وأقسمت أن تفعل أي شيء لحماية هؤلاء الأشخاص الأعزاء.
أي شيء..

الفصل التاسع داخل الحوائط

مارس 1970
بلومينجتون، إنديانا.

-١-

علمت جلوريا فور دخولها حجرة الطعام في منزلها أن شيئاً يجري. كانت أمها قد صنعت سلطتها الوردية المفضلة المكونة من حبات الهُلام وحلوى الخطمي (مارشميلو) والتوت، وكان هذا طبقاً لا تُعده إلا في عيد الشكر، ونادراً ما تُعده في المناسبات الأخرى. على جانبٍ آخر، وضع أبوها كومة من القصص المصورة الجديدة جوار طبقها، ولم يكن يجلب تلك القصص إلى المنزل، فقد كانت تسليته تكمن في فحصها في المتجر كي يتأكد من أن طلبيته مضبوطة.

”الرجال إكس“ هي سلسلة القصص الوحيدة التي تعشقها جلوريا، لكن مبيعاتها كانت منخفضة للغاية في متجرهم. سألت جلوريا:

- ماذا حدث؟ هل جدتي بخير؟

أجابت أمها من جلستها عند طرف المائدة:

- جدتك بخير. تعالي واجلسي.

قال أبوها:

- وردتنا مُكاملة من الكلية وقد أصرّوا على أن تبقي معهم، حتى أنهم عرضوا علينا منحة دراسة مجانية. الطبيب الذي يُجري التجارب في المُختبر سيأتي على العشاء. يبدو أنه مُعجب جداً بما تُحرزونه من نتائج.

برينر يتناول العشاء مع والديها؟ بعد أن أرسل تيري لزرع جهاز

للتجسس عليهم؟ بدأت في الشعور بأمل أن الخروج من التجارب لن يكون صعبًا كما توقعت، لكنها لم تتوقع رد فعلٍ شخصيًا إلى هذا الحد. أخذت الروايات وقالت:

- سأعود فورًا. يجب أن أضع تلك القصص في حجرتي أولاً.

غمز أبوها وهو يقول باسمًا:

- لا تريد أن يسألك الطبيب عن تلك القصص الغريبة، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

انتظرت حتى ابتعدت عنهما وغابت في الرواق حتى أطلقت الهواء

المحبوس في رئتيها. سمعت طرقة على الباب لم تُرد أن تُجيبها.

صاحت أمها:

- هلا فتحتِ الباب يا عزيزتي؟

ولم يكن هذا سؤالًا بالضبط، بل أمرًا. دسّت جلوريا القصص تحت

جريدة، وفردت تنورتها، ورسمت تعبيرًا مُرحبًا على وجهها. الآن فقط

يمكنها فتح الباب.

تعجبت حين وجدت أن أليس هي الزائرة.

- أليس؟

- أعتذر عن القدوم دون إبلاغك هاتفياً، لكنني لا أملك رقمك،

واتصلت بالمتجر فقالوا لي أنك بالمنزل ف...

- لا عليك.

جذبت أليس إلى الداخل مُردفةً:

- علمت الآن فقط أن بريتر قادم على العشاء.

بدت الصدمة على وجه أليس. أكملت جلوريا:

- من خبرتي في تعامله معنا، أقترح أن ترحلي الآن قبل أن يصل.

ثم عقدت حاجبيها وسألت:

- لماذا جئت؟

- كنت أريد الحديث معك عن شيء، لكنك على حق، عليّ الانصراف.

- فات الأوان.

رأت جلوريا من خلال زجاج الباب المُصنفر ظلًا يقترب، تبعه صوت
طرفة.

- لقد وصل.. أمي، هل يمكنك إعداد مجلس على الطاولة لصديقتي
آليس؟

أطلت أمها برأسها ناظرة نحو الرواق، ثم تفحّصت ملابس آليس غير
الرسمية وقالت بغير اقتناع:
- بالطبع.

كأنها لا توافق على ارتداء الفتيات السراويل على العشاء. أحببت
جلوريا سراويل آليس، وكرهت اضطرارهما لإرضاء بريتر.

ابتسمت وهي تفتح الباب وتهتف:
- دكتور بريتر، مرحبًا. أهلا بك في منزلنا المتواضع. أنت تعرف آليس
بالطبع. كانت آتية لـ..

ولم تجد جلوريا ما تكمل به عبارتها، فقالت آليس:
- سمعت أن طهي السيدة أزهار ممتاز! بالإضافة إلى أن هذا المنزل
أبعد ما يكون عن التواضع!

رفعت جلوريا حاجبيها مُتسائلة، ففسرت آليس:
- أعني أنه جميل. هذا ما قصدته.
في ظروف أخرى، كانت جلوريا لتضحك على أسلوب آليس الهزلي.

قال دكتور بريتر:
- يا لها من مُفاجأة سارة! أن أقابل حالتين مميزتين هنا لا حالة
واحدة.

- تفضل، من هنا.
عقدت جلوريا ذراعها بذراع آليس كي تتحاشى السير جوار بريتر. قام
والدها واقفًا وصافحه بيد قوية، وتربيتة حميمة على الكتف. عادت
والدة جلوريا بطاقم أدوات مائدة لآليس ووضعت أمام مقعد شاغر

وهي تقول:
- نحن سعداء باستضافتنا لك يا دكتور بريتر.

أوماً وكأنه يقول «بالطبع»، ولم يُكلف نفسه عناء الرد. أشار والد جلوريا للجميع بالجلوس وقال:

- والآن.. أخبرنا عن براعة ابنتنا جلوريا.

قال بريتر وهو ينظر إلى الأب فقط:

- أنا سعيد أننا لن نفقدها بسفرها إلى كاليفورنيا. تحدثت مع زملاء في الجامعة وطلبت منهم أن يجعلوها تمكث هنا.

سمعت جلوريا أليس تكاد تختنق في طعامها، فوضعت في طبقها كمية كبيرة من السلطة الوردية وهي تكتم ضحكتها. قالت أمها:

- تناولي قطعة من الدجاج يا حبيبتى.. وأنتِ يا أليس.

نقل بريتر عينيه إلى عيني جلوريا وسألها:

- أتساءل، لم كنت تخططين للرحيل؟

- كنت أتفقّد الخيارات الأخرى.

أوماً وقال:

- أؤكد لك أن عملي هو أفضل الخيارات.

ثم أردف مخاطباً والديها، شارحاً مدى أهميته دون أن يُصرّح بتفاصيل عن أي شيء.

أريد أن نرحل جميعاً، وكنت أبحث عن طريقة سهلة كبداية..

بدأت خطط كهذه ممكنة قبل أن تقترح تيري مكتب بريتر مرة ثانية للبحث عن أدلة. كانت تيري قد هدأت بعد رحلة «المحجر» وجولتها في مضمار السيارات رغم قلة المتسابقين يومها. كانت هذه هي فكرة أليس عن قضاء وقتٍ جيد والتسرية عن النفس. وأظهرت رحلة كهذه مدى كآبة المُختبر.

كانت جلوريا قد قررت ألا تتناول العقار، أو على الأقل لن تتناول جرعتها كاملة. كانت تُخبئ القرص داخل فمها مُلتصقاً بقطعة لادن، ثم تبصقه في كفها حين لا يُراقبها أحد.

استكملوا استجوابها وتصنّعت هي الحالة التي من المفترض أن توصلها لها العقاقير كي تُبقي على انتباههم. لم يكن ما يحدث علمياً على الإطلاق.

الأشياء التي فعلناها لنوقف الأبحاث كانت أكثر علمية.

جهاز الصعق الكهربى الذى صنعته أليس على سبيل المثال. لم تكن خائفة من أى شىء فى حياتها أكثر منه. قبل أن تدفع بالتيار الكهربى إلى جسد أليس فكرت فى كل الاحتمالات الممكنة لو أن سوءاً حدث لصديقتها. لن يُصدق أحد أنها قد تطوعت، ولن يصدقوا أن فتاة مثل أليس لم تكمل تعليمها قد صنعت جهازاً كهذا.

الناس ينتظرون فضيحة؛ جلوريا أزهار تؤذى فتاة فى الغابة برفقة رجل أعزب.

بالطبع كانت خشيتها أن يجدهم رجال المختبر أعظم. قاطعت جلوريا زهو بريترَ بعمله قائلة:

- لن يكون شىء من هذا عادلاً، أليس كذلك؟

أجابها دكتور بريترَ:

- كلا.. العالم ليس مكاناً عادلاً.

غاصت تجعيدات جبين أبيها أكثر أثناء تفكيره العميق وقال:

- أحاول تطبيق العدل فى هذا المنزل قدر استطاعتي، لكن لن أكذب عليكِ يا ابنتى، الوضع يختلف فى الخارج، دكتور بريترَ مُحق.

- شكرًا يا أبى.

رفعت أمها شوكتها وقالت:

- سعيدة أن دكتور بريترَ فخور بإنجازاتكما أيتها الفتاتان!

وضعت جلوريا ملعقة من السلطة الوردية فى فمها ولم تُعلق. آخر ما كانت تُريده هو إغضاب والديها اللذين لم يرغبوا فى شىء سوى مُساعدتها.

رحل بريترَ أخيراً بعد أن أصر على تناول مشروب مع أبيها بعد العشاء. كان الأمر يشبه استضافة ثعبان سام فى المنزل.

ظلت أليس موجودة بعد الزيارة، وكانت جلوريا شاكرة لذلك؛ فقد كانت تكره أن تظل معه وحدها، بالإضافة إلى أنها كانت تريد أن تعرف سبب زيارة أليس.

قالت جلوريا لوالديها أنها ستوصل أليس لسيارتها، لكن أمطار مارس الخفيفة كانت تهطل، فوقفتا عند المدخل فى انتظار توقفها. تأكدت

- جلوريا من أن أحدًا لا يسمعهما، وأن الشارع خالٍ من السيارات الغربية،
ثم سألتها:
- لقد رحل. ماذا حدث؟ لماذا أتيتِ؟ آسفة لاضطرارك لتحمل هذا الرجل خارج المختبر.
 - لن يدعنا نرحل، أليس كذلك؟
 - تقول تيري إنه سترغمه.
 - تيري هي سبب قدومي. الموضوع عن المستقبل. رأيته فيها.. ما رأيته لم يكن جيدًا لا أعرف ماذا أفعل. هل أخبرها أم لا؟
 - لم تشأ جلوريا أن تعرف المزيد من الأسرار المريعة، لكن أحيانًا ما تُرغمنا الصداقة على ذلك.
 - أخبريني..

تحققت تيري مرة أخرى في مرآة حجرتها الطولية من أنها ترتدي قميصها بشكل صحيح. أمس قبل الغداء جذبها أحد المارة جانبًا وأشار لها بأنها ترتدي القميص وخياطته إلى الخارج. دخلت إلى أقرب حمام وخلعته مُتقززة من بُقع مزيل العرق التي كانت ظاهرة للعيان بسبب وضع القميص المقلوب.

واليوم ترتدي قميصها الجميل - ذا النقشة التي يُحبها آندرو - بشكلٍ صحيح. كان يخبرها أنها تبدو كلوحة مرسومة حين ترتديه. كان القميص ضيقًا قليلًا على الرغم من أنها تُجوع نفسها كي لا تسمن، ومع ذلك فقد ازداد وزنها باونداً، وبدأ شكل جسدها في التغير لسبب ما. افترضت أن ذلك ضمن الآثار الجانبية للعقار كما أخبرها بريز، لكنها لن تسأله.

هندمت تيري زينتها وشعرها، ثم أطلت من نافذة حجرتها في سكن الجامعة مرة أخرى.

لم تشعر بالقلق من قبل تجاه آندرو أو علاقتهما. كان هو أول شاب ترتاح إليه والوحيد الذي أحبته حقًا. آندرو شخص واضح مستقيم يقول مباشرة ما يقصد، وحين يغير رأيه يخبرك بهذا أيضًا.

توقفت سيارته الباركودا الفيروزية في ساحة الانتظار بالأسفل، فهرعت تُحضر حقيبتها الكبيرة وكاميرتها الفورية ثم خرجت من الباب. توقفت وسط الردهة مُتسائلة إن كانت قد أغلقت الباب أم لا.

من يهتم؟

لم تنتظر المصعد، ونزلت الدرجات سريعًا، وحين وصلت باب حجرة الاستقبال كان آندرو يقترّب منه، فاندفعت نحوه عبر الباب وألقت بنفسها إلى صدره.

ضحك آندرو وهو يطوقها بذراعيه ويتمايل إلى الجانبين معها ويقول:

- صغيرتي! هكذا لن أتساءل إن كنتِ سعيدة لرؤيتي.

أذهب إلى كندا، لا ترحل.. ابق هنا دوّمًا، معي..

قالت مازحة دون أن تُفلت يديه:

- من المفترض أن أتدللك عليك حتى لا تراني سهلة.

- لست سهلة أبدًا.

- لا أعتقد أن الدلال خيار وارد أصلًا!

ودفعته برفق كي تراه بوضوح. كان يقف أمام عينيها قلقًا، شعره

قصير للغاية، ولم يقلل هذا من مظهره الخطر الذي تحبه.

كان يملك قلبها.

مسحت بكفها على شعره وهي تقول:

- يعجبني.. بالفعل يعجبني ملمسه. مريح ومهدئ.

- كُفي! أشعر وكأنني قطعة من اللحم.

قالها باسمًا مُسترخيًا.

سألته رافعةً حاجبيها:

- بالمناسبة، ألدينا مكان يمكننا الجلوس فيه وحدنا؟

- أجل. ديف سمح لي بالتواجد في الشقة. سيعود في الخامسة.

أمسكت تيري كفه وسحبته خلفها وهي تقول:

- لنذهب إذًا، ليس أمامنا مُتسع من الوقت.

لم يقدر على التفوه بالقرار الذي ظل يفكر فيه طيلة الأسبوع الماضي.

لكن قراره ظل مُعلقًا بينهما، القرار الذي سيُدمر كل شيء. أحاط أندرو

تيري بذراعيه واندسًا في الفراش بشكل شبه مُعتاد.

لم تكن الملاءات تحتهما ملاءات أندرو القطنية الناعمة، بل ملاءات

ديف البنية. ورغم أنها كانت تشم رائحة صابون الغسيل تفوح منها

لكنها شعرت أن ثمة شيئًا في غير موضعه.

أصبحت غرفة أندرو ملكًا لمايكل الآن، وكان الأخير مُشاركًا في

المظاهرات مع أندرو وديف، لكنه مُستمر في الدراسة ولن يُرسل إلى

فايتنام الأسبوع القادم. ما زال تأجيل التجنيد بسبب الدراسة ساريًا،

وحتى حين ينهيان دراستهما ستكون فرصتهما في التجنيد قد قلت إلى

حدٍ كبير.

لا شيء عادلاً في هذه الدنيا.

الملاءات مُختلفة، والحجارة مُختلفة، وكل شيء كان مُختلفاً ما عداهما،
على الرغم من شعورهما باختلاف روحيهما كذلك.

قال أندرو:

- تيري!

فَزَعْتُ، فلطالما كان يناديها بـ"صغيرتي" حتى وإن كان يتحدث عنها مع
آخرين.

- أندرو!

التفتت إليه، لن تُسهّل عليه ما سيقول بهذه الطريقة، عليها أن
تهدأ.

- تعرفين أنني أحبك.

- وأنت تعرف أنني أحبك.

حاولت اختزان تفاصيل وجهه، وشكل أهداب عينيه، وشعره القصير..

لا وقت لدينا.. لا وقت..

- أريدك أن تكوني أنتِ، من دوني كقيدٍ حول كاحليكِ.

كان أندرو يتحدث بسرعة، فأدركت أنه قد تمرن على عباراته من
قبل. قالت مُتظاهرة أن ما ستقفوه به لن يؤلمها:

- أندرو ريتش. لا تُخبرني بما عليّ فعله.

- أنا لا أفعل ذلك، لكن...

- لكن؟

ظلت تيري مكانها، مُتكنة على كوعها. لن يكون الأمر سهلاً عليهما
أبداً.

- لكنني لا أعرف إن كنت قادراً على فعل ما يتوجب عليّ فعله. ليس

وأنا أعرف أنك تنتظريني هنا. لن يمكنني التفكير في شيءٍ سواكِ.

لم تعرف تيري حتى ما يقصده. قالت:

- حسناً.. يمكنك أن تُفكر في العودة إليّ، في مستقبلنا معاً.

تنهّد أندرو وارتكن إلى ظهره قائلاً:

- كنت أعرف أنك ستتصرفين على هذا الوجه.

- كيف تريدني أن أتصرف؟

ركزت تيري نظرها على مُعلّق لفريق «هو» على الحائط. جذب أندرو الغطاء مُغطياً رأسه هاتفاً:

- لا أعرف. لا تُنصتي إليّ. أحاول أن أظاهر أنني غير مُرتعب، لكنني كذلك.

عادت تيري إلى دورها الحقيقي، الدور الذي تفهمه. قالت له مُتممصةً شخصية فرودو باجنز:

- سام.. أنت ستذهب إلى مونت دوم، ولا أحد يعرف ما سيحدث لك هناك.

- أعرف أن العدو ليس هناك.

أنزلت الغطاء عن وجهه فنظر إليها.

- أنت مُحق، كلنا يعرف ذلك. لكنك رجل صالح.

- حقاً؟

- أنت بالفعل رجلٌ صالح.

عليها ألا تبكي، عليها أن تكون قوية، أقوى مما تتصور. لقد تنبأ كين بذلك.

- لن أدعك تُنهي علاقتنا. هذه.. هذه غلطتي. دكتور بريتر هو من دبرّ تجنيدك بشكلٍ ما. لم أرد أن أخبرك لكن...

- ماذا تعنين؟

- كما قلتُ لك. الذنب ذنبي. أعتقد أنه هو من فعل بك هذا.

صمت أندرو هُنَيْهَةً، ثم مال وقبّلها برقة حتى أنها بالكاد شعرت بشفتيه، ثم قال:

- لا يهْم. ليس هذا خطأك، سواء كان فعلها أم لم يفعلها. ربما كان سيحدث هذا عاجلاً أو آجلاً دون تدخلٍ من أحد.

أومأت، فلم تقدر على الحديث. أردف:

- وهذا ليس إنهاء لعلاقتنا. أنا فقط أمنحك حريتك، لا أريدك أن تنتظريني إن لاحت في الأفق فرص أخرى لك. لن أستطيع أن أؤدي واجبي وأنا أعرف أنني أقيدك. لا أريد ذلك. لذا لناخذ فترة استراحة من علاقتنا. لن أتوقف عن حبك وأتمنى أن أعود ونكون معاً مرة أخرى.

أرادت تيري أن تخبره أنه سيعود، وسيكونان سوياً، لكنها لم تكن متأكدة. هي لا تستطيع رؤية المستقبل، ولا يستطيع أحد معرفة مستقبل الجنود، وإن عرفوا فهم لا يُصرِّحون.

تنهّدت تيري وقالت:

- إن كان هذا ما تريد، فسنفعله.

زَقَر آندرو واستلقى كأنما تخلَّص من عبءٍ ثقيل. قفزت تيري من الفراش وجلبت كاميرتها، رفع آندرو حاجبيه.

- أريد فقط صورة لذكرانا معاً.

- أوه.. ألن نحتاج شخصاً آخر كي يلتقطها لنا؟

- كلا، سنستخدم أذرعتنا. أمسك طرف الكاميرا وأنا سأمسك الطرف الآخر، ثم أمد يدي الحرة وأضغط الزر. سأضبط وضعنا.

آليس كانت العبقرية التي وانتهت فكرة التصوير الذاتي بالكاميرا. لم يخطر هذا ببال تيري من قبل. وضعت ركبتهما على الفراش ونظرت خلال عدسة الكاميرا -الشعر القصير بدا ممتازاً عليه- وحين نالت زاوية التصوير المناسبة، أشارت إليه أن يرفع يده ويثبت الكاميرا في وضعها الذي اختارته. تمددت جواره وأمسكت بالجهة الأخرى من الكاميرا، وقربت رأسها من رأسه حتى يظهرها معاً في الصورة.

- ابتسم!

ومدت يدها تضغط الزر. ثم صاحت قبل أن يُنزل الكاميرا:

- انتظر!

كانت أفلام الكاميرات الفورية باهظة الثمن، فمالت لتلقف الصورة وهي تخرج من الفتحة السفلية للكاميرا. قال آندرو وكأنما يؤلمه رفع

يده عاليًا:

- لا بد أن يكون هذا جزءًا من تماريننا في الجيش!

قالت وهي تتمدد خلفًا:

- صورة أخرى من أجلي.

قبّلت خده فشعرت بابتسامته تتسع، ومدت يدها تضغط الزر.

صوت هدير آخر ثم بدأت الصورة في الخروج.

ترك الكاميرا تسقط إلى جوار تيري وترتد عن المرتبة. تعانقا ولوّحا

بالصورتين في انتظار تمام جفافهما وظهور التفاصيل.

تمتّت تيري لو أن هناك طريقة لالتقاط اللحظة والعيش فيها حتى

الوقت الذي لا يستطيع فيه شيء الوقوف أمام خَلْقِهما لملايين اللحظات

المماثلة معًا.

أوصلها أندرو إلى مسكن الطلبة بسيارته الباركودا، ولم يشغل حتى

الراديو. خطط أن يوصلها ثم يعود ليشرّب آخر بيرة مع ديف، لكنه

نزل من السيارة وأخرج صورته ونظر إليها. كانا يتسلمان إلى الكاميرا

وتيري مائلة للأمام قليلاً كي تضغط على الزر. قال لتيري:

- أشكرك على الصورة.

- شكرًا لك يا صغيري.

ستبكي لاحقًا، ليس الآن.

أهمني لو تبقى.. لا ترحل.. لدي الكثير أود البوح به، لكنني لن أفعل

كي لا أعترف أنه قد يكون لقاءنا الأخير.

أعاد الصورة إلى مكانها وأخذ يديها بين يديه.

- أريدك أن تكوني بخير، تخلصي من ذلك الأحمق في المُختبر، وانتبهي

لأختي الصغيرة.

ابتسمت تيري رغماً عنها مُصارعةً الدموع.

- أعدك أنني سأفعل.

- أعرف أنكِ لها. أنا نفسي لن أستطيع الوقوف أمامك.

- حسنًا، أنت لست وحشًا.

لم يكن أندرو يعرف الحقيقة الكاملة وراء وحوش آليس، والعصر الذي سيوجدون فيه. لم تتحدث تيري عن المستقبل، ليس الآن. عندما يعود ستتحدث عنه، حين يكون لهما مستقبل مُشترك.

- عليّ أن أرحل، وحاولي أن تتفادي الوحوش غير الضرورية، واكتبي لي من وقتٍ لآخر.

قبّلته تيري وهي لا تعرف إن كانت قبلتهما الأخيرة.

لم يكن كين أحمرق كي يُرتَّب لقاءً في المطعم الذي تعمل فيه تيري، حيث يمكن لأحدهم أن يعرف أنه صديقها ويخبرها بما يحدث. فقابل أندرو في مقهى غير مزدحم داخل الحرم الجامعي يقدم أفضل قهوة في الجوار.

جلس أندرو قبالتة في الكابينة ومسح بيده على شعره القصير. تلك الحركة كانت مألوفة لكن، فقد اعتاد أن يفعلها في أول مرة غير فيها تسريحة شعره من الطويل إلى القصير. في كل مرة يتوتر فيها كان يمد يده لا شعوريًا إلى رأسه مُفتقدًا ملمس الخصلات الطويلة.
قال أندرو:

- كان هذا صعبًا. أتمنى أن تكون مُحققًا في تشجيعي على هذا القرار. سيكون عليها مواجهة أوقات عصيبة بما يكفي.

لم يعرف كين تفاصيل تلك الأوقات، فقد كان غارقًا في بحر من الأفكار واليقين أنها قوية وستصير أقوى، لكن الصورة لم تكن مُكتملة. كان مُغتاظًا كونه غير موقنٍ إن كان اتخذ القرار الصائب بالتواصل مع أندرو وحثه على الانفصال عنها أثناء غيابه.

- كما قلتُ فقد كانت تُعاني، وقد تضعنا معاناتها في خطر.

- يجب أن تكره تصرفك من وراء ظهرها.

تنهد كين وقال:

- أعرف. ليس عليّ أن أتدخل في الأمور الكُبرى. أعتقد أنني أخبرتك أن أُمي علمتني هذا حين كنت طفلًا.

أشار أندرو إلى النادلة، فأتت تسأله وهي تمضع اللادن:

- ماذا تريد يا عزيزي؟

تردد أندرو قبل أن يقول:

- مخفوق اللبن بالشوكولاتة.

حين أومأت وابتعدت قال:

- عش حياتك. المتطفلون لا ينتبهون إلى تلك التفاصيل الصغيرة.
حيواتنا مُتاحة أمامهم.

لم يوافق كين وقال:

- من الأفضل ألا تتحدث في تلك الأمور هنا.

- مُتأكدٌ أنني لن أكون وحدي. هناك دومًا من يسمع ويفهم
الاستعارات.

مرّت لحظات على كين وضع فيها نفسه مكان أندرو، كان من الممكن
أن يكون هو من سيُرسل إلى الحرب عبر البحار، بل أن ثمة احتمالية أن
تستمر الحرب لما بعد تخرجه واحتمالية تجنيده ستزيد حينها.

تساءل عما سيكون عليه التجنيد بالنسبة له. ليس وضعًا جيدًا على
الأرجح. يمكن أن يكون التجنيد مُحتملًا لو أبقى على أسراره داخله، فقد
اعتاد على ذلك، لكن الاعتياد لا يعني القبول أو الراحة مع وضع كهذا.
- الناس ترتكب ذلك الخطأ طيلة الوقت. لا أحد معصوم.

قرع أندرو أصابعه على المنضدة باستمرار وهو يقول:

- يبدو وكأنك تتحدث عن تجربة. ماذا بك حقًا؟ هل موضوع
القدرات النفسية هذا حقيقي؟

نظر كين عبر نافذة المقهى للحظات، في انتظار معرفة إجابة السؤال:
هل يجيب؟ هل يصرح بالحقيقة؟

يمكنك الوثوق بهذا الرجل كما وثقت بتيري..

حسنٌ إذًا..

- عائلتي تؤمن بتلك الأمور، وتبدو لي حقيقية. هذا كل ما أستطيع
إخبارك به. عشت حياتي أتقصي ذلك الحدس عما سيحدث في المستقبل.
رشف كين من كوب القهوة وأعادته إلى المنضدة، ثم راح يُديره حول
نفسه في توتر.

- وكنت دومًا مقتنعًا أن أفراد العائلة الواحدة يحمون بعضهم بعضًا،
ولم أكن أظن أن في مقدورنا اختيار من نحمي.

بدا أندرو مُهتمًا بحق وهو يسأل:

- وما الذي استجد؟

- عائلتي عاملتني كشخصٍ يمكن الاستغناء عنه.

مسح كين كفيه المغطاتين بالعرق في بنطاله، ولم يكن قد تحدث عن هذا الأمر من قبل قط.

- كانوا متعايشين مع الجانب الوحيد من اختلافي الذين يمكنهم فهمه.. هذا الجانب الروحاني فقط.

هز أندرو رأسه، ولم يستطع كين الجزم أنه قد فهم الأمر كلياً. قال أندرو:

- أنا آسف. عائلتي كانت دوماً خلفي، تُساندني، حتى لو كانوا موقنين أنني أحمق. لا بد أن ما حدث معك يؤلمك.

قال كين بابتسامة حزينة:

- يؤلمني بالفعل، لكن الألم صار أقل حاليًا ما دمت لا أفكر فيه.

- ماذا حدث؟

لا يفهم الناس أن يكون لديك قدرات روحانية، وألا تكون مُحققًا طيلة الوقت. كين لا يملك إجابات لكل شيء، وأحيانًا ما يُخطئ أو يخذله

الناس مثله كمثل أي شخصٍ آخر. لكن في إمكانه أن يظل أمينًا صادقًا.

- قلت لعائلتي أنني أواعد شابًا، وقد انفصلنا بعدها. لكنني كنت أعرف أنني سأقع في الحب مرة أخرى، ومن سأحب سيكون رجلًا لا

محالة، واعتقدت أنني ربما أجد من أقع في حبه في مختبر هوكينز.

ارتبك أندرو وتلعثم وهو يقول:

- لم يكن لدي أدنى فكرة.. أعني، لم أكن أعرف أنك...

- أعتقد أن عليّ فهم كلامك كمجاملة.

- أنا أحمق! كل ما أعني أنك اضطررت لخسارة عائلتك في مقابل شخص تحبه.. أنا آسف يا أخي. هل كان السبب في تطوعك للتجارب

البحث عن تَحِب هناك؟

ابتسم كين وأجاب:

- هذا، وما أخبرت به تيري وباقي الأصدقاء؛ أعتقد أننا مهمون في

حياة بعضنا بعضاً. كان تطوعي شيئاً شعرت أن عليّ فعله. لكن لا يضير
أن أبحث عن الرجل الصحيح في نفس الوقت!
- لم تجد مرشحين بعد، أليس كذلك؟
- الاختيارات ضعيفة، لكنني سأعرف الشخص المناسب حين أراه..
أعتقد أنني سأعرف.

عادت النادلة حاملةً مخفوق الحليب في كوب كبير مليء بالرغوة
الشهية. قال لها أندرو:
- أشكرك.

قال كين فجأة:
- ألم تُجرب غمس أصابع البطاطس المقلية في مخفوق الحليب؟
- كلا! أي سحرٍ هذا!
- إذًا أنت لم تعيش بعد!
ثم لَوَّح للنادلة وطلب طبقاً من البطاطس المقلية ثم أردف بمجرد
ابتعاد الشابة:

- كيف تقبلت تيري أمر انفصالكما؟
- لم يكن الأمر سهلاً أبداً.
- لا بأس.
سأل أندرو بعد تردد:

- لا أريد أن أعرف شيئاً عن مصيري، لكن تيري.. هل ستكون بخير؟
- لا أعرف. لا أعرف شيئاً عن كليكما لذا اتصلت بك. شعرت أن الأمور
ستكون أفضل إن انفصلتما في فترة غيابك. لا أستطيع أن أشرح ما شعرت
به بدقة أكبر.

وصلت البطاطس المقلية، فأخذ أندرو واحدة وأجفل حين شعر
بحرارتهها، ثم غمسها في مخفوق الحليب وأخذ قضمة.
- مذهلة! الحرارة والبرودة والطعم الحلو والمالح!

مد كين يده عبر الطاولة كي يتناول أصبعاً من البطاطس هو الآخر
وقال:

- أؤكد لك أنني سأفعل ما في وسعي كي أبقى على سلامتها. اتفاق عادل؟
- كلا.
- ودفع أندرو الطبق ليتوسط الطاولة بينهما ووضع جواره مخفوق الحليب، ثم أردف:
- لكن ليس كل ما يتمناه المرء يُدرکه.
- قال كين في رفق:
- أحيانا لا تُدرک حتى ما تحتاج.

كانت تيري مثل من أوقف فجأة أثناء السير نائمًا. العالم من حولها غريب، لكن ليس في نفس غرابته خلال الأسابيع القليلة الفائتة وهي في مُختبر هوكينز.

اعترافها لآندرو أنها من تسببت في تجنيده، نسج حولها خيوطًا خانقة من الإحساس بالذنب.

دخل دكتور بريتر الحجرة ووضع كوبًا صغيرًا يحوي أقراصًا جوارها على المنضدة بجانب كوب ماء.

- مقويات. أرى أنك لا تتناولين المقويات التي أخذتها معك إلى المنزل. هاك الماء.

رشفت الماء بحذر حتى تأكدت أنه مجرد ماء. لكنها لم تتناول الأقراص.

- كلا، لم أتناول المقويات التي وصفتها لي. لكن شيئًا مما أعطاه هنا يُخل بأبضي. وزني يزداد.

- هل يشكو حبيبك من زيادة وزنك؟

لم يعد لديها حبيب، ليس بشكل عملي. كانت قد نجت من الوداع، لكنها تواظب على الدعاء لآندرو صباحًا ومساءً بشكلٍ مُستمر، ولم تعد تنفجر في البكاء كلما أذيعت أغنية في المذياع تُداعب عواطفها.

اختارت أن تتجاهل سؤال بريتر، وأجابت بسؤالٍ آخر:

- ما المُتسبب في تلك الزيادة؟

حديق فيها وهو يتقدم حاملًا المِسمع. كيف لم تُجفل لملسه البارد على جسدها رغم إحساسها بالبرودة عبر ملابسها؟ أنزل المِسمع إلى أسفل كي يسمع بطنها.

- تبدين مُتنبهة أكثر من المرات السابقة.

كانت قد حذرت أصدقاءها في الطريق أنها ستحاول مُقابلة كالي مرة أخرى. هل ستظهر الطفلة في عالم العدم؟ خياراتهم تصير مع الوقت

أقل، والأبواب تنغلق في وجوههم.

سألها بريتر:

- هل تشعرين أنك بخير اليوم؟

أجابت في حزم:

- أشعر أنني بخير اليوم.

- إذًا ما نعطيه لك ذو تأثير.

قالها بلهجة من لا يتوقع مُعارضة من أي نوع، فقالت:

- أو أن لا تأثير له.

نظر إليها مُطولاً ثم قال:

- آنسة آيفز، إن كنت عاجزة عن أداء ما يُطلب منك، فد...

كانت تريد المقاومة، تريده أن يُكمل عبارته التي بدت شنيعة بناءً

على مُقدمتها. لكن..

تذكرت حين ذهبت إلى متجر جلوريا، وكيف ارتعدت صديقتها وهي

تحكي لها عن زيارته. لقد سحر والديها، وعليهم أن يلعبوا مباراتهم

معه بحذر.

- لقد أخذت المقويات أمامك.

- جيد. والآن تناولي هذا.

رأت قرص حبوب الهلوسة بين أصابعه، فأخذته منه ووضعته على

لسانها، مُتجاهلة وجود بريتر. أغلقت عينيها ولم تفتحهما حتى عندما

سمعت شخصًا يدخل الحجرة. غالبًا هو المساعد. تذكّرت أول يوم لها

هنا وهي تراقب شاشة جهاز مراقبة نبضات القلب، والخط الأحمر

المُتقافز إلى القمة مرة تلو الأخرى، ثم إلى استقرار.. استقرار..

لم يمر وقت طويل حتى غاصت في عمق ذاتها. الماء يتناثر من حول

قدميها، والعدم يحيطها.

انتظرت شاعرة بالقوة واليقظة.

حين خرجت من الظلام كانت ذراعاً كالي مُنعقدة أمامها، فكادت

تيري أن تهوي راحة في ارتياح.

قالت كالي:

- لم أستطع أن آتي، كنت أشعر بالنعاس، ولم أكن متأكدة إن كان ما نحن فيه هو مجرد حلم.

- هل كُنْتِ مريضة؟

- شعرت بالتعب. يأتي بابا لزيارتي يوميًا. أتمنى ألا تكون آليس غاضبة مني لأنني لا أزورها. لقد وعدت بابا أن أكون فتاة مُطِيعَة.

تزايد نبض قلب تيري، فحاولت تهدئة نفسها وهي تقول:

- هو لا يعرف أنكِ قابلت آليس، آليس كذلك؟

هزت كالي رأسها بمعنى «لا».

- هل تعتقدين أن في وسعك إلهاءه لفترة؟ ألن يعرضك هذا لأي

مشكلة؟

أمالت رأسها مُفكرة وقالت:

- إلهائه بمعنى أن أرغمه على الذهاب لزيارتي الآن؟

- أيًا كان ما فعلته المرة السابقة فقد كان ممتازًا. أحتاج بعض الوقت

بمفردي.

- لقد غضب بسبب ما فعلت المرة السابقة، لكن لدي فكرة أخرى.

قالت كالي عبارتها ثم اختفت.

فتحت تيري عينيها لتعود إلى المعمل، وتظاهرت بأنها تُمدد جسدها

وتتشاءب.

- هل لي أن أرتاح قليلًا؟ لا أشعر أنني بخير.

أشار بريتر تجاه الفراش. هل يمكن للمرء أن يسخر دون كلمة واحدة؟

إن هذا ممكنًا فهو محترف في فنون السخرية الصامتة.

سارت تيري إلى الفراش مُتظاهرة بالتعب قدر استطاعتها، فردت نفسها

على الحشية الرقيقة ثم انقلبت إلى جانبها مُغطية وجهها بذراعها.

صاح صوت الإذاعة الداخلية من مُكبر الصوت المُثبت على الجدار:

- الرمز النيلى.. على دكتور بريتر التوجه إلى الجناح ج لحالة رمزٍ نيلى.

تغير وجه بريتر إلى غضب صريح، وتوتر جسده كقوس وهو يندفع

نحو الباب. أنزلت تيري قدميها عن الفراش مُتسائلة في براءة:

- ماذا يحدث؟

كانت قلقة بالفعل على كالي من هذا التعبير الغاضب على وجه بريتر.

- ليس من شأنك.

وأشار للمساعد كي يتبعه إلى الخارج.

ظل النداء يتردد، فقامت تيري ونظرت عبر النافذة المُطلّة على الرواق، عليها ألا تُضيع مُخاطرة كالي هباءً. انتظرت حتى اختفيا عن العيون، ثم علقَت حقيبتها على كتفها واندفعت خارجة. هذا المرة عليها ألا تُخطئ طريقها.

كانت آليس قد لاحظت تغيير رمز المرور عبر البوابات، وأخبرت تيري بالرمز الجديد. فتحت الباب وانطلقت نحو مكتب بريتر. كان ثمة فوضى ناحية حجرة كالي، أصوات صياح، صوت بريتر الأمر. نظرت تيري تجاه الصوت متوقعة أن ترى زحامًا، وبدلاً عن ذلك رأت حائطًا من نار بدا حقيقيًا، لكنه لم يكن كذلك لأنه لا يبعث أي حرارة. كالي خلقت وهماً لتشتتهم.

هرعت تيري نحو المكتب. لا بد أن المكان يُعج بكاميرات المراقبة. كل أملها ألا يراجعوا التسجيلات بدقة. دخلت مكتب بريتر والتقطت أنفاسها للحظات شاعرة بالنصر.

ليس نصرًا كاملًا بعد..

- هذا صحيح..

وضعت حقيبتها على مقعد وأخرجت كاميرا باللونين الأبيض والرمادي ووضعتها على مكتب بريتر.

لحظة!

لا بد من سياق واحد يجمع الصور. دارت حول المكتب لتلتقط صورة اللافتة التي تحمل اسم «دكتور مارتِن بريتر» والتقطت صورة لها وهي تُزيد على ما فيها في عقلها «العبقري الشيطاني دكتور مارتِن بريتر».

هدرت الكاميرا ثم بصقت الصورة من مقدمتها.
وسط صمت الغرفة، تردد صوت الكاميرا عاليًا.. دعت الله يكون
الصوت في عقلها فقط، صدى عقار الهلوسة. وضعت الصورة على
المكتب. ما زال لديها سبع صور حتى ينتهي فيلم التصوير.
وضعت الكاميرا على مكتب بريتر وتوجهت نحو خزانة الملفات.
كان عليّ أن أعرف كم الساعة قبل خروجي كي أعرف كم أمضيت
هنا..

ندمٌ مُتأخر الآن..

فتحت أحد الأدراج وبدأت في البحث وسط ملفات الأطفال عن تلك
التي تحمل عنوان «الرمز النيلي».

بحثت حتى وجدت ما بدا أنه ملف كالي. ٨٠٠، خمسة أعوام. قرأت
المحتويات المؤلفة من ملاحظات عن التجارب ونتائجها.

تُظهر الطفلة قوى تستوجب العزل عن كل من يمكنه إضعافها..
تسأل باستمرار عن عائلتها وتطالب بأن تُنادى باسمها.. توقفت عن
السؤال عن أمها.. استطاعت أن تخلق وهمًا بوجود محيط لمدة خمس
دقائق، بلا قدرة على التحكم في الوهم.. تتعاضم إمكاناتها مع الوقت..
اختارت تيري صفحتين وصورتها واحدة تلو الأخرى. ثم تأكدت أن
الملفات تنتهي عند رقم ٠١٠ لا ١١٠. ثم صورت صف الملفات في حالة
احتاجت أن يتحرى صحفي بدلًا عنها.

لكن ماذا عن تجاربهم هم؟

فتحت دُرجًا آخر ولمحت ملفًا يحمل اسم «إم كاي ألتر» موضوع
فوق ملفات أخرى. ما هذا؟
فتحت الملف لتُدرِك أنه ملفها.

تحتاج ملف أليس..

أعدت ملفها مرة أخرى إلى مكانه، وراحت تبحث عن اسم أليس
جونسون، ووجدت به ورقة واحدة تحوي معلومات عن استخدام
عقار هلوسة وصعقات كهربية وتاريخ كل جلسة مكتوب بقلم دكتورة

من المستحيل أن نجزم ما إن كانت الصعقات الكهربائية تُسفر عن نتائج، أم تتسبب في الصدمة للمريضة..

وفي داخل الملف أرفق بريتر ملحوظة بخط يده تقول: زيادة شدة الكهرباء ستوضح النتائج.

صورت تيري الصفحة، ثم تحققت من الصفحة التالية وكانت مُذكرة لطلب تسكين المتطوعين في تجارب «إم كاي ألتر» في المُختبر. كانت المُذكرة مختومة بختم (قيد النظر- في حاجة إلى دراسة).

لا يمكن أن يحبسونا في المُختبر!

مر وقت طويل عليها في المكتب، وعليها الانصراف. دسّت الصور والكاميرا في حقيبتها، ثم علقتها على كتفها وراحت تتمرن على الكذبة التي ستقولها عند خروجها من حجرة الكشف بحثًا عن بريتر في الأروقة ثم بحثها عنه في مكتبه.

عادت إلى حجرة الكشف دون أن يلحظها أو يقاطعها أحد على الأقل. لم تعد تشعر بالقوة السابقة، لكنها كانت في حالة جيدة. هل تذهب إلى كالي في حجرتها؟ عليها أن تفعل ذلك فرمًا وقعت الطفلة في مشكلة. عدم عودة بريتر حتى الآن لا تبشر بالخير.

لن تسمح تيري بأن يحدث للطفلة شيء بسببها. عادت إلى الرواق وقد تزايدت الظلال حول حدود بصرها. لكن مرة أخرى لم يستوقفها أحد فلم يكن ثمة نَفْسٌ في المكان.

عندما وصلت حجرة كالي، كان دكتور بريتر خارجها ينتظر.
- لقد رأيتك يا آنسة أيفز، لا جدوى من الفرار. تريد أن تطمئني عليها؟ أنا واثق أنها ستود رؤيتك.

لم تفهم تيري ما يجري، لكنها فتحت باب حجرة كالي على أية حال، فقد كانت تحتاج إلى رؤيتها.

كانت كالي متكومة على الفراش العلوي، تبكي، قابضة على الملاء. كانت غارقة في عرقها حتى أن ملابسها قد ابتلت.

- كالي، هل أنتِ بخير؟!

سألتها الطفلة وهي تسعل وتُنهنه:

- هل ستجلسين على الفراش السفلي؟

نظرت تيري في توتر إلى دكتور بريتر الذي كان قد تبعها إلى الداخل.

رفع حاجبيه وقال:

- لا مانع لدي.

كان هذا عكس كل ما عليها فعله. كان عليها الهرب. لديها أدلة

كافية، لكن التخلي عن كالي قبل التأكد من سلامتها لم يكن خيارًا واعدًا.

جلست تيري على الفراش السفلي ورفعت عينيها إلى قاع الحشية

المحمولة على عوارض خشبية من فوقها. تمت لو تهرب إلى عالم العدم

حيث تستطيع مُحادثة الطفلة بحرية.

قالت كالي:

- أخبرته أننا تحدثنا.

فات أوان الخصوصية إددًا..

أرادت تيري أن تنظر إلى بريتر وتراقب رد فعله، لكنها اختارت ألا

تفعل. لن تُرضيه.

حين تحرك جانبًا قامت من الفراش خوفًا.. مم؟ لم تكن تعرف.

وقف جوار الحائط مُرتكنا إليه، وأخبرتها ابتسامته الخبيثة أنه ربح

هذه الجولة. نظرت تيري لكالي وسألتها:

- ما أخبرته؟

طفا وجه آليس في عقل تيري. لو أنه قد عرف بشأن رؤاها

المُستقبلية، فلن يوقفه شيء. قال بريتر:

- أخبرتني الحقيقة. أنكِ طلبتِ منها أن تُلهيني.

صاح صوت نبض تيري كالطبل في أذنيها.

قالت تيري متلعثمة:

- أخبرتك أنني.. أنني...

أبقاها ذعرها مُتصلبة في مكانها. لطالما كرهت خوفها من هذا الرجل

فهو لا يستحق. لكن كيف تتحكم في هذا الخوف؟ هل عرف بشأن
عالم العدم؟
- أنا لا...

قالت كالي برقة:

- نحن لا نكذب على بابا.

أدارت كالي وجهها نحو تيري التي رفعت أصبعها إلى شفيتها مُطالِبة
بكتمان السر. أردفت كالي:

- هو يعرف كل شيء دومًا.

اقترب برينر خطوة من الفراش المزدوج، ناقلًا انتباهه إلى كالي.
- هذا صحيح.

ضم كفيه معًا مُبتسمًا ثم أضاف:

- أتوق لمعرفة تقدمك الشهر القادم. حريق اليوم يؤكد أنك تصيرين
أقوى. موهبتك واعدة.

سألته تيري في ثبات:

- ماذا سيحدث الشهر القادم؟

- مُفاجأة لكالي.. ولكِ.

أغمضت تيري عينيها..

أيها الوغد!

مكتبة
t.me/t_pdf

رافقها دكتور بريئر إلى غرفتها، وكان المُساعد قد أفرغ محتويات حقيبتها على المنضدة، كاشفًا عن الكاميرا والصور التي التقطتها للمكتب. و.. الفوط الصحية ذات المقاس الكبير التي تحتفظ بها معها دومًا.

سألها بريئر:

- هل دورتك الشهرية مُنتظمة؟

احمر وجه تيري خجلًا وهي تهتف:

- مهلاً!

- هل هي منتظمة؟

- أجل، وليس هذا من شأنك!

- أنا فقط أسأل عن الآثار الجانبية المتوقعة للعقار الذي تتعاطينه.

هل تأتي مرة كل شهر؟

وانتظر مُحددًا في وجهها. أجابت وما زال خذاها مُلتهبين حرجًا:

- كلا، أحيانًا ما تأتي في غير وقتها، لذا أحتفظ بهذه معي. نزول

بعض قطرات الدم من وقت لآخر أمر طبيعي عند النساء خاصة مع

الضغط النفسي. أتود أن تسمع ما هو أكثر؟ لدي الكثير مما أقوله عن

التقلصات كذلك.

بلا اكتراث، تناول بريئر الصور مُتجاهلاً محاولاتها لإحراجه. قلب في

الصور ببطء، مُتفحصًا كل واحدة بدقة، ثم قال:

- سأحتفظ بهذه.

ورفع أمامها الصورة التي تبين مكتبه ولوحة اسمه، وأعاد باقي

الصور إلى الحقيبة.

- يمكنك أن تحتفظي بالباقي. لا يمكن استخلاص أي شيء منها. آسف،

فخطتك غير مُجدية. حظ أوفر المرة القادمة.. لكن من الأفضل ألا

تكون هناك مرة قادمة.

ما زالت تيري تشعر بأثر عقار الهلوسة، والحجرة تنبض من حولها.

سألته:

- هل انتهينا؟

- تقريبًا. تيري.. أنت وأصداؤك جزء من بحث هام للغاية، وكذلك كالي. أعرف أن الأمر قد يبدو قاسيًا بالنسبة لك، لكن كل هذا لنفع البشرية. بلاد أخرى تفعل أمورًا أسوأ لتوسعة رقعة المعرفة.

ظهرت الظلال من حوله، أو ربما توهمتها تحت تأثير المخدر. ربما يسير برينر دوماً وسط هالة من الظلال مثل «فرسان الظلام» في رواية سيد الخواتم. لم تستطع تيري تجاهل حقيقته أبدًا.

- حقًا؟ هل تعزل فتاة في الخامسة عن أقرانها من أجل هدف أسمى؟ هل يجلسون أطفالاً كما تفعلون هنا؟ منعزلين عن العالم، يرتدون أردية المستشفيات، بلا أدنى معرفة بماهية الطفولة ومتطلباتها؟ - هؤلاء الأطفال ربما يكونون نقطة التميز الوحيدة التي نملكها.

صمت للحظات، وحين استكمل حديثه، وضع على وجهه ابتسامة باهتة.

- في آخر تقريرٍ مخبراتي، علمت أن الروس قد وضعوا نظرية أن الأم وأبناءها يملكون رابطًا عقليًا. هل تعلمين كيف اختبروا تلك النظرية؟ كان يضعون صغار الأرناب منفصلين عن أمهاتهم في حجرات معزولة، ثم يقتلون الصغار واحدًا تلو الآخر ليروا إن كانت الأم ستتأثر أو تشعر بألمهم!

- إلهي!

شعرت تيري بالغثيان وراحت صور الأرناب الصغيرة المُعذبة تتقافز في ذهنها. قال لها:

- من الأفضل أن تنصرفي، فتأثير العقار اليوم كان قويًا.

أخذت الصور معها إلى الفراش، بينما ظل برينر في مكانه.

- سأراك الأسبوع المقبل يا آنسة آيفز. لن تريدي أن تختبري صبري أكثر من هذا. أوه، لكن.. أنت مثل الأرنبة الأم في هذا الوضع، وستعودين لأنك لن تُغامري بأن أعاقب طفلة في غيابك.

رفضت تيري أن تخبره أنه مُحق. من الواضح أنه يعرف هذا. قالت له:

- هلا خرجت الآن؟

بمجرد أن خرج، قلبت في الصور التي التقطتها، ورأت أن الكتابات غير مقروءة بالفعل لأي شخص لم يرَ المستندات بنفسه. انتهى بها الأمر خاوية الوفاض، بالإضافة إلى انكشاف أمرها.

ثمة من يعتبرون أنفسهم أعلى مكانة من بريتر، لكنه يعتبرهم ممولين، داعمين، يكتب التقارير إليهم لا عنهم.. اختلاف عظيم بينه وبينهم.

الطريقة الوحيدة لإتمام العمل، أن تُنجز ما عليك إنجازه. بمجرد أن تتبع بوصلة شخص آخر، يفسد كل شيء. لحسن حظه أن أصحاب النفوذ الذين يحتاج إلى دعمهم قد تعفنت صلاتهم منذ زمن بعيد، وصار التلاعب بهم يسيراً وقد فقدوا شجاعة التمسك بقناعاتهم. ومع ذلك..

أعيد تكليف الضابط المتذمر بعد طرده بسبب فشله في زرع جهاز تنصت في ورشة خاصة. بعض الجهات المهمة في حاجة إلى تقرير عن بريتر بعد بقاءه عدة أشهر في منصبه. لذا قرر بريتر دعوته إلى مكتبه، فكالي قادرة على إبهاره، وقادرة على تأكيد براعة بريتر. الطفلة ستفعل أي شيء لإرضائه الآن بعد أن أدينت بتأمر مع تيري آيفز. كان بريتر قد ترك تيري تكتشف حقيقة حالتها بنفسها. ولو أنها تظن أن في إمكانها الإفلات من تحت إبهامه، فستعرف قريباً أن هذا مستحيل، خاصة مع حمولة رحمها الثمينة.

لم تنو تيري الاستسلام. كان أمر اكتشاف بريّنر لبحثها عن المستندات مُفزعاً، لكن خلال رحلتها في الحافلة الصغيرة إلى المنزل طرأت لها فكرة. ماذا لو أنها لا تملك وثائق كافية بعد؟ ماذا لو أن صورها بلا قيمة؟ ما زال في وسعها الاستعانة بجهة تحقيق لتقصي الأمر. عليهم فضح أمره وإخراج كالي. بريّنر ليس الوحيد القادر على التخطيط للمفاجآت.

حين وصلت إلى سكن الطلبة، طلبت من موظف الاستقبال دليل الهاتف، وقبّلت الصفحات حتى وصلت القسم الذي يحوي أقرب المدن إلى هوكينز، ووجدت اسم جريدة محترمة ورقم هاتفها.

وقفت تيري بعدها في نهاية صف الفتيات اللاتي يهاتفن أحياناً هن قبل النوم في انتظار دورها، حتى استطاعت أن تصل إلى الهاتف وتدير القرص في حماس ألم أصابعها، وانتظرت.

أجابها رجل في منتصف العمر:

- جريدة نيوز روم.

- أريد.. نريد الحديث معهم عن أمر هام، سبق صحفي. لدينا مُدير جديد لمختبر هوكينز القومي، يعمل في أمور سرية غريبة.

سألها الرجل:

- أفي هوكينز مُختبر الآن؟

- لن تصدق ذلك!

راحت تيري تلف سلك الهاتف حول كفها في محاولة لضبط النفس وعدم الإفصاح عن معلومات أزيد من اللازم. كان الصحفي مشغولاً في يومي الخميس التاليين، لكن ماذا عن الخميس الثالث؟ أخبرها أنه سيكون مسروراً بالمجيء ومقابلة المدعو دكتور مارتِن بريّنر، وتحري ما يحدث في الجوار.

أغلقت تيري السماعة وعلى وجهها ابتسامة عريضة..

الفصل العاشر

الرجال خلف الستار

أبريل، 1970

بلومينجتون، إنديانا

- ١ -

سَطَع ضوء الشمس خلال نافذة حجرة السكن الجامعي.
قالت تيري لستايسي مُتذمّرة وهي تغطي عينيها بذراعيها:
- لا أريد الذهاب، لكن عليّ أن أذهب.

كانت قد استيقظت منذ ساعة، لكن فكرة ركوب الحافلة والذهاب إلى
المختبر والارتقاء بين يدي بريّنر كانت مُستحيلة. لكن كان عليها الذهاب،
فقد اتصلت بالصحفي منذ يومين مُنتحلة شخصية أحد العاملين في
المُختبر كي تؤكد معه مواعده. أخبرته أنهم سيكونون في انتظاره في العاشرة
والنصف صباحًا، وأن عليه أن يخبر الأمن أنه آتٍ لمقابلة مارتين بريّنر.

تشعر تيري الآن بالقلق، تُرى هل ما فعلته حماقة أم حكمة؟
قالت ستايسي مُنشغلة في مذاكرة مواد مُتراكمة عليها:
- لا تذهبي كما فعلت. الأمر بسيط.

كيف خدعت ستايسي المختبر وأقنعتهم أن مستوى ذكائها متوسط؟
كانت ستايسي أذكي أصدقائها، وكانت قادرة على فعل ما تريد والنجاة
بأفعالها بسهولة.

أزاحت تيري ذراعها عن عينيها. الجهة الخاصة بستايسي من الحجرة
كانت فوضوية مُزدانة بالمعلقات وقصاصات المجلات التي تبين أساليب
المكياج، أما جهة تيري فكانت مُرتبة، على الحوائط عدد قليل من
الصور المؤطّرة ومُعلّق لفيلم «سابرينا» لأودري هيبورن مُهدى إليها منذ
أن كانت مراهقة.

- أشعر كأن الحافلة ستظهر وسط الحجرة وسيرغمونني على ركوبها!

- هل صرتِ أكثر ارتيابًا أم أنه يُخيل لي ذلك؟

سألت ستايسي سؤالها وهي مستمرة في المذاكرة.

- لدي أسبابي.

وكان ستايسي لا تعلم نصف الحقيقة. رفض بريزر الإعلان عن ماهية المفاجأة التي يُعدها هذا الشهر، ولم تر كالي مُجددًا. الجلستان الفائتتان أرهاقها باسترجاع ماضيها، ولم يترك لها فرصة للعودة إلى عالم العدم. كان الهلع رفيقها الدائم.

- أجل، كل تلك العقاقير المهلوسة. أتعجب كيف تعودين إلى الواقع..

أم أنك لا تعودين؟! ربما لذلك تبدو عليك علامات الارتياب دائمًا.

- لم أكن أعني هذا.

ارتيابها له اسم: دكتور مارتين بريزر. لن تستطيع هدم المُختبر على رؤوس من فيه، فقد تؤذي كالي. كين وج لوريا وأليس وهي نفسها لا يزالون عالقين، لكنها لن تترك بريزر ينتصر.

لن نسمح له..

قالت تيري دون أن تتحرك:

- لن أياس.

- جميل.

كانت ستايسي قد اعتادت هذه العبارات المفاجئة. أردفت مُتحدثة عن أعضاء فريق البيتلز:

- أتمنى لو نستغل عزمك في إقناع بول بالبقاء مع الفريق. لا يمكن

أن نلوم يوكو.. لكن من سيلوم غيرها الناس؟

كان فريق البيتلز قد قرر الانفصال وإبقاء القرار سرًا، حتى أعلن بول

قرارهم هذا الأسبوع من تلقاء نفسه. قالت تيري:

- غالبًا سيرحل جون أولًا. فليلومونه.

- أجل، هذا صحيح. أوه، لقد نسيت، وصلت بطاقة مصورة من

آندرو.

اندفعت تيري من فراشها كالطليقة هاتفة:

- ولم تذكرني ذلك أمس؟!!

كان البريد قد وصل ظهيرة أمس، مما يعني أن البطاقة موجودة من وقتها. كان المظروف يحوي صورة لقوس سانت لويس. صفعت تيري ستايسي بخفة على مؤخرة رأسها وهي تجلس على حافة الفراش تقرأ المكتوب خلف البطاقة.

”صغيرتي..“

بداية واعدة.. غالبًا هو تراجع عن قرار الانفصال.

”أردت أن أرسل إليك في نهاية الأسبوع الماضي لأخبرك أنني سأسافر غدًا. سأؤكد من إرسال عنوان يمكنك مراسلتي عليه. سأهاتف عائلتي في أقرب وقت، وقد وعدتني أمي أنها ستكتب إليّ. يمكنك معرفة المستجدات منها. أفتقدك.. لكنني أعرف أننا اتخذنا القرار الصحيح. أريد أن تعيشي حياتك أثناء غيابي.. فكري في من وقتٍ لآخر، وأنا سأحلم بك وبمنزلنا في «شاير» حيث الجانب المشرق من عالم سيد الخواتم.

محبتي،

آندرو..“

ضربها الاشتياق حتى أضعفها، لكنه دفعها للاستمرار. سيسافر آندرو إلى فايتهام ليدافع عن حياته وحيوات الآخرين، لذا فلا مفر من أن تتركب الحافلة مع أصدقائها وتذهب لمواجهة الوحش الذي يحيكي حكايات عن قتل الأرناب، ويرى أن حبس الأطفال وإجراء التجارب عليهم أهون من القتل. عليها أن تُقاتل من أجل مُستقبلٍ أفضل مما رآته أليس.

لهذا تطوعت من البداية، لمستقبلٍ أفضل..

ستكون لحظة تاريخية حين ترى الصدمة على وجه بريتر عند وصول الصحفيين. لذا، فقد وضعت البطاقة في حقيبتها -كانت تريد الاحتفاظ بها بالقرب منها- ثم حركت أصبعها برفق على صورتها وآندرو المعلقة

عند حافة المرآة. ما زال أندرو في كل دقة من قلبها. سألتها ستايسي:

- ستذهبين؟

- سأذهب.

- حسنًا، لا تنسي إبدأً أن ترتدي السروال.

- عقلي في حالة فوضى!

تنهدت تيري. كانت سراويلها قد ضاقت مؤخرًا.

- سأرتدي تنورة.

توجهت نحو الخزانة وفتحت بابها وراحت تبحث عن تنورة واسعة

تفي بالغرض. ارتدتها وهي تسأل ستايسي:

- ألن تسأليني عما كتبه أندرو؟

- كلا، فقد قرأت المکتوب حين تسلمته.

زحفت تيري على الفراش كي تأخذ وسادة وترميها نحو صديقتها

الضحكة. كل شيء بدا طبيعيًا للغاية، ما عدا وجهتها.

وصل الرجال هوكينز مُبكرًا، واصطفت ثلاث سيارات سوداء في الباحة تحت الشمس. كانوا يظنون أنهم سيقبضون على بريئر مُتلبسًا! قابلهم عند المدخل وحيّاهم، ولم يكن يتوقع أن يأتي المدير شخصيًا، ولم يعرف إن كان مجيئه أمرًا إيجابيًا أم سلبيًا.

- أيها السادة، سعيد بوصولكم.

قالها بريئر وكأنهم لم يصلوا مُبكرًا عن موعدهم بثلاث ساعات. أردف:

- خاصة أنت يا جيم. كيف كانت رحلتك من لانجلي؟

أجاب جيم وهو ينظر إلى المبنى من خلف بريئر:

- رحلة هادئة.

قدوم المدير أمر سلبي إدًا.

كانت بذلة المدير سوداء أنيقة، لكن بريئر كان قد ارتدى أفضل بذلة لديه، ولم تصل بذلة المدير إلى مستواها أبدًا. تعرّف بريئر على المرافقين؛ فقد رأهم في لقاءات أخرى وفي المعمل المركزي. كانوا مُهمين، لكن ليسوا في أهمية المدير. قال بريئر وهو يقودهم إلى الداخل مارًا بمكتب الاستقبال:

- حسنًا، لا تتوقعوا أن يكون الوضع مُريحًا هنا.

رجال كهؤلاء لم يكونوا ليدونوا أسماءهم في دفتر الزيارات، ولا يتركون أثرًا لتحركاتهم السرية.

- لكنني أعدكم أن تكون التجربة اليوم هي الأكثر إثارة في أسبوعكم.

لم يكن يريد أن يرفع سقف توقعاتهم، وإلا لقال إن ما سيرونه هو التجربة الأكثر إثارة في «هذا العام» أو «في حياتكم كلها»، خاصة مع ضمّه طفل تيري آيفز إلى ثمانية ضمن مجموعته المميزة.

قال أحد الرجال وهو يسير فينعكس الضوء على حذائه اللامعين:

- وأكثر التجارب إثارةً وتكلفةً كذلك.

- تحقيق نتائج هائلة يستوجب ميزانية هائلة.. هلا عرفتنني على

- معذرة. أنا بوب واكر.

قالها ولم يمد يده للمصافحة، أو ما بريتر تجاهه وسجل تصرفه في عقله. عليه أن ينتبه إلى المدير وهذا الرجل. أدلى الآخرون بأسمائهم خلال الطريق. لا يسافر المدير وحده أبداً هذه الأيام.

سمع بريتر قصصاً عن عمل بوب واكر الميداني الجامح الغامض، وقد صدق ما سمع. رؤيته وسط الإداريين العاديين أمر مخزٍ، فذوو البصيرة نادرون للغاية.

ضغط بريتر جهاز الاتصال الداخلي وقال إنه آتٍ بصحبة حسيلة اليوم من الأشخاص شديدي الأهمية. صدر صوت أزيز من الباب، ثم انفتح، وحيًا جنديا الحراسة المدير.

قال بوب واكر:

- أتساءل إن كان يمكننا مقابلة الموظفين التنفيذيين هنا وسؤالهم عن.. هذا المشروع وتكلفته.

لم يكونوا هنا فقط لأن بريتر دعاهم؛ فقد أدرك بريتر أنهم آتون بنية إنهاء عمله، أو على الأقل هذه هي نية هذا الرجل. تُرى ما دافعه؟ آه، هكذا تتضح الأمور..

سأله بريتر:

- هل كنت تعمل من قبل مع مسؤول الأمن الذي كان يعمل هنا؟

- أجل.. في حياة سابقة. رجل ممتاز.

تم حل اللغز!

- أنا على أتم استعداد لإجابة أسئلتك، فالموظفون يبلغوني كل شيء.

- نود حقاً الحديث معهم مباشرة، ومقابلة بعض حالاتك. فهمت أن

لديك أطفالاً هنا؟ لا يبدو الأمر فوق مستوى الشبهات إن سمحت لي.

قاطعته المدير:

- الآن.. دعونا لا نسبق الأحداث.

- أجل.

حاول بريتر أن يتنفس بانتظام ويحافظ على هدوء ملامحه. قال بوب:
- جيم يعرف أهمية عمله أكثر من أي شخصٍ آخر، وقد وظفني كي
أشرف على تجهيزات هذه المنشأة بنفسني.

عبس المدير لتذكيره بذلك، وقال:

- قد تتغير الأولويات. الأمر يتوقف على المنافع التي نحصل عليها
مقابل التكاليف.

ابتسم بريتر وقد تخيل نفسه يسبح وسط القروش. لكن لا مجال
للقلق، فهو أيضاً قرش. قال:

- أوافقك بشدة يا سيدي.

قرعت تيري بأصابعها على مقعد الحافلة المجاور لها. كين تأخر خمس دقائق، لذا فهم قد تأخروا على موعدهم في هوكينز كذلك وربما تكون ثمة عواقب لهذا. ثم رأت المشهد أمامها عند كابينة الحراسة، فزال كل ما أهمها.

توقفت الحافلة وتبادلوا النظرات، فقد أخبرتهم بأمر مكالمتها الهاتفية. عبر بريئر ساحة الانتظار إلى حيث رجل وامرأة يقفان مع حارس الأمن جوار سيارة قديمة. لا تعرف تيري الأوضاع المالية للصحفيين، لكن لا شك أن الواقف أمامهم هو الصحفي الذي حادثته. وضع الدكتور كفيه عند خصره حين وصل إلى الحارس الذي قال له شيئاً. تردد بريئر لوهلة وهو يفكر.

لم تعتقد تيري أن بريئر يُظهر أي لمحة من توتر أو تردد من قبل. خمنت أنه لن يستطيع المُغامرة بطردهما خوفاً من إثارة المزيد من الشبهات. كانت في حاجة لفعل أي شيء يؤكد لها أنه لن يطردهما. قبل أن يحاول أحد منعها، فتحت باب الحافلة فصاح السائق:

- ماذا تفعلين...؟

هرعت تيري نحو بريئر ومن معه وهي تهتف:

- ماذا يحدث؟ أئمة مشكلة؟

التفت الرجل في السيارة العتيقة نحوها. خرج سائق الحافلة يتبعها لكن بريئر أوقفه بإشارة من يده. حين وصلت إلى سيارة الصحفيين، أخرجت المرأة كاميرا وضغطت زنادها، وكانت يد بريئر مُعلقة في الهواء. قال بريئر:

- انتظري، لم نمنحك تصريحاً بالتصوير.

قالت تيري بطريقة مُستفزة:

- لا أمانع في التصوير. لكن، من أنتم؟ ولأي شيء ستستخدمون تلك

الصور؟

وضعت تيري كفها على فتحة قميصها في خجل. كان الصحفي ذا لحية ويرتدي معطفًا رياضيًا مُجعدًا يُناسب تخيلها عن أزياء الصحفيين. أما المُصورة فكانت في عمر تيري تقريبًا. قال الرجل:

- نحن من صحيفة رسمية، وجئنا بصدد كتابة تحقيق عن المُختبر.

سألت تيري بريئر في تعجب:

- هل يجرون تحقيقًا عن تجاربنا؟

ضيق الصحفي عينيه، فقال بريئر:

- لا شيء كهذا. يقولون أنهم هنا كي يكتبوا عني مقالًا. يبدو أن مواعيدي اختلطت. أعتقد أن اليوم غير مُناسب.

قالت تيري في كرم:

- لا مانع لدي، ولا أعتقد أن رفاقي يمانعون في إجراء لقاء صحفي

معهم.

قال بريئر:

- أنا لم أطلب...

ثم لاحظ نظرة الصحفي، فتراجع قائلاً للحارس:

- أعطهم تصريحًا بإيقاف سياراتهم هنا. سألقاكم جميعًا في بهو

الاستقبال.

ثم هرع إلى الداخل. ابتسمت تيري للصحفي وقالت:

- أتوق إلى معرفة رأيك في ما يجري، ومعرفة كل شيء عن دكتور بريئر

وخلفياته. هو رجل مُذهل.

- مُذهل.

كرر الصحفي كلمتها لكن بنفس الطريقة التي يقول بها المرء

«أحمق». مد الرجل ذراعه أمامها كي يأخذ تصريح ووقوف السيارة.

عادت تيري إلى الحافلة التي لم يبق أمامها مسافة طويلة حتى تتوقف

في الباحة.

تحركوا عبر أروقة المُختبر كمجموعة واحدة، وراح بريئر يشرح لهم

أنه بسبب جدولته المشغول، سيوكل الحديث معهم إلى دكتورة باركس. وبسبب سرية المنشأة والعمل الجاري فيها، فعليهم الاستئذان قبل تصوير أي شيء.

قالت المصورة وما زالت أصابعها على الكاميرا المتدلية من حزام على صدرها:

- حسنًا. ماذا عن صورة لك مع هذه الحالات؟

- ليس لدي وقت لصورة.

سألت تيري:

- هل علينا أن نغير ملابسنا ونرتدي زي المستشفى؟ كي تظهر الصورة بشكل دقيق. يمكننا أن نغير ملابسنا فورًا.

كانت تريد إثباتًا مرئيًا لوجودهم جميعًا هنا مع بريتر. قالت المصورة:

- يمكن أن أصوركم سريعًا دون الإخلال بمواعيدك.

عبس بريتر وقال:

- حسنًا، بالطبع.

كانت تيري مُستمتعة بالضغط على أعصاب بريتر.

الآن تعرف كيف هو الشعور بالقلق..

اقتادوهم إلى حجرات الكشف، حيث جلس الموظفون الآخرون. قالت دكتورة باركس لتيري بناء على توصيات دكتور بريتر:

- لا تفصحي عن أي تفاصيل تخص عملنا هنا.

وغادرت دكتورة باركس حجرتها لتُخبر الآخرين نفس الرسالة.

بدل الجميع ملابسهم، بينما انتظر بريتر عند نهاية الردهة مع امرأة أخرى ترتدي زي المستشفيات، ولم تكن تيري قد رأتها من قبل. كان الصحفي يدون في دفتره، بينما أشارت لهم المصورة كيف يقفوا أمام الحوائط الإسمنتية، وقالت:

- ابتسموا.

لكن تيري لم تبتسم، وشكّت أن يكون أحد آخر قد ابتسم. بدأت

المصورة في التقاط عدد من الصور أكثر من اللازم.

سأل الصحفي بريتر:

- ماذا ستخبرنا عن عملك هنا؟

- ليس ثمة ما يُقال. فكما أخبرتك، لا نريد الكشف عما توصلنا إليه في هذه المرحلة. تلك أمور سرية للغاية. أعتقد أن هذا يكفي، فلدي عدد من الاجتماعات اليوم.

- كيف بدأ اهتمامك بهذا المجال؟

ضحك بريتر ولم يُجب. قال الصحفي:

- حسنًا، أخبرني عن طفولتك.

أجاب بريتر مُتظاهرًا بخفة الدم:

- مقارنة مقياس الأخبار والمقالات الجذابة، فطفولتي مملّة للغاية لا تُغري أحدًا بمعرفة تفاصيلها.

زال رضا تيري تدريجيًا وهي تشاهد بريتر يعتاد على الوضع الجديد ويتعامل معه بشكل عادي. لكن لا بد أنه ينهار داخليًا، أليس كذلك؟ ربما يشك أن أحدًا من موظفيه قد دبّر له أمر التحقيق الصحفي. فليذق الارتياح الذي جعلهم يعيشونه. لكنه لم يكن يجيب إلا على الأسئلة التي يسمح بمعرفة إجابتها.

قال بريتر لتيري:

- لو سمحتِ، تعالي معي.

ثم قال للصحفيين:

- سأترككما مع دكتورة باركس، ويمكنكما العودة إليّ لاحقًا للمزيد من الملاحظات إن أردتما.

ثم عبس وأشار لتيري أن تتبعه وسألها:

- أنت من فعل ذلك؟

قالت في عدم اهتمام:

- وكيف أفعل ذلك؟

- أنت تغامرین بكل شيء. من الأفضل أن تفعلني بالضبط ما أطلب.

لن تحبي ثمرة عصيانك. سيأتي بعض الأشخاص لمقابلتك أنت وكالي. أحسني التصرف.

وقبل أن تسأله عن التفاصيل غادر الغرفة. حاولت فتح الباب لكنه كان مُوصدًا.

ثمّة من يريد مقابلتها هي وكالي. يبدو أن المفاجآت تتلاحق. ربما تنجح خطتها لو استطاعت اصطحاب كالي لمقابلة الصحفي، وهو سيسأل الأسئلة الصائبة.

بحثت في حقيبتها عن رواية «عودة الملك»، نسخة أندرو مُجعدة الغلاف. كانت قد اقتربت من النهاية وتتوق لمعرفة ما سيحدث. أخرجت البطاقة المصورة لتستخدمها في تعيين مكان توقفها عن القراءة. يا رب، دعه يصل بسلام ويكون بخير. اجعله محاطًا بمن يحمون بعضهم بعضًا. أرجعه لي سالمًا.

كانت تقرأ فصلًا عن أسر «الأورك» لسام وفرودو حين انفتح الباب، ودخل منه مساعد غير مألوف لها. كان قد جرح نفسه أثناء الحلاقة صباحًا فأعطاه الجرح المُحمر سمًا بشريًا.

قال لها:

- تعالي معي.

- ألا يمكنك أن تقول: من فضلك؟

- لا وقت لذلك. طلب مني دكتور بريتر أن أخبرك بأن تُحسني

التصرف مع الزوار.

كان سمجًا وهو يلقي أوامره ويخرج. زوار؟ أي زوار لمكانٍ كهذا؟ كانت تعرف أنه لا يعني الصحفيين.

ثم عادت إليها كلمات بريتر الشهر الماضي عن كالي، وعرض قدراتها. أئمة احتمال ألا يوافق هؤلاء الزوار عن الأسلوب الذي يتبعه بريتر في تجاربه؟

لو كان الأمر كذلك ما قدمك لهم.

لكن من يعرف؟ جلست وحاولت تهدئة نفسها. بعد لحظات عاد

المُساعد وحده وقال:

- تعالي معي.

قامت فظهرت أمام عينيها بُقع حمراء، وفقدت اتزانها. قال لها المُساعد وهو يمد يده إليها:

- عليك أن تكوني أكثر حرصًا ولا تقومي بشكلٍ مُفاجئ.

لم يُظهر لها أي شخص هنا تعاطفًا من قبل، فعزت ذلك إلى وجود الزوار. قادها المُساعد عبر القاعات، ولمحت أصدقاءها كلاً في حجرته. أُلن يُعرضوا على الزوار مثلها؟ أم أنهم قابلوهم بالفعل؟

كان بريّنر واقفًا جوار الحجرة التي تحوي جهاز الحرمان الحسي. قال لها حين وصلته:

- آنسة آيفرز! تذكّرين أن تعاونك حيوي للإبقاء على سلامة الحالة ثمانية؟

الحالة ثمانية. استرجعت في عقلها أرقام الملفات، لكن لا يمكن أن...

- هل تناديتها ثمانية؟ لا باسمها؟!

- لا تهتمي بذلك. مفهوم؟

عقدت تيري ذراعيها وقالت:

- لم لا تدعونا بأرقام بدلاً من أسمائنا كذلك؟

- التعامل مع البالغين أصعب من التعامل مع الأطفال، والآن، أتفهمين؟

- أوه.. أفهم!

أفهم أنك أكثر المخلوقات وحشية..

- مَنْ هؤلاء الزوار؟

- أشخاصٌ مُهمون. لا تُحدثي أي اضطرابات وإلا سنندم كلانا.

معذرة يا دكتور، فالندم لذوي القلوب فقط، وأنت بلا قلب.

- لن أفعل ما يؤذي كالي أو أي طفلٍ آخر.

بدت المُتعة على ملامحه وهو يقول:

- بالطبع، هذا ما نفعله، أليس كذلك؟

كانت تيري تنتظر اللحظة المناسبة، فتجذب الطفلة وتهرع بها إلى

فتح بريئر الباب، فدخلت وخلفها المُساعد. كانت كالي تقف وسط نصف حلقة من المقاعد وكأنها مقاعد مشاهدة عرض فني. وخلفها الخزان ومساحة خالية، وكان المشاهدون عددًا من الرجال الذين لم ترهم من قبل.

عندما رأت كالي تيري، ابتسمت مُظهرة أسنانها الصغيرة، ولوّحت لها. قال بريئر برفق:

- انتظري هنا.

ثم أردف مُخاطبًا الرجال ذوي البذلات السوداء:

- ها هي حالة واحدة أخرى تشهد اختبار الحالة ثمانية معكم.

ابتسمت كالي في سعادة لهذا الاهتمام. رفع أحد الرجال يده تجاه كالي وسأل:

- أستكون هذه خدعة مسرحية ما؟

سألت كالي:

- ما هي الخدعة المسرحية؟

أطرق الرجل أرضًا فقالت تيري رافعة صوتها:

- شيء لا يستطيعون فعله.

أومأت كالي في خجل وهمست:

- أوه.

رمى بريئر تيري بنظرة من نوعية (لا تتحدثي) وكأنها طفلة هي الأخرى.

سأل الرجل ذو الشعر المدهن المتألق تحت كشافات السقف:

- وكيف ستسير التجربة إذًا؟

قال بريئر للمُساعد:

- أغلق الأنوار.

سار المُساعد وأنزل مفتاحًا على الحائط، فغرقت الحجرة في الظلام كأنها مسرح قُبيل رفع الستار. كان الظلام دامسًا كأنه العدم.

قال بريترَ أمرًا:

- كالي.

سأل رجل في الظلام:

- ما هذا؟

ثم تلاه رجل آخر:

- لا أستطيع أن أرى شيئًا لعينًا واحدًا. افتح الأنوار.

- هذا مهزلة! لقد رأينا ما يكفي.

كرر بريترَ أمره:

- كالي.

تفجر اللهب فجأة، ففي لحظة كانت الحجرة غارقة في الظلام، وفي اللحظة التالية انطلقت نيران شبحية من كالي تجاه المتفرجين. صرخ الرجال في صدمة لا أم. طقطقت النيران وشقت الهواء. أرادت تيري الهرب، لكنها كانت تسمع نحيب كالي، فسارت عبر النيران نحو الفتاة. هذا ليس حقيقياً..

من الصعب تصديق أن هذا وهم وهي تخوض فيه، كل جزء من عقلها يصرخ فيها أن تفر من الحريق وتنجو بنفسها. ركزت تفكيرها على كالي حتى وصلتها، طوقت كتفيها بذراعيها وضمتها إليها. وتصاعدت السنة اللهب الزائف أكثر وأكثر.

- كالي، تستطيعين إيقاف هذا. ليس عليك أن تستمري، أنا معك.

لكن الجحيم بدا أبدياً، لن يتوقف مُطلقاً. ارتجفت الفتاة وانتحبت.

- لا أستطيع!

همست تيري:

- تستطيعين.

مات اللهب فجأة كما بدأ، وشعرت تيري بالطفلة ترتخي بين ذراعيها، ثم عادت الأضواء.

كان رجلان قد أحضرا أسطوانات إطفاء الحريق ووجهوها ناحية الطفلة وتيري، فحركت الأخيرة جسدها لتحمي كالي التي ما زالت تبكي.

- توقفوا!!

حان وقت الفرار والبحث عن الصحفيين، لكن لم تكن ثمة طريقة لتفعل ذلك. كانت هي وكالي تحت رحمتهم هنا. لا خيار أمامها. وضع بريتر القوانين وعليها الانصياع لها اليوم. هؤلاء الرجال قد رأوا ما في إمكان كالي فعله.

امتدت لحظة الصمت، حتى قطعها بريتر مُبتسماً للرجل الواقف بين الرجلين المُمسكين بأسطوانات إطفاء الحريق.

- مذهل، أليس كذلك أيها المدير؟ كنتُ لأصف ما حدث بالمعجزة لو أنني أؤمن بالمُعجزات بدلاً من العلم.

- أجل، مذهل للغاية. آسف لأنني قلت أن ما يحدث مهزلة. نظر المدير إلى الرجل ذي الشعر المدهن الذي يحمل الأسطوانة، ثم إلى الرجل الآخر، بعدها قام ونظر في رهبة إلى كالي وتيري، ثم قال:
- تخيل...

قاطعته بريتر:

- تخيل لو أن لدينا المزيد من ذوي القدرات الخارقة، ومن هم أقوى. ثم سار حتى طوّق تيري بذراعه وأردف:
- وسنجد من هم أقوى.

سأله المدير:

- أنت واثق؟

- نحن نرعى الجيل القادم من ذوي القدرات الإعجازية كما أخبرتك. قال الرجل ذو الشعر المدهن:

- أنا سعيد بدعوتنا لرؤية هذا. لقد تسرعنا في الحكم.

راح الرجل يحدق في تيري من رأسها إلى قدميها كأنها حجر نفيس.

- أخبرنا عن باقي حالاتك في مثل عمرها. هل رجّحت اختيار أحد؟
أجاب بريتر:

- عدد منهم.. واحدة منهم تستجيب للصعق الكهربائي بشكل مذهل.

ثمة شيء مُريب في الطريقة التي ينظر بها هؤلاء الرجال لتيري، حتى

أنها شعرت بالغثيان. فكَّرت في كلمات بريئر عن الحصول على أشخاص مثلها، وعن الجيل القادم.. ثم...

بالنظر إلى وهنها الجسدي، وجوعها الدائم، وميلها للبكاء، وانتفاخ جسدها، والأعراض التي تشكو منها فقد تكون...

لماذا لم يُخبرها؟! لماذا يستمر في التجارب لو أنه يعرف؟ ولأي غرض؟

يمكن أن أكون مخطئة وأقفز إلى استنتاجاتٍ بلا تفكير.

لكن.. بلا شك هو قادر على إجراء التجارب على الأطفال.

حدقت نحو الباب مُجاهدة كي تقف على قدميها.

- أريد أن أستلقي لو سمحتم.

قالتها ووضعت يدها على بطنها كأن نبض قلبها هناك، واستدارت

تُبعتها عن نظرهم، ثم تراقصت الحجرة من حولها. قال دكتور بريئر

من خلفها:

- لا بأس. أحسنتِ يا آنسة آيفز.

هي لم تفعل شيئاً سوى مُساندة كالي، وهو شيء لم يفعله قط. أخذ

المساعد بيدها، فتملصت منه كي تستطيع أن تُمسك بطنها، نبضها

يتسارع وهي تتساءل إن كان ما تشعر به هو نبضٌ آخر في أحشائها.

لم تكن آليس واثقة أهو أثر عقار الهلوسة، أم الكهرباء، أم شيء آخر، لكن الطاقة في المُختبر كانت مُختلفة اليوم، وكان المكان يصدح بترددات غريبة عن المُعتاد. لم تأتها دكتوراة باركس حتى وقتٍ متأخر، فقد كانت مشغولة مع الصحفيين. لم يسر الأمر كما خططت تيري، لكن وجود الصحفيين ربما يُقلق بريئر وينغص عليه سلامه.
ربما..

على أية حال، فقد عرضتها دكتوراة باركس لصدمة كهربية واحدة، ثم قالت لها «هُوئي عليكِ» هذا الأسبوع.

كان الناس ينطلقون عبر الطرقات، وقد رأت تيري تمر بصحبة أحد المساعدين. كانت قد رأت لمحة من كابوسٍ مختلف عن وحشٍ من نيران، وظلام، وطاقة عظيمة. ممصاته طويلة تتحرك في كل صوب، تكبرُ حتى تكاد تُغطي السماء، تنطلق من فمه ألسنة النيران تحمل الدمار.

كيف يمكن لأي شخص مواجهة شيء كهذا؟

انفتح الباب، ولدهشتها رأت كالي تتقافز داخله منه، ثم جرت نحوها وطوقتها بذراعيها.

- آليس! اليوم كان ممتعاً!

- كيف هذا؟

نظرت آليس خلف الطفلة، فلم تر من يتبعها.

- الرجال هنا وكان عليّ أن أفعل أشياء. تيري كانت تشاهدني.

رفعت آليس حاجبيها، وكانت الأسئلة تتصارع على لسانها.

- وكيف خرجتِ وجئتِ إليّ؟

- بابا مشغول! سألته لو يسمح أن أذهب لزيارة صديقتي، فقال لا

بأس.

وابتسمت كالي ابتسامة ماكرة وأردفت:

- أعتقد أنه كان يظنني أريد زيارة تيري. لكنني كنت قد رأيتها

اليوم، فجئت أراكِ.

شيء أثقل كاهلي آليس، فقد كانت تعرف أن رؤاها لا تُمثل الحاضر، بل ما سيحدث. لكن.. هذه الفتاة تعيش هنا.

- كالي، هل رأيتِ وحشًا في المُختبر من قبل؟

عقدت كالي حاجبيها في تركيز ثم أجابت:

- لا أظن. وحش من أي نوع؟

رفعت آليس ذراعيها وراحت تحركهما كأذرع الأخطبوط.

- ضخم ذو أذرع مخيفة وفم يحتل أغلب رأسه.

هزت كالي رأسها واتسعت عيناها وهي تسأل:

- هل يعيش هنا؟

خوفها المُفاجئ كان جليًا.

أحسنَتِ يا آليس!

كانت آليس قد شاهدت فيلم رُعب وهي في الثامنة من عمرها ولم تتم لمدة أشهر إلا والنور مُضاء، ومنعتها أمها من مشاهدة هذه الأفلام مرة أخرى. ما زالت تتأكد أن لا وحوش تحت فراشها من وقت لآخر، وتحرص على ألا تتدلى قدمها خارج حدود الحشية أبدًا.

كانت قد طلبت من كين أن يحكي قصة مرعبة في تلك الليلة لأن جزءًا منها يستمتع بإحساس الخوف. لكن حين كانت طفلة، هذا الجزء لم يكن يستمتع بهذا أبدًا.

- لا تقلقي أيتها النُّميرة.

لكن كالي ظلت عابسة. سألت آليس:

- أنتِ رأيتِ هذا الوحش، أليس كذلك؟

أومات آليس ثم قالت:

- لكن ليس الآن. الوحش ليس هنا الآن، لكن ربما يوجد في المستقبل.

- المستقبل؟

- سيحدث هذا في زمن ما، لكن على الأغلب ليس قريبًا. انسي ما

قلت.

زأرت كالي كالنمر وهي تجول في أرجاء الحجرة:
- أنا لا أنسى! أتريدين أن تشاهدي ماذا فعلت أمام الرجال؟
- كلا.

بدا الإحراج على كالي، فأردفت آليس:

- لا أريدك أن تدفعي ثمن الأوهام.

هزت كالي كتفيها وقالت:

- لا أمانع.

-هذا لأنك فتاة طيبة.

- بابا لا يظن ذلك.

قالتها في لهجة تقريرية لا تحتمل النقاش. عاقرت آليس كي تجد إجابة

بلغة يفهمها الأطفال، ثم أخيراً قالت:

- إداً فعقل بابا "كأكا"!

ضحكت كالي حتى خشيت آليس أن تسقط أرضاً. على الأقل نسيت

الطفلة خوفها من الوحوش ذوات الأفواه العملاقة.

ليت آليس تستطيع النسيان مثلها.

بمجرد ابتعاد الحافلة، التفتت تيري للآخرين حيث وقفوا في ساحة انتظار الحرم الجامعي. لم تستطع التوقف عن لمس بطنها وقد فكرت في آلاف الأحداث المترتبة على حملها، بما فيها الاحتمالات المقلقة مثل: رد فعل بيكي الغاضب، هل تخبر أندرو وهل سيفزع، طردها من الجامعة على الأرجح..

ثم هناك مشكلة بريز، ماذا ستفعل؟
- نحتاج أن نتحدث. أحتاج أن أتحدث.
سأل كين:

- أذهب إلى الورشة؟ للأسف الصحفي لم يُوفَّق في مهمته، لكنهما استطاعا جمع ما يصلح لمقال أو خبر.
سألت جلوريا:

- من كان هؤلاء الرجال ذوو البذلات السوداء؟
لفت تيري جسدها بذراعيها وقالت:
- هؤلاء من أسباب حاجتي للحديث معكم.
قالت أليس وهي تضع يدها على ذراع تيري:
- سأوصلك. أيّا كان ما يُقلقك سنجد له حلاً.
هزت تيري رأسها وقالت:

- لا أظن. لننتحدث هنا، فعليّ العودة للقاء زميلتي في السكن.
نظرت جلوريا حولها مُتفحصة ساحة الانتظار بدقة، ثم قالت:
- حسناً، السائق رحل.

أشار كين نحو مبنى قريب وقال:
- ثمة مقعد يمكننا الجلوس عليه هناك. ما دمنا لن نُطيل بقاءنا فلن يُزعجنا حرس الجامعة.
كان المساء بارداً هادئاً، والسماء مخفية خلف سحب رمادية مُنخفضة.

كانت أشجار الحرم الجامعي قد بدأت في الإنبات، لكن الأزهار الصغيرة بدت كالدموع وسط الظلام. حين وصلوا إلى المقعد الذي أشار إليه كين، جلس هو وآليس على الرصيف وتركوا المقعد لتيري وجلوريا. سألت آليس:

- ماذا بكِ؟

قالت تيري بصعوبة:

- أعتقد.. أعتقد أنني قد أكون حاملاً.

لم يعرف أحدهم كيف وبما يردُّ أو ماذا قد يكون رد فعله على نبأ كهذا. قال كين:

- كنت أشعر أن ثمة ما ينقص المشهد. كنت أعرف!

أرادت تيري أن تضحك، وتبكي، وتصرخ. قالت في اتهام مازح:

- أنت أسوأ مُتنبئ في العالم!

- غير دقيق، لكنني لست سيئاً مُطلقاً!

كين لطيف للغاية بحيث لا يمكن لأحد أن يلومه على أي شيء.

همست تيري:

- آسفة.

- لا عليكِ.

قاطعتهما جلوريا:

- هل أنتِ مُتأكدة؟

- كلا.. لكنني تقريباً مُتأكدة.

حدقت آليس فيها وهي تسأل:

- كيف لم نلاحظ؟

قالت جلوريا في هدوء:

- لا يظهر عليها أي معالم واضحة. ثمة أماكن يمكنك اللجوء إليها،

وليس عليكِ إخبار أحد. عدد من الفتيات اللاتي أعرفهن من الكنيسة فعلمن ذلك.

قالت تيري:

- هو طفل أندرو. لو أنني حامل فهو ابني وابن أندرو. لا أستطيع التخلص منه.

قامت آليس وبدأت تروح وتجيء على الرصيف مغممة:
- عليك إخباره.

- لقد سافر. تلقيت بطاقة منه أمس.

تُرى كيف سيكون رد فعل أندرو؟ لن يفرح، سيسعد بهذا الخبر. ليس لديها أدنى شك في هذا. سألت جلوريا:

- أعتقدين أن دكتور بريتر يعرف؟ هم يأخذون عينات من دمنا بشكل منتظم.

- بالتأكيد يعرف، فقد ملّح إلى ذلك اليوم ولهذا استنتجت أنني حامل.

فكرت تيري في عرض كالي العجيب، وما حدث من استحسانٍ بعده وأردفت:

- هو مُحصن الآن. كان عليكم رؤية رد فعل هؤلاء الرجال. يستطيع الحصول منهم على ما يريد.

توقفت آليس عن السير وقالت:

- هو يعرف أنك لو علمت بحملك سترفضين تناول عقاقيرهم، لهذا السبب لم يُخبرك.

- لقد قال أن هذا الطفل هو بداية الجيل القادم من الأشخاص الخارقين! سأحرق هذا المكان قبل أن يحدث هذا.

تنهدت آليس وقالت:

- لكن كالي ما زالت هناك. جاءت لتراني اليوم، وأعتقد أنني قد أَرعبتها.

- كيف؟

- وصفتُ لها وحشًا.

- آليس!

- على الجانب الإيجابي، هي لم تر أي وحش.

نظرت آليس إلى قدميها، ثم رفعت رأسها نحو تيري وأردفت:

- ماذا تريدنا أن نفعل؟

- لا شيء.. فقط فكروا قدر استطاعتكم. ثمة شيء نستطيع فعله للفكاك من هذا المكان. لا يمكنه أن يحصل على طفلي.

مدت جلوريا يدها لتمسك بيد تيري وهي تقول:

- هوّني على نفسك. لقد اكتشفت الأمر الآن وعليك أن تهدأي أولاً. الخطوة التالية هي أن نعرف أنتِ في أي شهر من الحمل، أو ما إذا كانت هناك علامات أن الطفل ليس سليماً..

قالت تيري في مرارة:

- أعرف أنهم يعملون على ضمان سلامته.

مسدت جلوريا شعر تيري كما تفعل أمها معها لتهدئتها وهي تقول:

- لكنك لا تحافظين على سلامته بتوترك هذا. كل شيء سيكون على ما يُرام.

وضعت تيري كفها على كف جلوريا وضغطت عليها بخفة.

- أشكرك.. أشكركم جميعاً.

كان عليها أن تذهب إلى لقاء ستايسي، بعدها ستري أي خطوات عليها اتباعها. قام كين واقفاً وبلا مقدمات وضع كفه المنبسطة على بطنها. احتجّت تيري:

- ماذا تفعل؟

- هي فتاة. لا أستطيع أن أراك أو أراها بوضوح، لكنها فتاة.

فتاة؟! سألد فتاة!

6.

حين دخلت تيري الغرفة، وجدت ستايسي جالسة على فراشها

الفضوي تطلي أظفار قدميها. قالت تيري:

- حمداً لله أنك هنا.

كان أصدقاءها الجدد قادرين على فهم ما تمر به أكثر من أي شخص

آخر، لكن ستايسي كانت أقدم أصدقاء تيري، تستطيع فهمها بشكل مختلف، وهذا ما كانت تيري تحتاجه الآن.

- ماذا حدث؟

سألت ستايسي غير عابئة بفزع تيري الواضح. وقفت تيري عند رأس الفراش، وانتشلت زجاجة طلاء الأظفار من بين يدي صديقتها رغم احتجاجها.

- مهلاً!

وضعت الزجاجة على المكتب، ثم جذبت يد ستايسي ووضعتها على بطنها.

- أعتقد أنني عرفت السبب وراء شراھتي العجيبة.

نظرت ستايسي في صدمة إلى حيث يدها، ثم إلى وجه تيري، تفضح عيناها رد الفعل الذي توقعته الأخيرة.

- تيري! ماذا سنفعل؟

كادت تيري أن تضحك، ثم مستوى معين من انعدام المعرفة في ردود أفعال أصدقائها.

- كنت أمل أن تساعدني في معرفة ما عليّ فعله. أريد أن أتأكد أنني مُحقة.. لكنني لا أريد التأكد من طبيبي، فأنا أخشى أن يكون مُراقبًا.
- تيري، صغيرتي، لا يمكنك أن تظلي قلقة بشأن المُختبر. عليكِ التوقف عن الذهاب.

ارتمت تيري على حافة فراشها وقالت:

- هل يمكنك تحديد موعد لي مع طبيبك؟ أفضل ألا أذهب إلى طبيبي.

- سأتصل به في الصباح.

- هلا حجزت لي باسمك؟

- بالتأكيد. الآن عرفت سر ارتيابك؛ هرمونات الحمل! لكن يجب عليكِ أن تعرفي أن طبيبي مُسن غريب الأطوار. لقد لمسني في مكانٍ حساس من قبل!

مُقارنة بالهول الذي تلقاه في المُختبر، فهذا أمر يسير.

- سأعايش.

قامت ستايسي وجذبت تيري إلى صدرها وقالت:

- سيسعد آندرو للغاية. ربما يطلب منك الزواج قبل رحيله.

- أعرف.

سيكون هو الإنسان الوحيد الذي يسعد لأمرٍ كهذا.

- لكن هذا الحمل لن يجعل الأمور أفضل..

وافقتها تيري، فقد كانت تفكر في ذات الشيء. لكن كل شيء فيها كان يرفض تلك الفكرة، خاصة بعد ما قال كين أنها حامل في أنثى. عليها أن تكون أقوى الآن.

- كلا، ستكون ابنتي بخير حال.

- كما قلت، هرمونات الحمل!

الفصل الحادي عشر وداعًا.. ومرحبًا

مايو 1970
بلومينجتون، إنديانا.

-١-

لم تكن عيادة طبيب ستايسي بنفس البرود والعملية التي اعتادتها تيري في حجرة الكشف بالمختبر. وجود لوحات قديمة على الحوائط أشعرها بالحميمية، كما كانت خامة رداء الكشف أثقل. على طاولة جوارها رأت صندوق محارم ورقية، وأوعية تحوي خافضات اللسان الخشبية، وكرات قطنية، وحلوى للأطفال. أمامها مُعلق يحمل عنوان (الجسم البشري) ويمثل رسمًا للهيكل العظمي والأجهزة الحيوية لجسد رجل.

أعتقد أنه لن يُريني أين الطفل على مُعلق لجسد رجل.

دونت ممرضة صغيرة الحجم وزنها، وعاملتها بجفاف حين عرفت سبب زيارتها، ثم طلبت منها ارتداء زي الكشف. أخذت عينة من بول تيري في كوب وابتعدت وهي تقول:

- نستخدم هنا اختبارًا وأمبولًا للحمل، هو أسرع وسنعود إليك بالنتيجة خلال ساعتين.

انتظرت تيري لساعتين مُنكمشة في رداؤها، مُنتظرة الحُكم الرسمي. تمَّنت لو أنها طلبت جريدة حتى تستطيع أن تتابع آخر تطورات إطلاق النار في كينت!

لم يستطع أحد حتى الآن معرفة السبب الذي دفع الحرس الوطني
1 - حادث إطلاق النار في كينت، أو ما يعرف بمذبحة الرابع من مايو هو حادث مقتل عدد من طلاب جامعة كينت على يد الحرس الوطني في أوهايو خلال مظاهرة سلام.

إطلاق النار لمدة ثلاث عشرة ثانية على الطلبة أثناء مظاهرة سلام.
يا للسرعة التي قد تنتهي بها الحياة.

أخيراً انفتح الباب، ودخل الطبيب تتبعه الممرضة. عبس الطبيب
وسحابة من شعرٍ على هيئة الفطر تعلو وجهه وهو يقول:
- أفهم أنك صديقة ستايسي سوليفان.

كان يشبه آينشتاين. دس كفيه في قفازين مطاطيين، ولاحظت تيري أن
كفيه كانتا كبيرتين مُشعرتين. تممت حقاً ألا يحاول لمسها حيث لا ترغب.
- هذا صحيح.

- وآل سوليفان أشخاص صالحون. ستايسي فتاة ذكية، أذكي من أن تقع
في المشاكل.

إدّاً فطيب ستايسي بالفعل غريب الأطوار من الجوانب كافة. من
الجيد أنها عرفت هذا مُبكراً.
- هل تعني أنني في مشكلة؟

نظر إليها نظرة شاحبة وأجاب:
- أجل. ولا يجب أن أوقع الكشف عليكِ دون حضور ولي أمركِ، أو
والد الطفل. ثم خمنتُ أن الأب غير موجود وإلا لم أتيتِ وحدك.

- لقد أرسل إلى فايتمام قبل أن أعرف أنني حامل. علاقتنا جادة.
- لا أعتبر أي علاقةٍ جادة إلا علاقة الزواج. ما كان عليكِ أن تقعي في
المشكلة التي أنتِ فيها الآن.

أشار إليها أن تتمدد على الفراش وأردف:
- لتر مدى سوء وضعك.
يا له من رجل رقيق!

ندمت على مجيئها إلى هنا لوهلة، وهي تذكّر طبيب عائلتها وطبائه
الحسنة وتعاطفه، حتى أن الحمى بالنسبة له كانت سبباً لوصف الأيس
كريم كعلاج. حتى أنه قد حضر جنازة والديها.

في توتر تمددت تيري على فراش الكشف، المفترض أنها قد اعتادت
على فحوصات الأطباء، لكن.. كان هذا مُختلفاً. كانت قد حسبت المدة
التي مرت من حملها، لكنها لم تستطع تحديد الفترة التي حملت فيها
بدقة. كانت تستخدم هي وآندرو وسائل الحماية الجنسية، لكن في

مرة أو مرتين كانت واثقة أنها في غير أيام التبويض ولم تستخدم وسيلة حماية من الحمل.

رفعت الممرضة ساقها ووضعت كل واحدة على حامل معدني في نهاية منضدة الفحص، ثم وضعت ملاءة على نصفها السفلي. أغمضت تيري عينيها وحاولت أن ترحل إلى مكانٍ آخر ريثما ينتهي الطبيب من فحصه المزعج.

سألت:

- ما سبب برودة الأدوات إلى هذه الدرجة؟!

لم يُجب الطبيب، لكن قال:

- يمكنك أن تجلسي.

- حسناً؟

- أنت في الثلث الثالث من الحمل.

نظرت إليها الممرضة نظرة شماتة وكأنها خططت لكل هذا، لكن تيري كانت مصدومة، لم تتوقع ذلك. ظلت تعيد الحسابات في عقلها.. نوفمبر. يوم أن دفعت الكفالة لآندرو.

- الثلث الثالث؟!

كانت تريد أن تتأكد أنها فهمت ما قال بشكلٍ صحيح.
- أجل.. أنت في شهرك السابع على الأغلب. غريبٌ أن الحمل لا يظهر على شكل جسدك.

ثم سدّد نحوها نظرة شامته أخرى كنظرة الممرضة.
- أصدق أنك لم تكوني تعرفين بأمر حملك. على العموم أنت لم تهتمي بالبحث عن حل مقبول لمشكلتك. ثمة أماكن يمكنك الذهاب إليها حتى تلدي، ولن يعرف أحد بأمر حملك من الأساس. عليك فعل ذلك.
قالت تيري:

- كلا.. لن أتخلص منها.

- نحن لا نعرف جنس الجنين. أنت تتخذين قرارات غير حكيمة تحت تأثير الهرمونات.

استمر في حديثه كأنه يرويها بقطوف حكمته:

- أنت أخطأتِ الحكم ومن الأفضل للجميع أن تتركي الطفل يعيش

مع زوجين مُحبين يرعيناه.

لن تناقش تيري قراراتها بشأن طفلتها مع رجل كهذا، لكنها كانت مُدركة أنها لن تصل إلى أي مكان إن جادلته. كل ما كانت تريده المعلومات.

- أخبرني بما عليّ معرفته عن باقي فترة الحمل. أتستطيع أن تخبرني إن كانت.. إن كان الطفل بخير؟

أخفض الطبيب أنفه وأطل عليها من تحت حاجبيه الكثيفين كالدغل وقال:

- كل شيء يبدو طبيعيًا، لكن تحدثي مع عائلتك وسيكون رأيهم من رأيي. عليك زيادة سعراتك الحرارية. الطفل يحتاج لاكتساب الوزن، مما سيتسبب في زيادة وزنك بالتبعية. ستحتاجين إلى التبول بشكل متكرر، وستحتاجين إلى ترك دراستك...

- سينتهي الفصل الدراسي الأسبوع القادم.
حمدًا لله!

ربما ستعبر تلك المرحلة دون أن تعرف الكلية وتطردها لمخالفة الأخلاق. الفتيات المُحترمات لا يحملن دون زواج. لكن الأمر لم يكن مُخزيًا من وجهة نظر تيري، ولا تهتم لكل هذا. كل اهتمامها كان منصبًا على الوحش الذي ملأ جسدها بالعقاقير وعلى هدفه من وراء ذلك. لو أنه يظن أن طفلها هو الجيل القادم من ذوي القدرات الخارقة وأنه يملكه فهو مخطئ.

كادت تطلب من الطبيب السرية، فهي غير واثقة من أن برينر لن يعرف عن لقائهما هذا.. لكن..

سبعة أشهر؟ سبعة أشهر! لا بد أن برينر يعرف ولم يخبرها عامدًا كما قالت آليس، كي يستمر في إعطائها العقاقير.

الخزي يمكن أن ينتظر، ربما للأبد. كل همها الآن يتلخص في كلمة واحدة: الفرار.

لا بد أن هناك مخرجًا من كل هذا دون أن يتأذى أحد. لكن أولاً عليها أن تُخبر أندرو أن طفلهما في الطريق. قالت للطبيب:
- سأرى ما يمكن فعله.

بدت قاعة الاستقبال في السكن الجامعي بالنسبة لتيري أكثر ازدحامًا من ممشى جراند سنترال، غير أنها لم تكن قد ذهبت إلى هناك من قبل، لكنها كوّنت فكرة عنه من خلال الأفلام. كل من حولها يهرعون إلى أماكن عليهم الوصول إليها في أقرب وقت، فالامتحانات النهائية بعد أسبوعٍ واحد. هو موسم يسارع فيه الجميع لتحصيل أكبر قدر من المعلومات الكافية كي ينجحوا، ولتحصيل أكبر قدر من المتعة كذلك ليكفيهم أثناء العطلة في بيوتهم.

كان عليها انتظار انتهاء الأربعة أشخاص في الصف أمامها من مكالماتهم، فأخرجت روايتها تتصفحها دون تركيز. ما زال سام وفرودو في أسر الأورك. في النهاية ينست من أن تستطيع إكمالها دون تشوّت. الاتصال بوالدة أندرو هو أفضل ما يمكنها فعله الآن. أملها أن تستطيع السيدة ريتش ترتيب اتصال أندرو بها في السكن في ساعة معينة.

تدربت تيري بالفعل على ما ستقوله له: ماذا لو طلبت منك أن تنسى أمر انفصالنا ولنعلن خطبتنا لأن سيكون لدينا طفل! حين جاء دورها، طلبت الرقم وانتظرت في قلق حتى تسمع الجرس. وقبل أن تفقد الأمل أن تردّ السيدة ريتش، رفعت سماعة الهاتف وسمعت صوتها المتحشرج مثل المرة السابقة.

- سيدة ريتش؟ أنا تيري آيفز. أحتاج أن أتحدث إلى أندرو للضرورة، هلا سألته أي وقتٍ يناسبه ليتصل بي في السكن؟ كي أنتظره.
- أنا.. أنا..

وسمعت السماعة تسقط، بعد ثوانٍ سمعت صوت والد أندرو يتساءل:

- من أنتِ؟
- أنا تيري، صديقة أندرو. كنت أريد إيصال رسالة إليه.
- آسف يا تيري.. آسف لإخبارك أنه...

ولم تسمع تيري ما قيل بعدها.

كان كين في حجرته يُذاكر لامتحان الفيزياء حين واتاه ذلك الشعور
البارد المُظلم. الضوء يخفُّت، ويغشاه الشعور بالضياع.
كان يبحث عن إجابات، وحين وصلته، لم يُعد يريد لها. كل خلية في
جسده موقنة الآن أن أندرو قد مات.

قرعت آليس باب حجرة تيري في السكن، ولم تكن تشعر براحة كاملة داخل الحرم الجامعي. في البداية كان فضولها يدفعها لتفحص كل ركن خاصة المصعد، ومعرفة كيف يعمل. كانت الجامعة عالم قريب لكن سري. والآن بعد أن عرفت أشخاصًا ينتمون إلى هذا العالم صار المكان أكثر برودة وجفاء.

في طريقها ظل يرمقها الجميع في تعجب. لماذا تأتي فتاة ترتدي هذه الملابس إلى الجامعة؟ لكنها كانت هناك لأجل صديقتها.

فتحت ستايسي باب الحجرة وقالت:

- أهلا آليس. شكرًا لحضورك. جلوريا هنا.

هتفت جلوريا من مكانها جوار تيري خلف المكتب:

- أهلا آليس.

كانت أكوام الكتب والأوراق أمامهما تشي بالعمل الجاد، أردفت

جلوريا:

- تيري تحتاج إلى الذهاب إلى امتحان الأدب، ثم تقدم هذا البحث بعدها. أنا أساعدها.

سألت آليس:

- كيف حالك الآن؟

قالت تيري وهي تجاهد كي تبدو مُتماسكة:

- لا تسأليني هذا السؤال.

- لكِ هذا، لن أسألك عن أي شيء يخص حالتك النفسية. هل أنت

مُستعدة للامتحان؟

اتصلت ستايسي بآليس وجلوريا بعد تلقي تيري خبر وفاة أندرو، كي يتكاتفن جميعًا ويساعدن تيري على اجتياز الامتحانات. فكرت ستايسي أن الأمر سيكون أسهل لو تبادلن الورديات في مساعدتها حتى تتمكن

هي وجلوريا من الاستذكار أيضًا.

قالت ستايسي:

- لن تُطرد فتاتي من الجامعة من أجل هراء من حبة ما قبل التاريخ. ستدخل امتحاناتها وستنجح.

لم تجادل إحداهن. سيدفعن تيري إلى نهاية الفصل الدراسي مهما كلفهن الأمر. أخذت جلوريا حقيبتها ومعطفها ووقفت جوار آليس وسألتهما بصوت خفيض:

- كيف حالك؟

- هل هي مُستعدة للغد؟

والغد هو الخميس. قالت تيري وقد سمعتهم:

- لن أذهب إلى المُختبر غدًا. لا أعرف بعد ماذا سأفعل كي أوقف ما يحدث.

تبادلت آليس وجلوريا النظرات. قالت ستايسي:

- بالطبع لن تذهبي إلى ذلك المكان. لماذا تذهبي؟ لديك ما يكفي لتقلقي بشأنه.

قالت جلوريا:

- علينا أن نذهب نحن إذًا، لنرى رد فعله.

- عليكن ألا تذهبن يا فتيات. لتدعن هذا الشاب كين...

نظرت آليس إلى جلوريا، فما مرت به ستايسي في المُختبر لا يُقارن بما يمررن به. قالت آليس لجلوريا:

- أراك غدًا.

فأومات الأخيرة ثم رحلت.

ستتوصل تيري إلى ما يجب عليها فعله، أو ستستيقظ غدًا لتجد أنها قد عادت لنفسها، ولم تُعد نجمة التراجيديا الحالية. وحين يحدث هذا، سيتوجب عليها التأكد أن كالي بخير وستبحث عن أي معلومة تساعدهم.

قالت ستايسي لآليس:

- لنلبسها حذاءها.

هتفت تيري:

- أنا هنا! لا تتحدثا عني بضمير الغائب!

أشارت ستايسي إلى خزانة الملابس وقالت:

- حسناً، اختاري إذًا حذاء وارتيه.

تركت آليس تيري تجاهد مع رباط حذاءها لستين ثانية ثم انحنى

تربطه لها.

- لن أتوقف عن التعجب في كل مرة أفكر فيها! كيف خطر لإنسان

أن يعقد القماش هكذا فيحل مشاكل كُبرى.

نظرت تيري إلى آليس ثم طوّحت رأسها خلفاً ضاحكةً.

- حذائي صار مشكلة كُبرى! أنت المُشكلة!

وظلت تضحك، فارتاحت آليس لرؤية جذوة الحياة ما زالت مُشتعلة

فيها. ستخرج تيري من هذه المحنة أقوى، ولن يتركها وحدها أبدًا.

مسحت تيري على بطنها بكفيها من فوق قميصها الطويل الواسع

الذي اختارته لها جلوريا وستايسي لإخفاء وزنها. غمغمت تيري:

- يا لها من مهزلة.

لم تفهم آليس ما عنته تيري التي أردفت:

- الطريقة التي تفكرين بها يا آليس تُمكنك من اجتياز أعتى

امتحانات الجامعة. تلك هي الطريقة التي يفكر بها العلماء.

ابتسمت تيري، وأنها آليس عقد رباط الحذاء قائلة:

- ستجتازين الامتحانات يا تيري.

أجابت تيري حاملة، عيناها حمراوان لكنها في حالٍ أفضل من اليوم

السابق:

- أعرف. أذكر حادث والديّ حين ظننت أنني لن أتجاوز فقدهما.

لكن الأيام تمر وتخلق مُتسعًا لحمل ذكراهما معك.

أومأت آليس تجاه بطن تيري وقالت:

- أعتقد أنك لا تملكين "مُتسعًا" في الوقت الحالي. المكان ممتلئ

بالفعل!

- ثمة مُتسع دوّمًا للعائلة.

قاطعتهما ستايسي:

- حديث دافئ فعلاً، لكن عليكِ النزول قبل أن تتأخري.

رافقت آليس تيري إلى مبنى اللغة الإنجليزية وكان يحوي مكتبة كلاسيكيّة في المدخل. بينما تيري في امتحانها ظلت آليس تتفحص الكتب وتُقلّب فيها عشوائياً بحثًا عن رقم صفحة حددته مُسبقًا في عقلها. كان آندرو شابًا صالحًا. لم تتقبل آليس أمر رحيله بسهولة حين أخبرتها جلوريا، لكن كين كان أكثرهم تألمًا بعد تيري بالطبع. لم تكن تعرف أن كين على صلة قوية بآندرو.

لم يستطع كين مساعدتهن إلا بحضور وريديات تيري في المطعم بدلاً عنها حيث إنه ممنوع من التواجد في سكن الفتيات. سيكون الوضع مؤقتًا حتى تنتهي تيري من امتحاناتها ثم تنتقل للعيش مع أختها في منزل والديهما.

ندمت آليس على أنها أضاعت فرصة وداع آندرو، وكرهت أكثر أنه رحل قبل أن يعرف أنه سيكون لديه ابن. قررت تيري ألا تخبر عائلته مؤقتًا، فقد توقعهم معرفتهم هذه في خطر بريز. استطاعت آليس أن تُخمن أن عدم ذهاب تيري للمُختبر هذا الأسبوع مجرد اختبار لمعرفة رد فعله.

ارتعدت حين فكرت في هذا. سألتها تيري من خلفها:

- أتشعرين بالبرد؟

- انتهيت من امتحانك؟!

أعدت آليس كتاب «الفرسان الثلاثة» إلى مكانه وأردفت:

- لنُسلم بحثك، ثم ترتاحين قليلاً.

- لا أحتاج إلى الراحة. لدي مُهمة أريد إنجازها وحدي. سأعود بعدها

إلى السكن، أقسم لك.

فكرت آليس، ثم قالت:

- ستقتلنا ستايسي لو أن مكروهاً حدث لك.

- لن يحدث لي شيء. أريد فقط الذهاب إلى المكتبة.
ماذا يمكن أن يحدث لتيري في المكتبة؟!
- ماذا لو أوصلتك إلى هناك ثم أتركك وأرحل؟
- اتفقنا.

- لكننا سنسلم البحث أولاً حسب تعليمات جلوريا.
ترددت تيري قبل أن تقول:

- ستأكدين أن كالي بخير غدًا لو استطعت؟ هل أنا مُحقة في قراري
بعدم الذهاب؟

لم تكن لدى آليس أدنى فكرة.

- سأخبرك لو رأيت أنك تُسيئين التقدير.

- شكرًا لك. هذا أفضل ما يمكنك تقديمه لي.

تمنت آليس لو في مقدورها فعل ما هو أكثر.

- رفقة المُختبر!

كررت تيري وهي تضع يدها على بطنها مرة أخرى:

- رفقة المُختبر. نحن عائلة واحدة كذلك.

- أجل.. نحن عائلة واحدة.

- هيا بنا يا أختي الصغيرة.

لم تكن تيري وحدها قط لمدة ثلاثة أيام وليالٍ، دائماً ما كان أحد أصدقائها برفقتها. ستايسي صعبة النقاش بشأن أي شيء تُقرره. لم تنتو تيري أن تمكث طويلاً في المكتبة. توجهت إلى أمينة المكتبة، ولم يكن الصف أمامها طويلاً اليوم، فوقفت تيري وحدها أمام المكتب والناس من حولها مشغولون في كتبهم يُنهون أبحاثهم. كانت تيري تشعر بأنها تحمل عالماً مُختلفاً بداخلها أينما حلت. اهتماماتها اليومية من امتحاناتها، وعقد رباط حذائها، ومحاولة التماسك وعدم البكاء في مكانٍ عام تتلاشى أمام همها الأكبر وألم فقد آندرو. كانت تتمنى لو تستطيع إخباره أنه سيكون أباً، تمثت لو أن في وسعه أن يكون أباً.

لكن عليها التفكير في المستقبل.

نظرت أمينة المكتبة خلفها أولاً قبل أن تسألها:

- أجل؟ كيف يمكنني مساعدتك؟

- لقد ساعدتني مرة من قبل، وأتساءل إن كان في وسعك مساعدتي

مرة أخرى. لدي سؤال غريب.. لا أعرف من أين أبدأ.

حركت أصبعها في دائرة أمامها لتخُثها على الحديث وقالت:

- تفضلي.

ابتلعت تيري ريقها ثم قالت:

- فرضاً أن ثمة امرأة في خطر، وتحتاج إلى أن تختفي. كيف تفعلها؟!

ألديك أي كتاب عن هذا الموضوع؟

تفحصت أمينة المكتبة هيئتها غير المهندمة، ووجهها المنتفخ، والهالات

الداكنة حول عينيها ثم قالت:

- ليس لدينا كتب كهذه، لكنني مُتخصصة في الإدلاء بالمعلومات. هل

هذه المرأة في خطرٍ حالياً؟

- لستُ واثقة.

- وهل تريد الاختفاء للأبد أم لفترة قصيرة؟

لم يصل تفكير تيري إلى هذا الحد.

- لنفترض أنها تريد الاختفاء للأبد.

أخفضت أمينة المكتبة صوتها وقالت:

- المال هو أهم شيء. كلما كان معها المزيد من المال، كان أفضل،

وعليها معرفة كيف ستكسبه بعد هروبها. لو أن أحدًا سيبحث عن

هذه المرأة فمن الأفضل أن تزيف موتها.

كانت تيري قد فكرت في هذا الأمر بالفعل، لكنها لم تعرف كيف

تُزيف موتها. ثم من ستكون بعد موت تيري آيفز؟

- وكيف سيتم ذلك؟ ستحتاج المرأة إلى اسم تعيش به.

قالت أمينة المكتبة في لهجة مُتأمرة:

- الأمر مثير، أليس كذلك؟ قرأت رواية فيها البطل انتحل اسم طفل

وُلد في نفس تاريخ ميلاده، لكنه توفي في طفولته، واستطاع العيش بهذه

الهوية المُنتحلة حتى وفاته. كل ما عليك هو الابتعاد عن المنطقة التي

يمكن التعرف على الاسم فيها.

- أين يمكنني البحث عن مواليد ووفيات أوائل الخمسينيات، لمعرفة

إن كنت سأجد وفيات في الأطفال.

- من هذه الناحية. سأحضر لك صُحُفًا تحوي حوادث وفيات

أطفال. لا بد أن تبثني في الأخبار كذلك، ربما تجدين ما يناسب فرضيتك

الخيالية تلك.

تساءلت تيري إن كان شيئًا سيئًا قد حدث لأمينة المكتبة وجعلها

راغبة في المساعدة إلى هذا الحد، لكنها قررت ألا تسألها.

وصل كين بعد دقائق من مواعدهما المُحدد مُسبقًا، وجذب كرسيًا

ليجلس معها إلى نفس الطاولة، وراح ينظر إلى الجريدة المفرودة أمامها

وسألها:

- أتبحثين عن نعيه؟

لم تُفكر تيري في ذلك من قبل، فقد افترضت أن والدي أندرو سينشران نعيه في جريدة مدينتهم المحلية. شعرت بتدافع الدموع خلف مُقلتيها.

دارت أمينة المكتبة حول المنضدة وسألتها:

- أكل شيء على ما يرام يا آنسة؟

رفعت تيري رأسها نحوها وأدركت التلميح، فالأمينة تسألها إن كان كين يُضايقها وتحتاج إلى إبعاده.

- أوه، أنا بخير. هو صديقي، لا مشكلة.

أومات أمينة المكتبة وانصرفت. قال كين:

- تيري!

لم تكن قد قابلته منذ خبر وفاة أندرو، لكن ستايسي قد أبلغت النبأ لكل أصدقاء أندرو الجُدد والقدامى، ويبدو أن الخبر كان ثقيلاً على كين.

- لم أكن أعرف أنك وآندرو كنتما صديقين.

- لم نكن.. لكننا تحدثنا عنك قبل رحيله.

لم يكن لديها أدنى فكرة، سألتها:

- حقاً؟

- تدخلت بينكما. كانت فكرة انفصالكما أثناء غيابه فكري. شعرتُ

أن شيئاً سيحدث وسيفرقكما، فظننت أن الانفصال سيهون الأمر. ليتني تركت كل شيء كما هو. أمي كانت دائماً تنصحنني بألا أتدخل في الأمور

الكُبرى.

- كين، كل هذا لم يعد مُهمًا. نصيحتك ساعدت بالفعل، لكنه سيظل

دومًا معي.

- سيظل معك بأكثر من طريقة.

كتمت تيري ضحكتها كي لا تُثير حفيظة أمينة المكتبة. سألتها كين:

- ما الأمر؟ ولمَ طلبتِ مُقابلتي؟

- أبحث عن طريقة لأختفي. لكنني عاجزة عن ترك كل الخيوط مفتوحة. أفكر في طريقة للابتعاد عن بريتر للأبد والإنهاء على تجاربه. كنت أريدك فقط أن تُخبرني إن وابتك.. خاطرة.. عما يجب عليّ فعله. لا أتحمل فقدان شخصٍ آخر.

- سأحاول. لكن تذكّري أن هناك أشخاصاً لن يتحملوا فقدك أيضاً.

- ربما تضطربهم الظروف لذلك. إن توجّب عليّ أن أرحل كي يسلم الجميع، سأفعل. مفهوم؟

الأمر غير مفهوم بالنسبة له، لكن تيري بدأت بالفعل في جمع ما تستطيع من مال؛ ما ادخرته من أجر جلسات المُختبر، ومن المطعم. ستخبر «رفقة المُختبر» حين تحصل على تفاصيل خطتها، وربما يساعدها ببعض المال أيضاً.

ركل الجنين في بطنها، فوضعت يدها عليه. سألها كين:

- هل تسمحين لي أن أشعر بحركة بالطفلة؟

نظرت تيري حولها، فوجدت أنهما وحيدان في ذلك الركن من المكتبة.

- أجل.

وضعت كف كين على منتصف بطنها المُنتفخ، فركل الجنين مرة أخرى.

- فكرت في اسمٍ لها. كنت قد قرأت مقالاً في مجلة علمية عند الطبيب

عن عالمة تدرس سلوك الشيمبانزي في تنزانيا. اسمها جين جودويل.

تنهد كين هاتفاً:

- لا تتحدثي عن علماء مرة أخرى!

- هي مُختلفة. هي تطلق أسماءً على حالاتها لا مجرد أرقام. سأسمي

ابنتي جين.

توقفت تيري عن الحديث حين ركلت الطفلة مرة أخرى. كأنها كانت

مُتخفية، ثم بدأت في الإعلان عن نفسها بعد أن علمت أمها بوجودها.

أردفت تيري:

- يعجبني اسم جين. من الأفضل أن تكون مُحققًا بشأن جنس الجنين.

أبعد كين يده وهو يقول:

- أشعر بأن ثمة طفلة شجاعة مُناضلة بالداخل، مثل أمها تمامًا، تتوق

للخروج إلى العالم. كيف يمكن أن أكون مُخطئًا؟

كان يوم دكتور بريئر مثيراً للحقن، وزيارة ثمانية بانتظام لم تكن تُفيد. رغم شرائه لعبة من كعك هوستيس المفضل لديها، ومنحها إياه دون مُقابل، فما زالت عابسة.

الأطفال يقودون إلى الجنون!

وكذلك البالغون، لكن بطريقة مُختلفة تمامًا. قالت له كالي:

- أريد رؤية صديقتي.

- لم تأتِ تيري اليوم.

كان يُصارع إبداء غضبه لتغيُّبها. عليه إعادتها إلى الطريق القويم. بعد أن تلقى المكالمة التي أخبرته عن زيارتها للطبيب، ظن أنها ستفزع وستتحدى سلطته مرة أخرى، لكنه فوجئ بخبر وفاة حبيبها.

ها قد زالت عقبة أخرى من طريقه. صاحت كالي:

- لا أعني تيري، أعني الأخرى، الموهوبة مثلي.

عمن تتحدث؟ قال بريئر:

- لا يوجد أحد في مثل موهبتك. ليس بعد. أعمل مع تيري على إيجاد صديق سيكون مثلك.

- لا أريد تيري! أنا لم أرَ الوحوش لكنني أعرف أنهم هنا، أريد أن أتحدث إليها.

مزاج كالي مُنحرف، ولن تتنازل عما تريد.

الوحوش؟

فكر بريئر في السبب الذي يجعل كلمة كهذه مألوفة. آه! حالة الفتاة المهتمة بالميكانيكا، والتي تستجيب بطريقة غريبة للصدمات الكهربائية. آليس جونسون. الأرقام تُسهل تعقب الحالات أكثر من الأسماء.

- ثمانية! هل تحدثتِ إلى شخص آخر هنا غير تيري؟

حدقت الطفلة في السقف وهي تلعق بقايا الشوكولاتة عن سبابتها

وقالت:

- دكتورة باركس، وبينجامين، و...
وراحت تسرد أسماء المُساعدين وطاقم التمريض ثم قالت:
- وأنت يا بابا.

أخفى رد فعله الحقيقي وسألها:
- ولم تقابلي أحدًا غيرنا؟
- لن أخبرك. لقد وعدتها.

همست عبارتها الأخيرة وشعر بخوفها. ممتاز، يمكنه التلاعب بخوفها هذا.

- لقد تجاوزنا هذا من قبل، لا وعود إلا ما تعديني به.
هزت رأسها مُارحة شعرها الفاحم مُمنةً وُسرّةً.
- لا، لا أشعر أن ما تقول صحيح.
- دعيني أنا أحكم.
- بابا، كلا!

ثم هرعت نحو الباب خارجة إلى الردهة. سار خلفها بخطى سريعة، فلم يكن لها مخرج من المُختبر، لا داعي للقلق.
قرعت قدماه الأرضية وهو يتبعها بهدوء، مرورًا بالحجرة التي كانت تيري لتشغلها لو جاءت، تيري.. أفضل إنجازاته. ثم مرا بحجرة الشاب الرقيق كين، ثم حجرة جلوريا، أكثر حالات الاستجوابات استعدادًا للتطور، حتى وصلا إلى حجرة آليس، فدخلت كالي وأغلقت الباب خلفها. إذاً آليس هي من أرادت.

وضع يده على مقبض الباب وفتحته، اتسعت عينا آليس حين رأت كالي تختفي. دخل بريّنر الحجرة هاتفًا:
- أعلم أنك هنا. اخرجي من مخبأك.
سألت آليس:

- ثمانية؟!

رفع بريّنر حاجبيه، يا لصلابة هاته النسوة وتشبثهن بالأسماء. أردف بريّنر:

- كالي.. لست غاضبًا.

ماذا قالت كالي عن صديقتها الأخرى؟ أنها موهوبة مثلها؟ هل تخفي
آليس عنه أسرارًا؟ هل وحوشها.. حقيقة؟

سألها دكتور بريتر:

- أنتِ صديقة تيري آيفز، أليس كذلك؟

تسارعت الكلمات على لسان آليس:

- أجل. هي تمر بوقتٍ عصيب، فلا تقلق بشأن عدم حضورها. عليك
فقط.. تركها وشأنها. اتركها في سلام.

يا لُطف!

خطا خطوة أخرى إلى داخل الحجرة وهتف:

- ثمانية، اخرجي من مخبأك الآن.

قالت آليس في خوف:

- حبيبتي، افعلي ما يطلبه منك.

سألها:

- هل ثمة وحوش هنا حقًا؟

أومأت آليس دون أن تتحدث. هي تعينني أنا.. ضحك، لا عجب أنها
تروق لكالي إلى هذا الحد. على الأرجح هي قالت للطفلة أنه هو
الوحش.

- لست وحشًا. لكن لو كنت ترغبين في اعتباري واحدًا، فلك ما

تريدين. كالي، اخرجي الآن، سننصرف من هنا.

- وداعًا آليس!

ظهرت ثمانية فجأة، ثم سألت في تردد:

- هل أنت متأكدة أن الوحوش ليست هنا الآن؟

لم تشأ آليس أن تجيب، لكن حين رفضت كالي الانصراف، قالت:

- أجل، متأكدة.

سأل بريتر:

- منذ متى وهي تأتي إليك؟

رفعت آليس ذقنها عاليًا وقالت:

- من وقت قريب. لن أخبرك بأي شيء آخر.. عما بوسعها فعله.

- أوه، أعرف، وقد عرفنا كل شيء فور معرفتك إياه. سنرحل الآن، وداعًا
يا آنسة جونسون.

أمسك بريتر بكتف كالي كي لا تستطيع التملص منه مرة أخرى، وخرج
بها إلى الردهة حيث سألتها:

- إذاً هذه هي صديقتك؟

- هي مثلي، ترى أشياء. لكنها تقول أنها أشياء من المستقبل.

وحوش من المستقبل؟!

لم يكن واثقًا إن كان يُصدق ما يُقال، لكنه كان واثقًا أنه قد توصل
لطريقة لاستعادة تيري آيفز، وعليه الإبقاء على فتاة الميكانيكا على
مقربة، ليعرف إن كان ما تخفيه ذا قيمة.

حملت تيري صندوق أغراضها إلى الطابق العلوي من منزل والديها،
رأتها بيكي فأخذته منها فوراً.

- عليك أن تتوقفي عن حمل الأشياء الثقيلة.

لم تكن تيري تريد حمل الصندوق، لكن لن تسمح بإرهاق الجميع
في خدمتها.

- وأنتِ، عليك أن تتوقفي عن التذمر، أنا حامل فقط، ولا أعاني من
جروح مميتة.

عبست بيكي وهي تقول:

- مهلاً. أعرف أنك تريد النوم، لكنني أريد أن أتحدث إليك قبلاً.

- أوه، لا! حديث آخر! النجدة!

كانت حالة تيري النفسية في تحسن مستمر، فقد نجحت في امتحاناتها،
وساعدتها ستايسي في كل ما يخص انتقالها حتى لا تحرك تيري أصبعًا،
لكنها على الرغم من ذلك صممت على حمل صندوق أو اثنين تُسميهما
”صندوقي الاختفاء“.

لم كان عليها جمع حاجياتها مرتين متقاربتين؟ من المريح بالنسبة لها
أن يكون لديها خطة بديلة في حالة تدهور الأوضاع. عقبه توفير المال
كانت جزءاً من قلقها، لكنها قد وجدت اسمًا مناسباً لو احتاجته: ديليا
مونرو، والمتوفية في عمر السادسة بسبب الدرن.

الهرب ربما يُغنيها عن كل هذا التعقيد.

حملت بيكي صندوق الاختفاء الثاني عبر الدرجات، ولم تكن تعرف
بمحتواه، تبعتها تيري ببطء وقد أدركت أنها حامل ولا تستطيع إنكار
تعبها أو ألمها. قالت لبيكي:

- أختي.. لم أخبرك أنني شاكرة لكونك لم تعطيني أو تلوميني، ولا أقول
لك ذلك كي أمنعك من وعظي لاحقاً لو أنك تنتوين ذلك.

وصلتا إلى نهاية الدرجات، فوضعت بيكي الصندوق إلى جوار باقي
أغراض تيري في حجرتها. كانت مُحاطة بصور طفولتها، وصور عائلتها،

واللحاف يدوي الصنع الذي صنعته خالتها حين كانت أمها حاملاً فيها. كانت قد وضعت الكاميرا الفورية جوار علبة المجوهرات الصغيرة المتوجة بتمثال راقصة باليه صغيرة على منضدة التزيين. بيكي قد بدأت بالفعل في تزيين حجرة الأطفال على الجانب الآخر من حجرة تيري. لو أننا ظللنا هنا ولم نرحل..

بمجرد أن تستقر أمورهما هي وابنتها بعد هربهما، ستعود من أجل كالي.

استدارت بيكي ووضعت كفيها علي كتفي تيري لتواجهها وقالت:

- تيري، أنتِ أختي، ماذا سأفعل؟ ألقى بك في الشارع؟ لن أعظك. آندرو كان شاباً صالحاً، ولم أتوقع منك أن تنتظري حتى الزواج، و...
- و...؟

أزاحت بيكي خصلة شعر عن جبين تيري الغارق في العرق، وكذا فعلت تيري معها. قالت بيكي:

- نحتاج إلى شاي مثلج!

- لم يكن هذا ما أردتِ قوله! هيا تكلمي.

- وأعتقد أنه لم يكن تصرفاً سيئاً أنك لم تنتظري لما بعد الزواج حتى تقيما علاقة. لقد كنتما مُتحابين، وأعرف أنك ستحبين هذا الطفل، وستكونين أمّاً ممتازة. سأساعدك ولن تضطري لتحمل كل المشقة وحدك. تخيلت تيري هذا المستقبل، ولم يكن سيئاً على الإطلاق. أختان في منزل والديهما تربيان طفلة معاً. سيتمنح هذا الحياة للمكان، تماماً مثلما منحه آندرو الحياة في عيد الميلاد.

غريب أمر مرور ثمانية أشهر بهذه السرعة. كانت تتمنى سبباً أفضل من الموت لتعود إلى الحياة مع بيكي. لكن ثمة ما هو أسوأ من الموت بالخارج، الحياة كهاربة مع طفلة على سبيل المثال، وهو احتمال قائم. رن جرس الهاتف في الصالة، عاليًا مُدويًا، منتزعًا إياهما من دفء اللحظة. قالت بيكي:

- سأجيب. استلقي واستريح. هذا أمر!

- أمرك يا فندم!

رفعت بيكي سماعة الهاتف وقالت:

- منزل آل آيفز، أنا بيكي.

صمتت قليلاً ريثما تنصت لما يقول الطرف الآخر، ثم قالت:

- دكتور بريتر؟ كلا.. لا أعرفك. ما علاقتك بتيري؟

تسللت تيري إلى الصالة ووضعت أصبعها أمام شفيتها وهمست (ششش) وهي تتقدم من بيكي، ثم قربت رأسها من السماعة كي تسمع ما يُقال.

- كيف حال الأنسة آيفز؟ أتفهم كونها في حالة صدمة، لكنني أمل أن تعود إلى هنا بسرعة لإجراء بعض الفحوص.

تصاعد نبضها وهي تسمع صوته الذي اعتبرته تهديدًا في حد ذاته. قالت بيكي بشكل آلي:

- هي تشعر بتحسن.

- سعيدٌ لسماع ذلك. متى يمكننا أن نراها؟

توترت تيري، ولاحظت بيكي هذا.

- لا أعتقد أنها قادرة على الذهاب إليكم قريبًا.

لم تذكر بيكي أمر الحمل لأنها لا تعتقد أن معرفة أمر كهذا من شأنه. لم يكن ثمة مفر من أن تيري ستصبح أمًا وحيدة، لكن بالتأكيد على معلومة أن الأب قد توفي في الحرب ستستطيع أن تقلل الأسئلة الفضولية والقييل والقال إلى أقصى درجة. ليس مُحتمًا أن يكون حملها وصمة عار مختومة على جبينها. قال بريتر:

- آسف لسماع ذلك. هل يمكنني التحدث إليها؟

أرادت تيري أن تهز رأسها بمعنى الرفض، لكن ليس من العدل أن تورط بيكي في وساطة بينهما أكثر من ذلك. حان وقت التوقف عن الاختباء، ويمكنها الاستفادة من المعلومات التي ستستخلصها من مكالمة كتلك. أخذت السماعة من أختها وقالت:

- هذا أنا.

قال بريتر برقة كأنها يُمثل أمام جمهور:

- تيري، أنا آسف بشأن ما حدث لحبيبك. وأتفهم أن ثمة تهانئ على حدث سعيد في الطريق.

توقعت أن تتجمد رُعبًا، لكنها شعرت بغضب مُستعر بداخلها.

- وكأنك لم تكن تعرف حين...

نظرت لها بيكي مُحذرة من أن تنساق إلى غضبها.

حين كنت تحقنني بالمخدرات وأنت تعرف أنني حامل.

أردف بريتر:

- الطفل سيكون استثنائيًا. طفلنا سيكون استثنائيًا، الطفل الذي

تشاركنا فيه. أليس هذا ما يسعى إليه أي أب أو أم؟

بالكاد تستطيع التنفس، بأي حق يطالب بالطفل! طفلي أنا وأندرو!

أضاف:

- كل هذا كان لمصلحتك، ولمصلحة الجميع.

أرادت بشدة أن تحطم السماعة، لكنها حاولت أن تحافظ على هدوء

صوتها وهي تقول:

- كلا، الأمر ليس كذلك.

كان هذا ما أردته أنت من أجل تجاربك الخبيثة.

- تيري، أتفكرين فعلاً في ألا تعودي مرة أخرى؟ أعرف أن كالي ستعاني

قرارًا كهذا. أنتِ من تسببت في علاقتك بها. فكري في أصدقائك، فقد

عرفت شيئًا مثيرًا جدًّا عن واحدٍ منهم.

ها قد جاءت لحظة التهديد الصريح الذي توقعته، التهديد الذي

أيقظ الذعر تحت غطاء غضبها.

- عمّ تتحدث؟

- أعرف بشأن صديقتك آليس. أرسلت طلبًا طارئًا اليوم بشأنها.

لا، لا، لا!

ماذا يعني بأنه عرف بشأن آليس؟ كانت تيري تنتوي إنهاء كل شيء،

لكنه لن يتركها ترحل. لا يريد رجل كهذا شيئًا أكثر من رؤية المستقبل.

- اتركها وشأنها.

- تيري. أنا فقط أريد أن أساعدكم جميعًا في الوصول إلى تمام قدراتكم. أستطيع أن أزيل عنك ألم رحيل آندرو، ألن يجعل هذا حياتك أكثر يُسرًا؟

لم تستطع تيري أن تتفوه بكلمة، وملأها الغضب.

- تعرفين أنني مُحق. أتذكرين يوم جنازة والديك؟ الذكرى الأولى التي استكشفتناها؟ حاولي تذكر الموقف، لقد زال الألم، أليس كذلك؟ أنا أزلت عنكِ المُعاناة. دعيني أساعدك.

فكرت تيري في الكنيسة، وأمها وأبيها كل في تابوته. في العادة كانت ذكرى كهذه كابوسية بالنسبة لها، تؤلم عقلها الواعي وتُحيله إلى مستنقعٍ من حزن عظيم.

لكن الآن، كل ما تشعر به هو ألم باهت.

- أنت خبيث! اتركنا وشأننا.

أكمل بريتر:

- أخشى أنني لا أستطيع. لن أتركك ترحلين.

تنفسي بهدوء، ستجدين مخرجًا للجميع من هذه الورطة.

كاد اليأس يسحقها، ماذا لو لم تجد مخرجًا؟ أعادت السماعه مكانها وظلت تُحدق فيها.

وضعت بيكي يديها حول خصرها وهي تسأل:

- ماذا يقول بحق الـ.. أنت لست في حالة تسمح بأي تجارب الآن!

ماذا ستفعل؟ الحقيقة ستُثقل على أختها، لكنها قد تعبت من الكذب.

- أعتقد أنني في حاجة للحديث معك عن مختبر هوكينز. عما يفعلونه

بي وبنا هناك. وهو يعرف يا بيكي أنني حامل في طفل آندرو. لا أعرف منذ متى، لكنه يعرف منذ فترة كافية. دعيني أتصل بشخصٍ أولًا.

- ماذا تعنين؟

- انتظري فقط.

بحثت تيري عن الورقة التي كتبت لها فيها ستايسي أرقام منازل
وسكن كل الأصدقاء، ثم رفعت السماعة وطلبت جلوريا.
- جلوريا، مرحبًا. هل تستطيعين المرور على أليس واصطحبها إلى
هنا؟ سأتصل بكين، يجب أن نتحدث.

قالت جلوريا:

- بالطبع.

أعطتها تيري العنوان، ثم اتصلت بكين، وأخبرها أنه سيكون في طريقه
إليها الآن. بعدها عادت إلى حجرتها حيث تنتظرها بيكي. فقد وجود
صندوق الاختفاء ثقلهما المَطمئن، لكن ما زالت تملك مصدرًا آخر
للطمأنينة: أختها. ألهمها ذلك بفكرة قد تُعتبر علاجًا لليأس الذي انتابها
بعد الحديث مع بريتر. لديهم رفقة، ولديهم حلفاء، ولديهم قدرات!
أما بريتر فلديه الطموح، والقسوة، وبالطبع التعزيزات الحكومية،
لكنها لن تتركه يحصل على طفلتها، وستتأكد من أنه لن ينال من
أليس أو كالي كذلك. كانت تريد أن تترك له ما يستحق: الخواء والوحدة.
هذه هي حربها للفوز بالمستقبل، ولن تسمح بأن تفقد أحدًا.

خلال ساعة، كان الجميع مجتمعين في منزل بيكي وتيري. سألت الأخيرة أختها:

- هل تمنعين أن أصعد معهم إلى أعلى، لنحدث على انفراد؟
قالت بيكي:

- سأصنع لكم بعض الحلوى.

كانت تيري تكره أن يكون هناك أسرار تخفيها عن بيكي، وكانت قد أختبرتها أغلب الحقيقة، لكن الحقيقة الكاملة قد تكون خطراً عليها. ولدت بيكي بعقلية مُتشككة، وفكرة أن يكون لأشخاص قدرات خاصة، وأن هناك منظمات حكومية تسعى لاستغلالهم فكرة لن تكون مقبولة لديها. لقد كان تقبل أمر إعطاء بريّنر المخدرات لبيكي لمدة شهر عسي على التصديق. أقنعتها تيري أن عليها العودة للمختبر كي تطالب بتعويض، فتربية الأطفال تحتاج إلى مصاريف.

صعد الجميع، وكانت تيري قد توصلت إلى بعض الأفكار قبل وصولهم. خططت أن يجلسوا في حجرتها، لكن آليس اتجهت إلى الحجرة المقابلة -حجرة الأطفال- بالخطأ. لا بأس. تبعتهم تيري وأضاءت النور. بيكي بدأت بالفعل في الاستعداد لاستقبال المولودة.

في الحجرة مهد مُستعمل اشترته بيكي من شابة كانت تعرفها من أيام الدراسة، وفوق المهد دمية على شكل مهرج باللونين الأزرق والأحمر.

قالت جلوريا وهي تداعب الدمية المُعلّقة:

- لم أقابل من قبل طفلاً يحب المهرجين! لكن هذا المهرج لطيف.
الصغيرة جين ستحبه.

قال كين:

- كل الناس يحبون المهرجين!

ضحكت آليس وهو تقول:

- أنا أخافهم!

قاطعتهم تيري:

- أخشى أنه ثمة أخبار سيئة، دكتور بريئر اتصل بي.

لو استطاعت أن تقنعهم بخطتها الغريبة، سيكون حلم تربيتها لابنتها في سلام ممكنًا. كان هناك شيء واحد حتمي، لكنهم لا يستطيعون مناقشته هنا. لا شك أن بريئر يتنصت عليها، وكانت تعتمد على هذه الحقيقة.

فتحت تيري دفترًا كانت تدون فيه بيكي مقاسات الستائر، وبحثت عن ورقتين غير مستعملتين في منتصفه. رفعت أصبعًا مشيرة إلى الدفتر، فتجمع أصدقاؤها حولها يقرؤون ما تكتب: "جاروني في ما سأقول، هم يتنصتون علينا. سأخبركم بالخطة الحقيقية لاحقًا".

- لقد هددني، وطلب مني العودة.

قالت جلوريا الماهرة في دورها كجاسوسة:

- أوه؟ ستعودين بهذه السرعة؟

- سأعود هذا الأسبوع. لكنني أريد مساعدتكم في شيء ما. آليس،

الرجل مهتم بك.

اتسعت عينا آليس، وكتبت في دفتر تيري: ماذا؟! أجابتها تيري كتابةً: هل تمنعين في الذهاب للإقامة عند أولاد عمك في كندا للفترة التي سأحتاجها؟

أومات آليس عاقدةً حاجبيها. أخذت تيري نفسًا عميقًا وقالت:

- نحن جميعًا في خطر. أريد الحصول على دليل نهائي لما يحدث هناك.

حان وقت تدمير بريئر ومشروعه. لو استطعت الحصول على ملفات من مكتبه، سأسرب محتواها لشخص ما.. لا أتحدث عن الصحفيين المحليين، بل لصحفيي جريدة نيويورك تايمز، وجريدة واشنطن بوست كذلك. لأناس يستطيعون فعل شيء لتحرير الأطفال المُحتجزين هناك. ثم بعدها لا نعود إلى المختبر مرة أخرى.

نظرت تيري إلى كين وسألته:

- هل تظن أن في مقدورنا فعل ذلك؟

- لدي شعور طيب تجاه هذا القرار.

- هذا هو كل ما أريد سماعه. حظ سيء يا بريتر.

يا ربي، رجاء دعه يبتلع الطعام..

أردفت تيري مسترسلة في خطتها الزائفة:

- جلوريا، أتظنين أن في مقدورك إطلاق جهاز إنذار الحريق؟

- أجل، لا مشكلة.

جلوريا ستطلق جهاز الإنذار، كين سيساعدها لو احتاجته، ثم ستسلسل تيري إلى مكتب بريتر وتسرق الملفات. خطة سهلة وبسيطة، لكنها لم تكن الخطة الفعلية مُطلقًا.

كتبت تيري ملحوظة أخرى:

- سنناقش الخطة الحقيقية بالخارج لاحقًا. سنعبث بألة الصعق

الكهربي ونتمنى أن تقوم كالي بالباقي.

أومأت آليس. صدح صوت طرقات على الباب بالأسفل، غادرت تيري

الحجرة ووقفت عند رأس السلم، فتبعها الآخرون. مسحت بيكي يديها

في منشفة، وذهبت لتفتح الباب.

- مرحبًا، من أنت؟

كانت مجموعة من الرجال في زيٍّ موحد يقفون عند الباب، قال كين

مشيرًا إلى الدفتر مع تيري:

- خبيثه.

ثم اختفى. قال الرجل عند الباب:

- نحن هنا من أجل آليس جونسون. معنا تصريح بالوصاية عليها

لصالح مختبر هوكينز الوطني.

قبل أن تفهم تيري ما يحدث، اندفع الرجال داخلين، متجهين نحو

الدرجات. احتجّت تيري هاتفة:

- لحظة!

لكنهم كانوا أسرع منها، واتجه قائد المجموعة نحو تيري وقال:

- احترسوا في التعامل مع المرأة الحامل.

ثم خاطبها قائلاً:

- لدي رسالة لك: كوني حيث يجب أن تكوني هذا الأسبوع.

ثم أزاها عن الطريق وأخذ آليس التي صاحت:

- لا أريد الذهاب!

قالت تيري وقد فهمت ما قاله بريتر في المكالمة:

- هذا هو الطلب الذي أرسله إذًا. آليس، لا تقلقي، سأراك قريبًا،

أعدك.

قالت آليس وقد عاد كين:

- لا أريد الذهاب!

ظل ثلاثتهم يراقبون رحيلها في قلة حيلة، نزلوا بها الدرجات وأدخلوها

في حافلة صغيرة ثم انطلقوا بها في ظلمة الليل.

دعت تيري أن تكون خطتها الحقيقية قادرة على إنقاذها.

الفصل الثاني عشر كل شيء يتداعى

يونيو 1970
بلومينجتون، إنديانا.

-١-

جلست تيري على فراشها، تستعد كي تقابل جلوريا وكين خلال دقائق. كانت خطتهم جاهزة للتنفيذ، لكنها كانت في حاجة إلى معرفة المزيد عن نفسها، عن قدرتها. أغمضت عينيها ووضعت كفيها على بطنها وحاولت الاسترخاء والتنفس بعمق بلا مخدرات أو أجهزة تراقب عملياتها الحيوية. بلا شيء سوى إرادتها. غوصي أعمق..

بدأت الموجودات حولها في التلاشي، ووجدت نفسها تسير في العدم الأسود، والماء تحت قدميها. كادت تفقد الأمل لولا أن ظهرت آليس أمامها.

كانت صديقتها مُستلقية على فراش ترتدي زي المُستشفيات، وهالات داكنة تحيط بعينيها، لا تدري باقتراب تيري. آليس؟

أرسلت رسالتها العقلية بأقوى ما تستطيع. استعدي، نحن قادمون..

لم تقل آليس شيئاً، ولم تكن ثمة طريقة للتأكد إن كان رأيت تيري أو سمعتها. حين فتحت تيري عينيها، راحت أضواء الأباجورة جوارها تتراقص.

تيري مُستعدة.

أمضى بريتر يومه في مكتبه في حالة من الحماس. تيري آيفز تضع أملها كله في نجاح خططها، وإفشال هذه الخطط سيجعلها تخضع على المدى الطويل.

أظهرت تيري من العناد ما لم يتوقعه بريتر، بل كاد يُعجب به. لكنه لا يحترم أيًا من يشارك في تلك الأفعال الخائبة العقيمة، وكأنهم يظنون أنه سيدع أمثالهم يدمرون كل ما بناه هنا، وكل ما يأمل في تحصيله. قد لا يفهم الآخرون إخلاصه للمشروع، لكنه لا يحتاج إلى فهمهم، كل ما يحتاجه هو الوقت حتى يثبت أنه على حق. كل ما سيُدمر اليوم هو تلك الثورة التافهة.

سمع صوت طرقات على باب مكتبه، ثم دخل ضابط وقال:

- سيدي؟

- أجل، تكلم.

- آيفز وأزهار وصلتا، لكن الشاب لم يظهر بعد.

كين. ربما سيتوقف عن الحضور، على العموم نتائج تجاربه كانت ضعيفة.

- شكرًا لك.

لم يذهب بريتر للقاء تيري فورًا، لكنه عرج أولاً على أحد المختبرات الدوائية في الطابق الثاني، وأمر مساعد المدير بتنفيذ بعض التعليمات. كان المعمل دومًا هادئًا، مليئًا بالأنشطة المستمرة. رجال ونساء أمام أجهزة ضخمة ينتجون مواد كيميائية لتعديل عمل المخ أو الجسم، وكان النوع الأخير هو ما يهمه اليوم. سأل بريتر:

- هل العقار جاهز؟

أومأ الرجل ذو المعطف الأبيض، وهو يقول:

- سيحتاج العقار إلى ساعتين كي يعمل.

قالها وناولته محققًا كبيرًا مُغطًى.

- ممتاز.

وأخذ بريتر المحقن ووضعه في جيبه، ثم راح يُدندن وهو في طريقه إلى تيري خلال متاهات أروقة المُختبر. وصل إلى حجرتها، فنظر عبر النافذة إليها، ورآها جالسة في كبرياء تنتظر.

قريبًا سيكسر كبرياءها، لكنه سيحصل على بعض المتعة أولًا.

- أرى أنك أوفيتِ بوعدك، الحقيقة أنني فوجئت. صديقتك تبلي بلاءً حسنًا هنا. لاحظت عدائية واضحة عندما تحدثنا.

ابتسمت ابتسامة مُصطنعة وقالت:

- لا يمكن للجميع أن يكذبوا ببراعة.

يا لها من روحٍ مُثابرة! هل سيكون ابنها مثلها؟

كان قد انتوى أن يأخذ ما يشاء من الوقت، لكنه وجد نفسه الآن عاجزًا عن الصبر.

- مدي ذراعك لو سمحتِ.

- ما هذا؟ لا أريد تعاطي المزيد من المُخدرات!

هز رأسه وقال:

- هذا هو السبب الذي لم أشأ من أجله إخبارك بحالتك. هذا عقار ليساعدك على إتمام الحمل بشكل سليم. لن يؤذيكِ أو يؤذي طفلكنا.

لاحظ توترها حين سمعت آخر عباراته، لكن الطفل كان طفلهما، وله فيه مثل ما لها.

- ولمَ قد أثق بك؟

أشار للمُساعد هاتفًا:

- ثبُتها.

قاومت تيري، لكن المُساعد أجبرها على الوقوف، وثبت ذراعيها إلى جانبيها. أدخل بريتر إبرة المحقن عند كوعها وضغط المِكبَس. حل المشاكل سهل إن كنت تملك الأدوات المناسبة.

سألته وهي تنفض عنها يدي المُساعد:

- ماذا تريد مني!؟

- لا شيء اليوم. انتهيت مما أريد، لم يتبق سوى أخذ عينة دم للتحاليل.
- ثم ابتسم ابتسامة مُتصنعة ليرُدّ ابتسامتها وقال:
- يمكنك أن تتظري أصدقاءك حتى ينهوا مهامهم.
- أهذا كل شيء؟ ستركنا نرحل؟
- ألا تثقين بي يا تيري؟
- كانت ابتسامتها مُخيفة ساخرة وهي تقول:
- ما زلت أملك عقلاً. وكلا، لا أثق بك.
- فقط ارتاحي ولا ترهقي نفسك.
- سأرتاح.
- عادت إلى فراشها كطفلة مُطبعة، ثم أردفت:
- لكن ليس لأنك أمرتني بذلك.
- سأعود لاحقاً.
- لا أستطيع الانتظار.
- لم يعجبه أن تكون لها الكلمة الأخيرة، لكنه في النهاية غادر إلى مكتبه مُنتظراً بدءها في تنفيذ خطتها السخيفة.

يمكن لتيري أن تتقبل المغامرة والذهاب لرؤية كالي، لكن بريتر قد يكشف زيارتها مُبكرًا. الآن هي واثقة من قدرتها على الولوج إلى عالم العدم بدون مساعدة سوى من إرادتها.

كانت تريد أن تعرف بماذا حقنها، لكنها كذلك كانت مُرتاحة كونها مُتأكدة أنه لن يؤذي طفلاً يعتبره طفله.. حسنًا، لن يؤذيه بهذه الطريقة، لكنه قد يحبسه ويحوّله إلى فأر تجارب من أجل أغراضه الخبيثة.

جلست تيري تفكر في كل مرحلة من مراحل الخطة، وسهولة فشلها، وحمية الخوض فيها. فكرت في آندرو وفي ما قد يكون آخر لحظاته في الحياة.. لن تعرف على وجه اليقين.

أقسمت أن تُنهي رواية سيد الخواتم بمجرد خروجها من هنا، لتكتشف ما حدث للخاتم ولفرودو وسام.

تساءلت إن كانت جلوريا وكين وآليس مستعدين. عليهم أن ينجزوا عملهم بدقة.

لكنهم ما زالوا في حاجة إلى كالي كي تُتم التنفيذ.

إلهي، أتمنى أن تكون في عالم العدم، فقط ولو لمرة واحدة أخيرة.

بمجرد أن أغلقت تيري عينيها وخطت إلى داخل عقلها، وجدت نفسها في اللا مكان وكل مكان.. في عالم العدم. ظهرت كالي أمامها فورًا وهي تصيح:

- تيري! أنا سعيدة لرؤيتك.

ضحكت تيري، فقد كان صوت كالي مُتفاجئًا.

- أنا سعيدة أيضًا لرؤيتك. أريد أن أتحدث معك لأمر هام. أنا وآليس نحتاج مساعدتك.

قالت كالي في شك:

- وهل يعرف بابا؟

- لن يعرف أبداً. قلت لك هذا من قبل وأنا أعني الآن ما أقول.

زمت كالي شفيتها، فربّنت تيري على بطنها وقالت:

- بابا يريد إيذاي وطفلتي.

سألت كالي في رعب:

- هناك طفلة في بطنك؟!

- أجل، وهو يريد إيذاءها، وسيؤذي أليس بشدة، وسيدمر كل شيء.

نظرت كالي إلى تيري وشفتها السفلى ترتجف وقالت:

- سيؤذيكم بسببي.. لأنني أفشيت السر.

انحنت تيري ولقت ذراعها حول الطفلة وقالت:

- أعرف أنك لم تقصدي، لكن هذه المرة لا يمكن لأحد أن يعرف، لا بد

أن يكون هذا الأمر سرّاً للأبد. عيلنا أن نحافظ على سلامة أليس وسلامة

المستقبل. اتفقنا؟

أومات كالي.

- ممتاز، أريد أن تصنعي وهماً، لكن عليك أن تكوني واثقة أنك

تستطيعين السيطرة عليه. مجرد وهم صغير.

- سأحاول.

- حسناً، هذا جميل. أتظنين أن في استطاعتك الذهاب إلى حجرة أليس

وتجعلينها تبدو وكأنها في نوم عميق للغاية، كأنها لا تتنفس حتى؟

أيمكن فعل ذلك والاستمرار عليه مهما حدث؟

ترددت كالي، ثم ضربت بقدمها الأرض هاتفة:

- لكني لا أريد أن ترحل أليس!

- يمكنك أن تأتي معنا. اتركي بابا وتحرري.

لم تكن تيري تعرف ما قد يكون رد فعل الطفلة على اقتراحها، لكنها لم

تُرد شيئاً أكثر من اصطحاب كالي معهم لو أنهم سيستطيعون الهرب.

قالت كالي واجمة:

- لا أستطيع. سيأتي وحوش إلى هنا ولن أستطيع ترك صديقي.

صديقها، الصديق الذي وعدها إياه بريتر. وضعت تيري يدها على

بطنها.. لقد وعدتها بريئاً بطفل تيري.

كيف لم تفهم هذا من قبل؟

الفتاة في رؤيا أليس كانت تحمل رقم ٠١١.

لا يمكن أن يحدث هذا!

- أرجوك يا كالي.. نحن أصدقاؤك.

كادت الطفلة تبكي وهي تقول:

- لا يمكن أن أرحل. لن يسمح بابا بهذا.

كانت تيري تخشى هذا. عليها أن تُنفذ خطتها ثم تعود لأجل إنقاذ كالي

لاحقاً. لشد ما يؤلم قلبها التخلي عن الطفلة، حتى ولو مؤقتاً.

ركلت جين داخل بطن تيري وهي تقول:

- سأعود من أجلك، اتفقنا؟ في أسرع وقت ممكن. إذًا، هل ستنفذين ما

اقترحت؟

- لكن أليس لن تعود، أليس كذلك؟

حدقت تيري في الوجه الصغير وقالت:

- كلا، لن تستطيع. سترحل أليس للأبد.

ركلت كالي الأرض بقدمها مرة أخرى هاتفة:

- لكني أريدها أن تبقى!

- كالي، أفهمك. أنا أيضًا أريدها أن تبقى، لكننا لن نتركه يؤذيها، هل

أنا مُحقة؟

غمغمت الطفلة:

- أنتِ مُحقة.

كيف يمكنها إيصال الفكرة لها؟

- أتعرفين كيف تتذكرين أمك؟ هي هنا..

وأشارت تيري إلى رأسها ثم قلبها.

- أجل.

- هذا لأنها عائلتك. والأصدقاء هم عائلة تختارين أفرادها، وستحملين

ذكراهم دائماً بداخلك حتى لو لم تكونوا معًا، حتى لو نسيت بعض

الذكريات إذ تتقدمين في العمر، ستظل العائلة والأصدقاء بداخلك.
بعد أن فكرت كالي للحظات، سألت:
- إذًا ستظل آليس معي دائماً؟
- وأنا كذلك.
- سأساعدك، ولن أخبر أحداً. سأحميكم.
ثم ابتسمت وأضافت:
- نحن عائلة واحدة.
انحنت تيري تُقبّل جبين كالي، ولدهشتها تركتها الطفلة تُقبلها.
- لن أنساكِ يا كالي. مُطلقاً. أعدكِ. الآن اذهبي، وتذكري أن تجعلي آليس
تبدو نائمة بعمق ولا تتنفس، وتمسكي بهذا الوهم مهما حدث.
- مهما حدث!
عادت كالي إلى الظلام، وبعد لحظات سمعت تيري صوتاً من عالم الواقع،
فهرعت تعود بوعيها إلى حجرة الكشف.
جلوريا..
حان الوقت.

مكتبة
t.me/t_pdf

بعد أن أعطى دكتور جرين قرص عقار الهلوسة لجلوريا، لم تتناوله ووضعتة سرًا في جيبها. ثم أعطها ورقة بها عدد من الإحداثيات لتحفظها، ثم رحل، ولم يترك معها أيًا من المساعدين. كانت هذه هي فرصتها الكبرى لخوض مغامرة، ولعب دور بطولة مثالي في قصة من قصصها المصورة. فتحت القفل باستخدام الطريقة التي علمتها إياها آليس، وخرجت إلى الردهة، ووجدت جهاز إنذار الحريق، فجذبت رافعته.

ولم يحدث شيء.

هل عطلوا جهاز الإنذار؟ تيري مُحقة إذًا حين أخبرتهم أنهم يتجسسون على بيتها. لكن لا يمكن أن يكونوا عطلوا الأجهزة كلها، حتى أكثر العلماء جنونًا لن يُغامر بتعطيل إنذار الحريق في مؤسسة كهذه. حريق صغير يمكن أن يُدمر كل شيء.

صاح صوت دقات قلب جلوريا في أذنيها وتسارع نبضها حين تحققت أمنيته في مهمة أصعب. عدت نحو نهاية الرواق بحثًا عن جهاز إنذار آخر. بحثها استغرق دقائق وخشيت أن تكون قد أربكت توقيت كل شيء. في النهاية رأت جهازًا أمامها، جوار العامل الذي يدفع عربة التنظيف.

لو كنا سنفعل ذلك، فلنفعله!

دفعت العامل جانبًا مع اعتذارٍ سريع، وجذبت الرافعة لتُشغل جهاز الإنذار. مرت ثوانٍ ظنت فيها أنها فشلت مرة أخرى، لكنها سمعت صوت الإنذار يملأ الأجواء، فانتعشت روحها.

لقد فعلتها! مثل جين جراي!

فاق العامل من دهشته وحاول الإمساك بها، لكنها كانت أسرع منه فأفلتت من قبضته وراحت تعدو إلى الاتجاه الذي أتت منه، فلم تنته مهمتها بعد.

كانت آليس قد زودتهم بخريطة مفصلة للمكان بناء على تجوالها فيه تحت تأثير الصدمة الكهربائية، فحددت جلوريا مكانًا للقاء كين عند الجانب الشمالي من المبنى. تمَّنت أن يكون جرس الإنذار قد أدى وظيفته كما يرجون، ومهَّد الطريق للمشهد الكبير. نهاية مغامرتهم قد تحل في أي لحظة من الآن، في أي لحظة. ضحكت وهي تعدو، ولم تظن من قبل أن الأبطال الخارقين قد يكونون كذلك مجانيين.

لم يعتبر كين نفسه رجلاً يفهم في السيارات. لقد تربى وسط عائلة مُحبة للسيارات، وكان والده يعشق الحديث عنها وعن أسعارها ويحضر معارضها، لكن كين لم يكن مثله.

رغم استمتاعه برحلتهم إلى مضمار السباق، لكن جلوريا وأليس قد استمتعا أكثر منه، وأظهرتا اهتماماً بالغاً بالسباقات وأنواع السيارات المشاركة فيها.

لو أن السيارات من اهتمامات كين، لما شعر بتأنيب الضمير وهو يقود سيارة تيري البائسة مقترَباً من مختبر هوكينز. لم تكن سيارة رائعة، لكن هذا لم يكن مُبرراً لجعلها كبش فداء.

ولأنه كين، وليس مجرد شخص مهتم بالسيارات، همس للسيارة الفورد اعتذاراً عما سيحدثه بها، وكان يتمنى لها نهاية أفضل فعلاً. «أنت سيارة طيبة، وحَسَنْتِ خدمتك لتيري. أنت لا تتظاهرين بما ليس فيكِ، ولا تتباهين بسرعتك أو إمكانياتك، لكنك أديت مهمتك بفخر. والآن؟ أنتِ مركبة المُحارب».

كان كين يقودها نحو المعركة.

ظهر السور السلبي عن يساره، وابتسم كين. لم يكن ماهراً في القيادة كونه لم يكن مُهتماً بالسيارات، لذا فقد تلا صلاة شكر سريعة ليقيه أن اليوم ليس يوم موته.

اقترب السور أكثر، اتخذ منعطفاً حاداً نحوه فأطلقت عجلات السيارة صريراً عالياً، واندفعت بسرعة وهو يطلق النفير. لم يتحرك الجنود سريعاً، لكنهم انزاحوا عن طريقه في نفس اللحظة التي اصطدم فيها بالسور وخلعه من مكانه.

تساقطت بقايا السور عن السيارة وهي تُواصل اندفاعها.

- أحسنتِ يا نيلي!

ماذا لو أطلق اسمًا على سيارة تيري؟ كانت سيارة جيدة بالفعل.

أكمل اندفاعه نحو المعمل مُحطماً الحاجز الخشبي عند نقطة التفتيش الثانية، ضاغطاً على النُّفير في جنون طيلة الوقت. تصاعد صوت أجهزة الإنذار فجأة، وتدافع الجميع في كل اتجاه لكن أحدهم لم يعترض طريق كين. قاد السيارة حتى جانب المبنى وتوقف عند مدخل رآته آليس في رؤاها. اندفعت جلوريا خارجةً منه وأبقتة مفتوحًا.

سألها كين:

- أين هي؟

قالت وهي تسند الباب بشيء كي يبقى مفتوحًا:

- آتية خلفي.. كما أمل! المفترض ألا تتأخر.

تمنى كين ألا تتأخر فعلاً حين رأى قدوم الرجال المسلحين نحوهم من بعيد.

ابتهج بريتر حين ظهر ظل شخص يقترب من باب مكتبه. كان جرس الإنذار يصدح في الأرجاء مُحطماً تعقُّل الجميع. لا بد أن القادم تيري. قال بريتر:

- لماذا يا آنسة آيفز، يا لها من...

ثم صمت حين رأى أن القادم هو ضابط أمن جديد. سأله:

- ماذا يحدث؟

أجاب بصوت عالٍ بسبب صوت الإنذار:

- آه.. لدينا مشكلة يا سيدي.

- ما هي؟

قام بريتر وأخذ معطفه من على ظهر كرسيه وارتداه. قال الضابط:

- انطلق جهاز إنذار الحريق، وثمة تهديد أمني خارج المبنى.

لقد جاء كين رغم كل شيء. قال بريتر:

- أغلق جهاز الإنذار، وتصرف مع الوضع بالخارج.

- مصدر التهديد رجل مدني يا سيدي. لكن ما يقلقنا هو الآنسة آيفز،

فقد كانت في طريقها إلى مكتبك كما هو مُخطط، ثم.. ثم رأيت شيئاً

فتوقفت. هي في حجرة آليس جونسون، عليك المجيء معي، هي في

حالة غضب شديد. آه.. دكتورة باركس غاضبة وكذلك حالة ثمانية.

كان بريتر مُستعداً للتباهي بنجاحه في كشف خطط تيري وإحباطها،

وكان يريد إثارة حنقها، لكنه لم يخطط قط لوجودها في حجرة آليس

جونسون. شيء ما قد حدث وغير خطتها.

تبع ضابط الأمن. لم يكن بريتر يكره شيئاً قدر كرهه للمفاجآت.

ولللخسارة..

اقتربت تيري خطوة أخرى من آليس الساقطة أرضًا جوار جهاز الصعق الكهربائي بلا حراك أو تنفس. كانت كالي تبكي جوارها كما اعتاد أن تراها في كل مرة تخلق فيها وهمًا.

ولولت الطفلة:

- هي لا تتحرك!

رأتها تيري تمسح خيطًا من دم ينسال من أنفها. كان غضبها حقيقيًا، لكن وهمها ظل صامدًا مُقنعًا.. حتى الآن.

صاحت تيري:

- آليس! لا!

ما زالت الأقطاب مُثبتة على صدغي آليس، والعداد على الجهاز يشير إلى قراءة عالية.

كانت تيري قد غيرت ملابسها إلى ملابس الخروج، مما أتاح لها أن تُهرب سكين مطبخ جلبته معها من بيتها في جيب بنطالها.

وانتظرت حتى تحتاجه. وجدت تيري أن الوهم قوي، لكنه كان عاديًا لا يلفت نظر بريتر لاحتمالية كون ما يراه وهمًا. لم يكن بريتر مؤمنًا بقدرة كالي على التحكم في الأوهام، لكن تيري كانت موقنة أن لا أحد يستطيع فهم حدود قدراته إلا حينما يحاول، خاصة لو كان طفلًا.

بالنسبة لكالي، فقد كان هذا الوهم تافهًا مُقارنة بالنار، لكنه وهم لن يدوم للأبد. عليها أن تُخفي آليس، ولو ابتلع بريتر الطعام سيظن أن آليس قد ماتت.

يجب أن تنجح خطتها، فلا توجد طريقة أخرى للهرب من بريتر.

قالت دكتورة باركس:

- يجب أن تدعينا نعتني بها.

قالت تيري بصوت أمر وهي تقف خلف آليس، بينما يستمر الوهم:

- قلت اتركوها وشأنها، فقد ماتت!

حين نقلت عينيها إلى كالي، بدأت الطفلة في البكاء، بكاءً حقيقيًا.
أوه، كالي. سأعود من أجلك..

لو كانت تيري لا تعرف أن ما تراه وهم، لجئنت. حين عبرت باب حجرة آليس، استوقفها ما رأت، فالمنظر كان مأساويًا. دكتورة باركس كانت تبكي وتحاول إبعاد كالي عن وهم آليس.

دخل بريتر الحجرة، وتوقف بعد خطوتين هاتفًا:

- ماذا يحدث هنا؟

أجابت دكتورة باركس:

- لقد غيَّرت في إعدادات الجهاز، فتلقت صدمة كهربية زائدة.

أشارت تيري في غضب إلى بريتر:

- أنت من فعلت هذا!

صبت كل ما يعتمل في نفسها من غضبٍ واتهام في صوتها وهي تكمل:

- أنت السبب في موت آليس، لقد قتلتها!

قال بريتر:

- اهدأي، ربما أمكننا إنعاشها.

لاحظت تيري أنه غير واثق من إمكانية إنعاشها.

- آليس ماتت ولن تعود! .. و.. لن نبقى هنا لحظة. لن نفعل ما

نفعل!

ظلت آليس مكانها تُمثل دور الميتة.

- لماذا أنتِ هنا أصلًا؟

انخرطت في البكاء وهي تقول:

- كنت أخطط لأخذ ملفات من مكتبك، لكن أعتقد أن آليس.. كل ما

أردته هو أن أتأكد من أنك لن تؤذي طفلي أو أصدقائي مرة أخرى.

سأتحدث مع عائلتها وسنُبقي الأمر تحت السيطرة ما دمت ستتركنا

وشأننا. يمكنك أن تحبسنا هنا، لكننا سنعرف الحقيقة ولن يهدأ لي بال

حتى أهرب وساعتها سأفعل ما في وسعي حتى يعرف العالم كله أنك

قتلتها، ويعرف ما تفعله هنا.

- احترسي يا تيري وفكري في طفلك.

- أنا أفكر في طفلي!

وأخرجت تيري السكين من جيبها ورفعته، براق كالفضة.

- الآن، سأغادر أنا وجلوريا وكين، ولن نتبعنا. أنت قتلت آليس، ولو

أردت ألا يعرف أحد بما فعلت فامكث مكانك دون حركة واتركنا نرحل.

أنت تعرف أنني عنيدة، وتعرف أنك لا تستطيع المغامرة بإيذاء طفلي،

ولو أن أحدًا لمسني سأستخدم هذه...

وحركت السكين أمام بطنها مُردفة:

- سأقتل نفسي وطفلي لو اضطرت.

ظل بريتر واقفًا غير واثق مما عليه فعله. هدر الدم في شرايين تيري،

ماذا سيفعلون لو لم يطلق سراحهم؟ ماذا بعد؟

قالت كالي من بين دموعها:

- أنا أحب آليس، دعهم يذهبون يا بابا.

لم تتوقع تيري هذا. هتفت:

- ابتعد عن طريقي!

لم يتحرك بريتر، وقال وهو يشير إلى آليس:

- أنا فعلاً آسف لما حدث لها، خسارة موهبة نادرة كهذه تؤسفني.

لكن يمكننا التعلم من جثتها رغم ذلك.

ماذا ستفعل لو رفض؟ أشعرتها كلماته بالغثيان، لكن ما اقترحه هو

بالضبط ما كانت تخطط له. قالت:

- سنذهب.

قال وهو يخطو جانبًا:

- حسنًا، لكن لا تؤذي الطفل.

لم تنتظر تيري، وسارت أمامه شاهرةً سكينها، متوقعة أن يمسك بها في

أي لحظة.

لكنه لم يفعل، وقال لضباط الأمن بالخارج:

- اتركوها ترحل. أخبروا الجميع بأن يتركوهم يرحلون.

- تراجع الأيمن فوراً عن طريقها، وقابلتها جلوريا في منتصف الطريق مرتدية زي تمريض وجمعة طويلة الشعر وسألتها:
- هل نجحت الخطة؟
 - الأمور تسير بشكل جيد. كالي أبليت بلاءً حسنًا. هل كين مستعد؟
 - مستعد، سأعود فوراً.
- ولم تلتفت تيري لرؤية جلوريا تذهب لتُكمل آخر مرحلة من الخطة.

كانت جلوريا قد خبأت محفة طبية في نهاية الردهة جوار حجرة آليس، وقد عادت لتخرجها. وكانت قد جلبت جُمة شعر من حاجيات والدتها كي تُتقن تنكرها. لا داعي للقلق.

كانت دكتورة باركس تبكي، بعد أن رحل دكتور بريّنر وكالي. لم يعد أمام جلوريا مُتسع من الوقت.

على الأرض كانت آليس بلا حراك، تبدو.. ميتة. دخلت جلوريا وقالت لدكتورة باركس بصوت خفيض:

- سيدتي، أنا هنا لنقل الجثة إلى المشرحة لتريحها.

كلمة «تريحها» أشعرتها برغبة في القِيء. أشارت الدكتورة باركس بيدها إليها كي تؤدي ما عليها فعله. وجدت جلوريا صعوبة في نقل آليس إلى المحفة، وشكرت الله أن دكتورة باركس منشغلة في بكائها، فالجثث عادة لا تُساعد حاملها ولا تضع نفسها على المحفات. فردت جلوريا ملاءة على وجه آليس ودفعت المحفة إلى الرواق، ثم زادت سرعتها وهي تهمس لصديقتها:

- تماسكي.

رأت أصابع آليس تقبض على جانبي المحفة من تحت الملاءة وتساءلها:

- إلى أين نحن ذاهبتان؟

- خارج هذا المكان.

- تبدو وجهة جيدة بالنسبة لي.

كما خططوا، أوقف كين السيارة خارج المدخل، وأمسكت تيري الباب ليظل مفتوحًا. دفعت جلوريا المحفة وهي تقول:

- ابقِي ساكنة.

ثم حين خرجت من البوابة أردفت:

- يمكنك النهوض الآن والاختباء في حقيبة السيارة.

- حقيبة السيارة!؟

نزلت آليس من المحفة، فقالت جلوريا:

- لن تمكثي فيها وقتًا طويلًا.

تهدت آليس وفعلت كما قيل لها، ثم أغلقت جلوريا باب حقيبة السيارة وركبت في المقعد الخلفي، بينما كان يمثل كين وتيري أعراض صدمتهما لوفاة آليس. كان ضباط الأمن قد تركوهم وشأنهم، لكنهم

ظلوا واقفين على مبعدة. صاح أحد الحرس:

- لا يُطلق أحد النار، لدينا أوامر بتركهم يرحلون.

سأل كين من خلف المقود:

- هل نحن مستعدون؟

قالت تيري:

- مستعدون. وداعًا هوكينز، لو أننا محظوظون فلن نراك مُجددًا.

إلا حين أعود من أجل كالي..

لم تنتو تيري ترك بريتر يستمر في عمله الوحشي، لكن كان عليها إخراج آليس سالمة، عليها أن تشهد قدوم جين إلى العالم. خطة "تزویر موت آليس والهروب بالحيلة" قد نجحت.

لم يبطئوا سرعة السيارة حتى اختفى مختبر هوكينز تمامًا عن مرآهم. توقفوا حين وصلوا محطة أوتوبيسات يونيونفيل خارج بلومينجتون، على مقربة من لارابي.

بعد أن أخرجوا آليس من مخبئها، أعطاها كين تذكرة الحافلة التي قد اشتراها لها مُسبقًا.

قالت آليس في ذهول:

- لا أصدق أنكم أخرجتموني من هناك!

مسحت جلوريا جبينها وقالت:

- ولا أنا.

دمعت عينا آليس وهمست:

- سأفتقدكم يا رفاق.

لن تستطيع تيري مجاراتها الآن وإلا عجزت عن التوقف عن البكاء للأبد.

- لا تبكي. لقد نجحنا. ابتعادك سيكون لفترة حتى أكشف ما يفعله في مختبره، وحتى ذلك الحين ستكونين في أمان. هل تريدين أن نتحدث مع أهلك؟

- سيتصل أبناء عمي بهم حين أصل. صممت شفرة يستخدمونها في التواصل معهم، وسأجد طريقة لإبلاغ أهلي بها.

كانت آليس تحمل بذرة جاسوسة لامعة بداخلها. قالت تيري لكين:
- الحقيقية.

عاد إلى السيارة وأخرج الحقيقة من باب المقعد الخلفي، حيث كانت جلوريا تجلس متكورة جوارها. وضعت تيري في الحقيقة محتويات صندوق الاختفاء، مع فستان لتغير آليس ملابسها. كان مقاساهما متقاربين. أخرجت تيري الفستان من كيس شفاف وقالت:

- اذهبي وغيري ملابسك في دورة المياه.

قالت جلوريا مازحة:

- ليتك أخبرتني أننا سنطور محتويات خزانة ملابس آليس!
أخرجت آليس لسانها لجلوريا، وذهبت لتغيير ملابسها. سألت جلوريا:
- أعتقدون أنه سيتركنا لحالنا؟

قال كين:

- آليس ستكون في أمان.

أضافت تيري:

- هذا يكفي الليلة.

رأت كين يعبس، فسألته:

- ماذا؟

- لست واثقًا..

- إبدأ فاحتفظ بما شعرت لنفسك.

الرؤى الروحانية الغامضة لم تعد تناسب حالة تيري العقلية الحالية.
مواجهة بريتر استهلكتها بالكامل، وكان من الممكن أن تسوء الأمور.
ضحك كين وقال:

- هذا أفضل!

خرجت آليس مُطرقة رأسها خجلًا، ترتدي فستانًا منقوشًا بالورود
-فستانًا مما كان يفضلهم أندرو- وتحمل رداءها القديم مطويًا على
ذراعها.

لكنها ما زالت ترتدي حذاء العمل ذا الرقبة. صاحت تيري وهي تبحث
عن حذاء أسود في السيارة:

- الحذاء! كدت أنسى. يمكنك أن تضعي حذاءك القديم في الحقيبة
البلاستيكية التي كان الفستان فيها.

قالت جلوريا:

- تبدين رائعة.

احمرت وجنتا آليس. هتفت تيري:

- رحلتي من ميتة إلى عارضة أزياء!

أخذت آليس الحذاء من تيري وجلست في مقعد السيارة الأمامي لتغير حذاءها.

- ألا تظنون أن شكلي سخيّف؟ كأنني فتاة صغيرة تلهو بملابس والدتها؟
قالت تيري ضاحكة:

- بالطبع لا! أنت جميلة.

- أشعر أنني سنديريلاً!

قال كين:

- ما زال منتصف الليل بعيداً.

تمنت تيري أن تُوفّق آليس في كندا.

لن يكون وضعاً نهائياً.. أتمنى ذلك..

ثم بدأ العناق والبكاء للفراق. ووصلت الحافلة إلى المحطة، وحن وقت الوداع الحقيقي. أوصلت تيري آليس إلى باب الحافلة حاملة حذاءها القديم. الغُصّة تتزايد في حلقها.

ناولت آليس حقيبتها للحمّال كي يضعها في باطن الحافلة. نظرت له آليس في ريبة بعد أن انتهى من مهمته، وطالبتة بإحكام غلق الباب كيلا تسقط الحقيبة في الطريق.

قالت تيري أخيراً:

- أعتقد أنه الوداع مؤقتاً.

ترددت آليس، ورأتها تيري تجاهد كي تخفي شيئاً.

- قولي، ما بكِ؟

- ثمة ما أريد إخبارك به. شيء رأيته يحدث لك في المستقبل. قالت لي جلوريا أن أعطيك الحق في الرفض أو القبول قبل أن أحكي لك. يبدو أن ما رأته آليس لم يكن جيداً. سألتها:

- أخبريني فقط، هل سأظل أحاول فعل ما هو صحيح؟ هل سأحارب من أجل ما أريد؟

أجابت آليس فوراً:

- أجل.

- إبدأ فلسفً في حاجة لمعرفة أي تفاصيل.
- بدأت آليس في الاعتراض، لكن تيري قاطعتها قائلة:
- سأخبرك لو غيرت قرارى. اتفقنا؟
- ستخبرينى فوراً.
- فردت تيري ذراعىها وعانقت آليس، ثم وقفت تشاهدها وهى تتركب الحافلة. لن تسمح لأحد أن يخبرها بالمستقبل مرة أخرى..
- غالباً..
- تحركت الحافلة، فنادى كين على تيري وجلوريا. ركبوا السيارة مرة أخرى، وتركت تيري القيادة لكين.
- قالت جلوريا:
- سأفتقدها.
- وقال كين وتيري فى نفس الوقت: وأنا كذلك.

مكتبة
t.me/t_pdf

لا يصدق برينر أن آليس جونسون قد ماتت قبل أن يكشفوا أسرارها، وماتت عن طريق صدمة كهربية! لقد أعطت تيري آيفز فرصة ذهبية للضغط عليه.

كالي غاضبة، وخلدت للنوم فوراً بعد تعاطيها المهدئ الذي وصفه لها. لكن ما زال في وسعه الفوز بشيء من يومه.

ستتجاوز الدكتورة باركس حزنها، سيمنحها إجازة الليلة وسيذكرها بعقود السرية بينهما. على الأرجح فالجثة في المشرحة الآن، وصارت سره هو. والآن يتصل بلانجلي ليلبغهم الأخبار. قال برينر:

- سيدي المدير، أريد أن أكون أول من يبلغك بالمستجدات التي جرت الليلة.

- سمعت عن انطلاق أجهزة إنذار الحريق.

الأخبار تطير بسرعة.

- إنذارات كاذبة.

ثم بدأ سرد ما حدث لآليس جونسون، التي عبثت بجهاز الصدمة الكهربائية وتسببت لنفسها في أزمة قلبية توفيت على أثرها. ثم رأت بعض الحالات الأخرى الجثة وقاموا بإطلاق أجهزة الإنذار وفتحوا الأبواب. ثم أخبره عن المخمور الذي اقتحم بسيارته سور المؤسسة.

بحلول الغد، لن يكون أحد قادراً على معرفة الحقيقة، وقریباً سينسى الجميع. لديهم عقاير تساعد على النسيان لو تمسك أحدهم بذكرياته على أية حال.

ثم قال برينر في النهاية:

- كملخص، أود أن أقول أن كل شيء تحت السيطرة، وسنترك أهل الفتاة يحزنون على ابنتهم، وسنحصل نحن على ما نستطيع الحصول عليه من الجثة، برغم أن أنسجة المخ قد دُمّرت بفعل الكهرباء.

لتظن تيري آيفز أن لها اليد العليا.. مؤقتاً.

سأله المدير:

- لكن أأنا نحتاج ملود المرأة؟

- أنا أضمن أنه سيكون في حوزتنا.

- أأنا في ذلك.

كان من الأسهل إنجاز خطة المرحلة الثانية من الأمسية من مكتبه، لكن ثمة طرافة في الوقوف تحت كشاف دون أن يستطيع أحد رؤيته. جمع أوراق اعتماده ومؤهلته، وبعض أردية المستشفى، وشارة تعريف شخصية مزورة، ثم ركب سيارته. هز رأسه غيظًا وهو يمر جوار السياج الممزق.

ثمة مستشفى واحد بالقرب من لأرابي، ومن السهل توقع أن تيري ستذهب إليه بحلول نهاية الأمسية. ستظهر فعالية العقار الذي حقنها به قريبًا، إن لم تكن قد ظهرت بالفعل. لذا، قاد بريتر سيارته بأقصى سرعة.

- أوقف كين سيارة تيري أمام منزلها، وكانت تتشاءب من تعب الليلة وأحداثها الثقيل. كانت سيارة كين واقفة بالجوار. قال كين لتيري:
- أشعر بالحماس! لا أعرف كيف تشعرين بالتعب.
- رفعت جلوريا كفها من مجلسها في المقعد الخلفي وقالت:
- أنا مثلها.. لم تعد لدي أي تخيلات طفولية عن مدى سهولة وإثارة حيوات أبطال القصص المصورة.
- ضحكت تيري وقالت:
- هل تريدون الدخول؟
- كانت دعوة بلا حماس، وتمنت أن يرفضوا، لكنها كذلك لن تتضايق لو قبلوها. هكذا يشعر الأصدقاء تجاه أقرب أصدقائهم.
- أعتقد أن لدينا بعض الحلوى التي صنعتها بيكي.
- قالت جلوريا:
- الليلة كانت عصبية، وأنت في حاجة إلى نوم الأطفال.
- نوم الأطفال؟
- هو نوع من النوم كنوم الأميرة الحسنة في القصة الخيالية، لكنه مخصص للأطفال الأصحاء.
- آه.
- قالت جلوريا:
- وأنت كذلك يا كين تحتاج إلى الراحة.
- ظل كين محملاً شاردًا في صفحة السماء. هتفت تيري:
- من الأرض إلى كين.. هل ثمة ما تريد إخباري به؟ أم نُنهى الليلة عند هذا الحد؟
- ثمة شيء لكنني لا أعرف ما هو.
- حسنًا.. سأدخل إلى البيت.
- أخذت تيري مفاتيح سيارتها من كين الذي ربّت على السيارة وقال:

- أحسنتِ يا نيليّ.

لم تكثرثِ تيري لسؤاله عما يعنيه. لوّحت لهما، وولجت من الباب الأمامي، ثم توجهت إلى المطبخ قاصدة شرب بعض الماء، أو الحليب. أئمة حلوى متبقية؟

هي تستحق الحلوى، فالليلة سارت كما خططت لها: آليس في أمان، هم في أمان، بريز سيتركهم وشأنهم لو أنه بالذكاء الكافي، وستجد هي طريقة لفضح أفاعيله.

لكن.. لماذا تشعر أن الظلام يجتمع عند أطراف مجال رؤيتها؟ الألم يمزق جسدها كله، مُتمركزاً عند البطن، وتدقّق ماء من بين فخذها. أمسكت بمنضدة المطبخ وصرخت..

الطفلة!

- بيكي! أنا ألد!

فُتح باب بالأعلى ورأت بيكي تنزل بسرعة.

- ماذا حدث؟ نزل ماء الولادة؟! وقت الولادة لم يحن!

- علينا الذهاب للمستشفى.. الآن..

سألت بيكي عن سبب الكسر في مقدمة سيارة تيري، ولم تملك الأخيرة ترف التفسير.

- فقط قودي السيارة.

- كل شيء سيكون على ما يرام.. المستشفى هنا يقوم بعمل مثالي.

وكلتاها كانت تعلم أنه المستشفى ذاته الذي توفي فيه والداها.

صرخت تيري بينما تتزايد حدة وسرعة الانقباضات في رحمها وتُزلزل عظامها كالبرق:

- أسرع!

أسرعت بيكي، ثم ضغطت على المكابح بعنف حين وصلت مدخل الطوارئ المخصص للسيارات. أبعدت حزام الأمان وهرعت تساعد تيري على النزول. بالكاد كانت تيري تعي أين تكون، فقد أغشاها الألم.

صرخت بيكي:

- إنها تلد!

أنت تيري:

- ساعدوني.. أنقذوا طفلي..

يجب أن تكون جين الصغيرة بخير.. اصمدي يا جين..

نقل الأطباء والممرضون تيري إلى محفّة، وهرعوا بها إلى داخل البناية،

بينما بيكي تعدو إلى جوارهم، ثم يتجاوزونها فتختفي عن نظرها.

أوصلوا المحاليل بوريدها، وهي تهرّف بشيء عن عقار الأم. شاشة

المِرقاب والخط الأحمر الذي يُمثل تلاحُق نبضات قلبها كان منظرًا مألوفًا

حتى أنها ظنت للحظة أنها في مُختبر هوكينز.

صرخ أحدهم:

- الطفل قادم!

تحلّق فريقٌ من الناس حولها، وتحول المشهد أمام عينيها إلى أردية

أطباء وأقنعة طبية، وأصوات صفير مُتقطع، واصطكاك أدوات الجراحة

بعضها البعض. رائحة المُطهرات..

تمسّكت تيري بوعيتها، كل انقباضة كأنها سكين يقطع أحشاءها. صلّت

من أجل الصغيرة جين، وقبّلت أُمها.

قال صوت قريب منها من خلف قناع طبي:

- دَفَعَةٌ أخيرة..

فدَفَعَتْ.. دفعت بآخر قواها. ومضة ضوء عنيف غشيت بصرها للحظة،

ثم سمعته.. أجمل صوتٍ في السماوات والأرض.

صرخت جين صرخة مُحارب في معركة، مُعلنة للعالم وصولها: «أنا هنا»..

جين هنا!

شخص ناول الطفلة لرجل في رداء الأطباء.. كانت تعرف عينيه، تلك

العينان الزرقاوان..

عليها أن تمنعه!

هذه ابنتي أنا!

انزلق منها وعليها وسط صرخاتها..

هذه هي ابنتي أنا!

كانت بيكي تجلس جوارها على فراش المستشفى حين أفاق.

- أين هي؟!!

هتفت تيري وهي تحاول الجلوس.

- أين جين؟!!

سكون بيكي قبل أن تتكلم قال الكثير.

- آسفة يا تيري. حدثت مُضاعفات ولم يستطيعوا إنقاذها.

- كلا! أنا سمعت صوتها!

خلعت تيري قناة المحلول الوريدي عن ذراعها وأبعدت بيكي كي لا

تمنعها من الوقوف على قدميها.

- أنتِ لا تفهميني. أنا رأيتُه، لقد أخذها! أخذ جين!

- تيري، عليكِ أن تُنصتي لي، الطفلة لم تنجُ.

لكن لم يُنصت أحد لتيري. طفلتها كانت حية. حية! يجب أن تجد

طريقة لإثبات ذلك.

خاتمة

نوفمبر 1970

”فقط ضعيفا هنا“.

قالها بريتر للممرضة التي تُعنى بالطفلة. قالت المرأة وهي ما زالت تحمل الرضيفة، مُمسكة بها كأن ثمة خطراً عليها:

- يمكنك.. يمكنكني حملها.

- من الأفضل أن أفعل هذا وحدي، هلا انتظرت بالخارج، بينما أنا معها؟

لم يكن هذا طلباً عادلاً، فهو لم يكن قادراً على التعامل مع الطفلة إن تقيأت أو لوثت حفاضتها. الأطفال يفعلون أشياء كتلك مهما تمنى المرء ألا يفعلوا.

وضعت الممرضة الرضيفة ببطء في عربة الأطفال. تمايل رأسها الأصلع المُغطى بالزغب، وتحركت عيناها الزائغتان حولها. متى ستبدو كإنسان عادي؟

الصبر.. ستكبر قريباً بشكلٍ أو بآخر.. ستكون هي من تصنع سُمعتك العلمية..

لو أن أحداً قادر على ذلك، فهي تلك الحالة.

ليؤكد توليه قيادة الأمور، دفع العربة أماماً مُشيراً للممرضة كي تفتح الباب. فتحته، ولوحت للطفلة بأصابعها وكأن طفلة في عمرها ستفهم أي شيء إلا احتياجاتها الحيوية: النوم، الأكل، الإخراج. ثم المزيد من النوم والأكل... إلخ.

لكن يوماً ما.. يوماً ما ستكون تاج إنجازاته.

لم تكن ثمانية تعرف أن الطفلة تعيش على بعد بوابتين منها. البوابة

الأولى مُغلقة بشيفرة رقمية مُعقدة، والثانية ذات قفل عادي تُؤدي إلى حجرة مؤثثة كحجرة رُضع.

كانت ثمانية في حالة من غضب مُستمر منذ أشهر، وتوقف بريتر عن زيارتها إلا للضرورة القصوى. الآن في حوزته ما يستطيع السيطرة عليها بها، وقد آن أوان مقابلتها. ستغفر له كل شيء.

بحسب الممرضة، فالرضيعة ستكون قادرة على اللعب قريبًا، مما سيكون ممتازًا بالنسبة للطفلتين. كان قد أمر بطلاء غرفة الرضيعة بألوانٍ مُبهجة تروق لثمانية.

- هذا يكفي..

قالها بريتر، ففتحت الممرضة باب حجرة ثمانية، وحين حاولت الدخول معه قال في برود:

- انتظري بالخارج من فضلك.

تابعت عيناها العربية، لكنها ظلت واقفة في مكانها.

كانت ثمانية جالسة على الفراش العلوي، ترمق السقف. لاحظ أنها رسمت عليه قوس قزح بأقلامها الملونة. ربما يفكر لاحقًا في تحويل هذه الحجرة إلى حجرة لعب الطفلتين.

على الأقل هي رسمت شيئًا أخيرًا، فقد قيل له أنها تحدد في السقف دومًا دون أن تفعل أي شيء آخر.

قال بريتر:

- انظري ماذا أحضرتُ لك؟ أختًا صغيرة.

كان قد سمح للفتاة بالحركة، فقفزت من فراشها إلى الأرض، وهرعت نحو العربية تنظر إلى من فيها بخجل وتوتر.

قال بريتر:

- هذه هي أحد عشر.

- أحد عشر..

كررت الكلمة وهي تنظر إلى كفيها وقالت:

- يجب عليّ أن أستخدم أصابع قدميّ بالإضافة إلى أصابع كفيّ كي

أستطيع أن أحصي اسمها. لكن، أيعني هذا أن تسعة وعشرة هنا؟ وستة وخمسة وكل الباقيين؟
عبس في وجهها وقال:

- هذه هي أحد عشر. هذا كل ما تحتاجين معرفته.

- لكنها صغيرة للغاية على أن تكون صديقة.

- ستكبر في يوم ما وستكون مثلك.

حاولت ثمانية تفهّم الأمر، ومالت على العربية لتتفحص الرضيعة. سمعها تهمس :

- سأرعاك يا أحد عشر الصغيرة.

ثم نظرت إليه باسمه:

- هل يمكن أن أساعد في رعايتها؟

- يمكن أن تُعلمك الممرضة كيف تلعبين معها بأمان. هل تودين ذلك؟
أنشدت ثمانية في سعادة:

- سنكون صديقتين، سنكون عائلة واحدة. ثمانية وأحد عشر! أختان!

نوعًا ما.. طالما سيخدم هذا غرضي.

تساءل إن كانت تيري آيفز ما زالت تَهْرِف لأختها وللصحفيين عن الطبيب الذي خطف ابنتها؟ لا يهم..

الطفلة طفلته، كان عليها الإنصات إليه حين أخبرها بذلك.

جلست تيري على مقعد في الحديقة وانتظرت. كان يومًا صحوًا، وجلوريا هي من اقترحت هذا المكان لمقابلتها لأنها تعتقد أن الهواء النقي سيساعدها.

كانت قد أمضت وقتًا طويلًا وحدها بعد خروجها من المستشفى في محاولات لإقناع بيكي بما تعرفه، والاتصال بالصحفيين، ومحاولة البحث عن خيوط توصلها إلى ما كان بريتر يفعل في حياته السابقة قبل توليه إدارة المُختبر.

بريتر سرق ابنتها، كانت موقنة لكن لا أحد ينصت إليها.

الخروج كان صعبًا عليها، والآن أدركت السبب: بالجلوس هنا، كان سهلًا عليها نسيان الظلام الذي يقبع بالجوار. لم تسمح لنفسها بالسير تحت النور بحرية إلا وابتها تسير إلى جوارها.

صدق بريتر وعده -فيما عدا خطف ابنتها- ولم يستدعهم لتجارب عقاقير الهلوسة مرة أخرى. كان قد ربح المعركة ولا داعي لاختبار حظه أكثر من ذلك.

لم تعد قادرة على الولوج إلى عالم العدم منذ ولادة ابنتها، مهما حاولت جاهدةً. يبدو أن قدراتها، أو أيًا كانت، زالت برحيل ابنتها.

كان من المفترض أن يأتي كين لموعدهم، لكن بحسب ما قالت جلوريا، فقد وقع في الحب ولا يستطيع المجيء اليوم. كان يواعد ضابط جيش سابقًا.

كانت سعيدة من أجله، ولم يتخل عن قضيتها، فقد كان مستمرًا في جمع المعلومات وأكد لها أن كالي ما زالت في المعمل وعلى ما يبدو فهي بصحة جيدة.

ما زال عهد تدمير بريتر قائمًا بينهم، وأصرت تيري أن تكون واجهة المعركة، فهي لم تخض في كل هذا لتخسر شخصًا آخر.

أحبت آليس كندا، وهي تعمل الآن مع أبناء عمها ولا تريد العودة في الوقت الحالي.

وصلت جلوريا ودارت حول المقعد من خلف تيري هاتفةً:

- تبدين جميلة.

- كذابة! أنت الجميلة!

كان شعر جلوريا قد نما أكثر، وأحبت تيري تصفيفته الطبيعية المُموجة التي تليق بها.

- لست أنا من بدوت كشبح خلال الثلاثة أشهر الماضية.

جلست جلوريا جوارها، وكانت معها حقيبة أكبر من المعتاد تضعها على فخذيها. كانت تيري تعرفها جيدًا وتفهم ما قد تفصح به لغة جسدها.

- جلوريا، لم أنت متوترة؟

- لدي شيء لك، كين قد حصل عليه.

نظرت جلوريا حولها، وحين تأكدت من أن أحداً لا يراقبهما، فتحت حقيبتها وأخرجت ملفاً كبيراً.

- حبيب كين الجديد يعمل في المختبر.

- أوه، كين!

- هو رجل صالح، وقد جلب هذا لكين.

- وما هذا؟

- افتحه.

وضعت جلوريا كفيها على حقيبتها وانتظرت. لم تعرف تيري ماذا عليها أن تتوقع، لكنها أخذت الملف وفتحته.

سقطت منه صورة بالأبيض والأسود، التقطتها تيري من على الأرض. في الصورة كانت رضية جالسة، ذات خدين مُمتلئين.. هل هاتان أذنا

أندرو؟ رأسها مغطى بزغب منفوش بدلاً من الشعر.

قرأت الورقة المرفقة بالملف سريعاً..

”المشروع النيلي..

الحالة 011.. رضية.. تحت الوصاية.. دكتور مارتين بريتر.. الأهمية: قصوى“.

عادت تيري إلى الصورة وهدقت في ابنتها. كان لها وجه أمها. هل تبسم؟ ستبسم يوماً ما. سالت عبّرة على خد تيري وهي تقول:

- هذه هي.. ابنتي حية.. جين حية!

سترى ابنتها مرة أخرى، ولا شيء سيمنعها.

مكتبة

t.me/t_pdf

telegram

@t_pdf

عقول مُرْتَابَة

معمل غامض.. عالمٌ مخيف.. تاريخٌ سري..
إن كنت تظن أنك تعرف حقيقة والدة إيليفس، تحضر لحقائق تقلب
ثوابتك رأساً على عقب، تعرفها من خلال هذه الرواية التي تدور عن
الأحداث التي السابقة للمسلسل الأشهر (أمور غريبة).

صيف عام ١٩٦٩، وصدمة حرب فيتنام يتردد صداها بين الشباب
الأمريكي في الداخل والخارج.

كطالبة جامعية في ولاية إنديانا، لم يكن في مقدور تيري أيفز
الابتعاد عن أخبار الخطوط الأمامية في حرب فيتنام، ولا الاحتجاجات
الملتهبة في واشنطن. لكن العالم يتغير، ولم تعد تيري قانعة
بالمشاهدة عن بعد. عندما ذاع خبر إجراء تجربة MKUTRA علمية في
بلدة هوكينز الصغيرة، تطوعت فوراً للاختبار المسمى رمزياً

لم تجد أمامها سوى شاحنات مجهولة، ومختبر بعيد، وعقارات
تتلاعب بالعقل، وباحثون منشدون، فلم يسع تيري سوى العزم على
سبر أغوار هذا اللغز الذي تورطت فيه. لكن خلف جدران مختبر
هوكينز، ونظرة مديره - مارتن برينر - الناقبة تكمن مؤامرة أعظم مما
كانت تتخيل. لمواجهة هذا الهول، احتاجت تيري لمساعدة زملائها
المتورطون في نفس الاختبار، وكان منهم طفلة غامضة لا يعرف أحد
بوجودها، تتمتع بقوة خارقة غير قابلة للتفسير، وتحمل بدلاً من
الإسم رقم: ٠٠٨.

وسط خضم أمواج التوتر في بداية عقد جديد من الزمن، بدأت حرب
مختلفة بين تيري أيفز ومارتن برينر، حرب فيها العقل البشري هو
ساحة المعركة.

© Netflix 2022. Used with permission

